

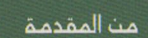
رشحات ملكوتية

من روح الله العرفانية

رشحات ملكوتية من روح الله العرفانية

مركز باء للدراسات





من المقدمة

ولهذا انطلق الإمام منذ البداية لأجل استرجاع القيم المعنوية التي هي رصيد الإنسانية، وعندما انتصرت الثورة بإسقاط النظام السياسي الفاسد، أعلنها صراحة: "إن هذه الثورة كانت من أجل صناعة الإنسان، الإنسان الملكوتي الذي أراده الله تعالى، لا الإنسان الحيواني الذي لا يهمه سوى الحياة الدنيا ومعلفها".

وعلى صفحات هذا الكتاب سنقرأ معاً تلك المواعظ العرفانية التي يحكي بعضها عن تلك المراحل التي سلكها الإمام من أجل تحقيق تلك الأهداف الكبرى. وهناك سنشاهد ثورة أخرى قلما نظرنا إليها أو تصفحنا أوراقها.

بيت الكاتب للطباعة والنشر

رشحات ملكوتية

الإمام الخميني

مركز باء للدراسات

بيت الكاتب للنشر والتوزيع

قامت الأخت الفاضلة عزة فرحات بتعريب هذا الكتاب مستفيدة مما كان قد ترجم من بعض نصوصه في كتب أخرى. وقد أشرف على انجازه السيد عباس نورالدين وأعيدت طباعته بعد تنقيحه ليخرج بحلة أنقى وأدق.

الطبعة الثانية منقّحة

بيروت 2008

هاتف: 477233 01 - 380119 03

www.baabooks.com

رشحات ملكوتية

من روح الله العرفانية

مواعظ أخلاقية وإرشادات عرفانية

للامام الخميني

تم اختيارها من كلماته وكتبه

مركز باء للدراسات

قسم الدراسات الأخلاقية والسلوكية

تمهيد

يفخر مركز باء للدراسات بتقديم باقة جديدة من التعاليم المعنوية ـ العرفانية للإمام الخمينيقدس سره إلى كل قراء العربية الذين لا زالوا على موعد دائم مع الثورة الروحية الكبرى التي أشعلها هذا المصلح الكبير.

ورغم أن شهرة الإمـام قد عمَّت الآفـاق، إلا أن أهم أبعاد شخصيته العظيمة لا زالت مجهولة بالنسبة لأغلب الذين اطلعوا وشاهدوا ثمار ثورته ونهضته السياسية الإصلاحية. ومن بين هذه الأبعاد، البعد المعنوي ـ الروحاني الذي كان في الواقع أحد أهم أعمدة وأركان تلك النهضة الكبرى.

لقد كتب الإمام في العرفان النظري والعملي ما يكفي ليتعرف القارئ على جوانب مهمة من شخصيته الملكوتية؛ حيث يتراءى وبوضوح انسان غارق في عوالم الملكوت واللاهوت. ولكن قد

يتصور أن مثل هذه الشخصية قد تبدلت أو انشغلت عن هذه المعاني الكبرى بعد انتصار الثورة، والانغماس بتأسيس دولة اسلامية عصرية خرجت من بين ركام قرون الاستبداد والجور؛ فإن مثل هذه الهموم تنوء بها أمم وشعوب، فكيف برجل واحد جاوز الثمانين من عمره.

إلا أن هذا التصور سرعان ما يتبدد ويزول بمجرد أن نقرأ ونسمع للإمام ما بعد الانتصار. فما كان يخفيه هذا العارف المجاهد من الكنوز العرفانية والحقائق المعنوية لم يقل عما صدر منه حينما كان في أيام الصفاء والانقطاع!

والواقع أن اكتمال صورة هذه الشخصية لا يتحقق بمعزل عن قراءة هذه المرحلة التي نستطيع أن نصف بعض جوانبها بالثورة المعنوية الجديدة. وليس هذا بمستغرب من رجل مصلح يراعي جميع أبعاد الإصلاح والهداية، عندما يرى إقبال أمة على المعنويات إلى الدرجة التي وصف فيها هذه الثورة بقوله "لقد كانت ثورتنا انفجاراً للنور"، وإن "أعظم ما تحقق في هذه الثورة هو تلك الثورات المعنوية والروحية التي تحققت في النفوس".

لقد شاهد الإمام بأم عينه كيف تفجرت استعدادات شعب

نحو القيم المعنوية والعرفانية بما لم يسبق له مثيل في تاريخ الشعوب. وقام بضخ هذه الاستعدادات ونفخها بروحه الملكوتية العرفانية التي كانت قادرة على إحداث ثورات وثورات في أعماق النفوس البشرية. ولم يكن الإمام ـ منذ بداية حركته ـ يريد سوى ذلك، فلقد قال مرات وكرات "إن هذه الثورة إن لم تصنع الإنسان وتربي الإنسان فهي ليست ثورة حقيقية". وعندما نهض ثائراً قال "إن هذا النظام الفاسد يفسد إنسانية الإنسان قبل أن يفسد البلاد ويخربها".

ولهذا انطلق الإمام منذ البداية لأجل استرجاع القيم المعنوية التي هي رصيد الإنسانية، وعندما انتصرت الثورة بإسقاط النظام السياسي الفاسد، أعلنها صراحة: "إن هذه الثورة كانت من أجل صناعة الإنسان، الإنسان الملكوتي الذي أراده الله تعالى، لا الإنسان الحيواني الذي لا يهمه سوى الحياة الدنيا ومعلفها".

وعلى صفحات هذا الكتاب سنقرأ معاً تلك المواعظ العرفانية التي يحكي بعضها عن تلك المراحل التي سلكها الإمام من أجل تحقيق تلك الأهداف الكبرى. وهناك سنشاهد ثورة أخرى قلما نظرنا إليها أو تصفحنا أوراقها.

وهذا الكتاب عبارة عن مواعظ منتقاة من كتب الإمام وكلماته وخطبه قام باختيارها الأخ محمد رضا أوحدي. ثم عمل المركز على إرجاعها إلى أصولها واقتباسها من مصادرها مع ترجمة ما لم يترجم لحد الآن عسى أن تكون ذخراً لكل الذين يسلكون طريق الإمام ويمشون على خطه.

ويتوجه مركز باء للدراسات بالشكر إلى الأخت الفاضلة عزة فرحات التي تولّت إخراج الكتاب من طبعته الفارسية ليكون في متناول قراء العربية كما يشكر جانب السيد عباس نورالدين على مراجعته والإشراف على ترجمته.

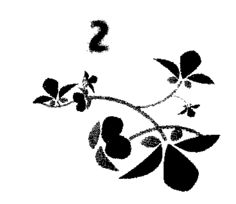
الناشر

1

التفكر

أيتها النفس الشقية التي قضيت سني عمرك الطويلة في الشهوات ولم يكن نصيبك سوى الحسرة والندامة، إبحثي عن الرحمة واستحي من مالك الملوك، وسيري قليلاً في طريق الهدف الأساسي المؤدي إلى حياة الخلد والسعادة السرمدية، ولا تبيعي تلك السعادة بشهوات أيام قليلة فانية لا تتحصل الا مع الصعوبات المضنية الشاقة.

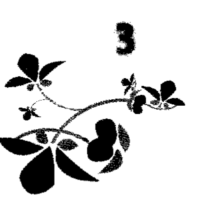
2



تحصيل العزم

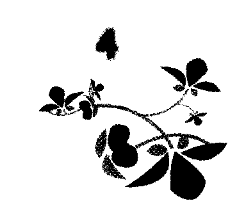
أيها العزيز، اجتهد لتصبح ذا عزم وإرادة، فإنك إذا رحلت عن هذه الدنيا دون أن يتحقق فيك العزم فأنت إنسان صوري بلا لب، ولن تحشر في عالم الآخرة على هيئة إنسان، لأن ذلك العالم هو محل كشف الباطن وظهور السريرة. إن التجرؤ على المعاصي يفقد الإنسان تدريجياً العزم ويختطف منه هذا الجوهر الشريف. إذاً تجنب يا أخي المعاصي، واعزم على الهجرة إلى الحق تعالى، واجعل ظاهرك ظاهراً إنسانياً، وادخل في سلك أرباب الشرائع، واطلب من الله تعالى في الخلوات أن يكون معك في الطريق إلى هذا الهدف. واستشفع برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته حتى يفيض ربك عليك التوفيق، ويمسك بيدك في المزالق.

3



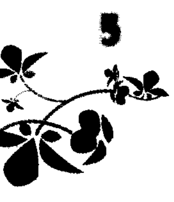
التضرع

يا أيها العزيز! فكر وابحث عن سبيل نجاتك ووسيلة خلاصك، واستعن بالله أرحم الراحمين، واطلب من الذات المقدسة في الليالي المظلمة بتضرع وخضوع أن تعينك في هذا الجهاد المقدس مع النفس، لكي تنتصر إن شاء الله وتجعل مملكة وجودك رحمانية وتطرد منها جنود الشيطان وتسلّم الدار إلى صاحبها حتى يفيض الله عليك السعادة والبهجة والرحمة.



معرفة الطريق

أيها العزيز! افتح سمع قلبك وشد حزام الهمة على وسطك وارحم حال مسكنتك لعلك تستطيع أن تجعل من نفسك إنساناً وتخرج من هذا العالم بصورة آدمية لتكون عندها من أهل الفلاح والسعادة. وحذارِ من أن تتصور أن كل ما تَقدم هو موعظة وخطابة. فهذا كله نتاج أدلة فلسفية توصل إليه الحكماء العظام، وكشفٌ انكشف لأصحاب الرياضات، وإخبار عن الصادقين والمعصومين.



اللذات الدنيوية

أيها العزيز! استعن بالله تبارك وتعالى في كل آن ولحظة واستغث بحضرة معبودك واطلب منه بعجز وإلحاح.. أنا أفترض لكم فرضية خيالية، أفترض لكم عمراً هو مائة وخمسون عاماً، مع توافر جميع أسباب الشهوة والغضب والشيطنة، وأفترض بأنه لن يعترضكم خلاله أي شيء غير مرغوب فيه، ولن يحدث أي شيء يخالف هدفكم، ومع هذه الفرضية فإن هذه المدة ستنقضي وتمر مرّ الرياح، فماذا ستكون عاقبتكم بعدها؟ ماذا ادخرتم من تلك اللذات لأجل حياتكم الباقية؟ لأجل يوم عجزكم ووحدتكم؟ لأجل برزخكم وقيامتكم؟ لأجل لقائكم بملائكة الله وأوليائه وأنبيائه؟ هل ادخرتم سوى الأعمال القبيحة المنكرة التي ستقدم صورها لكم في البرزخ والقيامة وهي صور لا يعلم حقيقتها إلا الله تبارك وتعالى؟!

العذاب الإلهي

أيها العزيز! لقد ثبت في الحكمة المتعالية أن درجات الشدة غير محدودة، فمهما تتصور أنت ومهما تتصور العقول بأسرها شدة العذاب فوجود عذاب أشد أمر ممكن أيضاً، وإذا لم تر برهان الحكماء، ولم تصدق كشف أهل الرياضات، فأنت بحمد الله مؤمن تصدّق الأنبياء صلوات الله عليهم، وتقر بصحة الأخبار الواردة في الكتب المعتبرة التي يقبلها جميع علماء الإمامية، وتقرّ بصحة الأدعية والمناجاة الواردة عن الأئمة المعصومين سلام الله عليهم. أنت الذي رأيت مناجاة مولى المتقين أمير المؤمنين سلام الله عليه، ورأيت مناجاة سيد الساجدين عليه السلام في دعاء أبي حمزة الثمالي.. فتأمل قليلاً في مضمونها، وفكر شيئاً ما في محتواها وتمعن في فقراتها، فليس ضرورياً أن تقرأ دعاء طويلاً دفعة واحدة وبسرعة دون تفكر في معانيه. أنا وأنت ليس لدينا

حال سيد الساجدين عليه السلام كي نقرأ تلك الأدعية المفصلة بشوق وإقبال، إقرأ في الليلة ربع ذلك أو ثلثه وفكّر في فقراته، لعلّك تصبح صاحب شوق وإقبال وتوجه، وفوق ذلك كله فكّر قليلاً في القرآن، وانظر أي عذاب وعد به بحيث أن أهل جهنم يطلبون من الملك الموكل بجهنم أن ينتزع منهم أرواحهم، ولكن هيهات فلا مجال للموت.

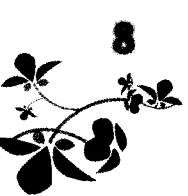
7



التوجه إلى معاني الآيات الإلهية

فكر يا عزيزي! القرآن ليس كتاب قصة وليس بممازح أحدا، أنظر ما يقول.. أي عذاب هذا الذي يصفه الله تبارك وتعالى وهو العظيم الذي لا حد لعظمته ولا انتهاء لعزته وسلطانه، يصفه بأنه شديد وعظيم.. فماذا وكيف سيكون؟! الله يعلم لأن عقلي وعقول جميع البشر قاصرة عن تصوره.

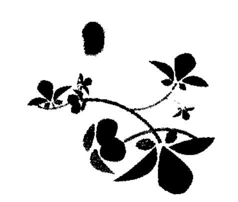
8



الغفلة

ويل لنا من غفلتنا، وويل لنا من شدة سكرات الموت، وويل لحالنا في البرزخ وشدائده، وفي القيامة وظلماتها، ويا ويل حالنا في جهنم وعذابها وعقابها.

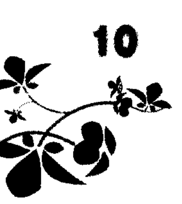
9



إثبات جهنم

أيها العزيز.. إن وجود جهنم والعذاب الأليم من ضروريات جميع الأديان ومن البراهين الواضحة، وقد رأى نماذج لها في هذا العالم أصحاب المكاشفة وأرباب القلوب. ففكّر وتدبر بدقة فإذا احتملت الصحة ألا ينبغي لك أن تهيم في الصحاري كمن أصابه المس؟ ماذا حدث لنا لكي نبقى إلى هذا الحد في نوم الغفلة والجهالة؟ علي بن الحسين وهو إمام معصوم يقطع القلوب بنحيبه وتضرعه ومناجاته وعجزه وبكائه، فماذا دهانا حتى صرنا لا نستحي أبداً فنهتك في محضر الربوبية كل هذه المحرمات والنواميس الإلهية؟

10



تهذيب النفس

أيها العزيز، انهض من نومك، وتنبه من غفلتك واشدد حيازيم الهمة واغتنم الفرصة ما دام هناك مجال وما دام في العمر بقية وما دامت قواك تحت تصرفك وشبابك موجوداً ولم تتغلب عليك بعد الأخلاق الفاسدة، ولم تتأصل فيك الملكات الرذيلة، فابحث عن العلاج واعثر على الدواء لإزالة تلك الأخلاق الفاسدة والقبيحة، وتلمَّس سبيلاً لإطفاء نائرة الشهوة والغضب.

11

التوجه إلى الله

أيها العزيز.. لا تعرّض نفسك للغضب الالهي من أجل خيال باطل ومحبوبية بسيطة في أعين العباد الضعاف، ولا تبع ذلك الحب الإلهي والكرامات غير المحدودة، وتلك الألطاف والرحمات الربانية لا تبعها بمحبة بسيطة عند مخلوق ليس له أي أثر، ولا تكسب منه أية ثمرة سوى الندامة والحسرة، وذلك عندما تقصر يداك عن هذا العالم - وهو عالم الكسب - وينقطع عملك، ولا يكون للندم حينئذٍ نتيجة ولا للإنابة من فائدة.. أيها المسكين العابد للنفس، والذي تركَت الشيطان والجهل يتصرفان في قلبك، ومنعت يد الحق أن تتصرف فيه، أي إيمان لديك حتى تكون محلاً لتجلّي الحق والسلطة المطلقة؟ اعلم إذاً أنك ما دمت على هذه الحال، وما دامت رذيلة الغرور موجودة فيك فأنت كافر بالله، ومحسوب من زمرة المنافقين رغم زعمك بأنك مسلم ومؤمن بالله.



12

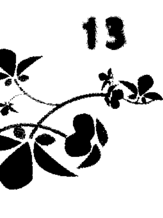
الإخلاص

أيها العزيز، أطلب السمعة والذكر الحسن من الله، التمس قلوب الناس مِن مالك القلوب، اعمل أنت لله وحده فستجد أن الله تعالى - فضلاً عن الكرامات الأخروية - سيتفضلِ عليك في هذا العالم نفسه بكرامات عديدة، فيجعلك محبوباً، ويعظّم مكانتك في القلوب، ويجعلك مرفوع الرأس وجيهاً في كلتا الدارين. ولكن إذا استطعت فخلّص قلبك بصورة كاملة بالمجاهدة والمشقة، من هذا الحب أيضاً، وطهّر باطنك كي يكون العمل خالصاً من هذه الجهة فيتوجه القلب إلى الله فقط، وتنصع الروح وتزول أدران النفس. فأية فائدة تجني من حب الناس الضعاف لك أو بغضهم،وما للشهرة والصيت عند العباد وهم لا يملكون شيئاً من دون الله تعالى؟ وحتى لو كانت هناك فائدة من هذا الحب على سبيل الفرض فإنما هي فائدة تافهة ولأيام معدودة،هذا الحب قد يجعل عاقبة عمل الإنسان إلى الرياء، و يجعل الإنسان - لا سمح الله - مشركاً ومنافقاً وكافراً.

وإذا لم يفتضح الانسان في هذا العالم، فسيفتضح في محضر العدل الرباني، عند عباد الله الصالحين وأنبيائه العظام وملائكته المقربين ويهان ويصبح مسكيناً. إنها فضيحة ذلك اليوم وما أدراك ما تلك الفضيحة، الله يعلم أية ظلمات تلي تلك المهانة في ذلك المحضر! في ذلك اليوم - كما يقول الله تعالى في كتابه - يتمنى الكافر قائلاً **﴿يا ليتني كنت تراباً﴾** ولكن لا جدوى لهذا التمني.

أيها المسكين، إنك ولأجل محبة بسيطة جزئية، ومنزلة عديمة الفائدة بين العباد أغفلت تلك الكرامات وفقدت رضا الله وعرّضت نفسك لغضبه تعالى.

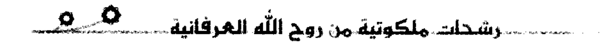




13

مراقبة النفس

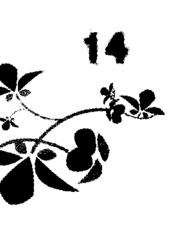
أيها العزيز.. استيقظ وأبعد عنك الغفلة والسكرة وزن أعمالك بميزان العقل قبل أن توزن في ذلك العالم، وحاسب نفسك قبل أن تحاسب. واجلِ مرآة القلب من الشرك والنفاق والتلون، ولا تدع صدأ الشرك والكفر يحيط به بمستوى لا يمكن جلاؤه حتى بنيران ذلك العالم. لا تدع نور الفطرة يتبدل بظلمة الكفر، لا تدع هذه الآية **﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾** تضيع. لا تخن هذه الأمانة الإلهية، نظّف مرآة قلبك لكي يتجلى فيها نور جمال الحق فيغنيك عن العالم وكل ما فيه، وتتوهج نار العشق الإلهي في قلبك، فتحرق الأنواع الأخرى من الحب، فلا تستبدل حينذاك لحظة واحدة من الحب الالهي بجميع هذا العالم، وتعتبر جميع اللذات الحيوانية لعباً ولهواً أمام لذة مناجاة الله وذكره. وإذا لم تكن من أهل هذه العوالم ورأيت هذه المعاني غريبة عجيبة لديك،



فإياك أن تضيِّع تلك النعم الإلهية في العالم الآخر والتي ذكرت في القرآن المجيد وأخبار المعصومين عليهم السلام وتخسرها من أجل جذب قلوب المخلوقين.

لا تضيّع كل هذا الثواب من أجل شهرة وهمية في أيام معدودات، لا تحرم نفسك من كل هذه الكرامات، لا تبع السعادة الأبدية بالشقاء الدائم.

14



الدقة في الأعمال

أيها العزيز، استيقظ وانتبه وافتح أذنيك، وحرّم نوم الغفلة على عينيك، واعلم أن الله خلقك لنفسه كما يقول في الحديث القدسي "**يا بن آدم خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي**" واتخذ من قلبك منزلاً له، فأنت وقلبك من النواميس والحرمات الإلهية، والله تعالى غيور فلا تهتك حرمته وناموسه إلى هذا الحد، ولا تدع الأيادي تمتد إلى حرمه وناموسه. احذر غيرة الله وإلاّ فضحك في هذا العالم بصورة لا تستطيع إصلاحها مهما حاولت. أَتُقَدِّم لغير الحق ما كان يتشبه به الأولياء بالحق تعالى من الأخلاق الفاضلة وتمنح قلبك لخصم الحق؟ وتشرك في باطن ملكوتك؟ كن على حذر من الحق تعالى فإنه مضافاً إلى هتكه لناموس مملكتك في الآخرة وفضحه لك أمام الأنبياء العظام والملائكة المقربين، سيفضحك في هذا العالم ويبتليك بفضيحة لا

يمكن تلافيها وبتمزيق عصمة لا يمكن ترقيعها.

إن الحق تعالى "ستّار" ولكنه غيور أيضاً.. إنه "أرحم الراحمين" ولكنه "أشد المعاقبين" أيضاً، يستر ما لم يتجاوز الحد، فقد تؤدي هذه الفضيحة الكبرى - لا سمح الله - إلى تغليب الغيرة على الستر كما سمعت في الحديث الشريف.

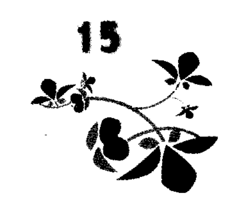
فارجع إلى نفسك قليلاً، وعد إلى الله فإنه رحيم، وهو يبحث عن ذريعة لإفاضة الرحمة عليك. وإذا أنبت إليه، فإنه يستر بغفرانه معاصيك وعيوبك الماضية فلا يطلع عليها أحداً، ويجعلك صاحب فضيلة، ويظهر فيك الأخلاق الكريمة، ويجعلك مرآة لصفاته تعالى ويجعل إرادتك فعالة في ذلك العالم كما أن إرادته نافذة في جميع العوالم. وقد ورد في حديث منقول أن أهل الجنة عندما يستقرون في الجنة تبلغهم رسالة من الحق تعالى خلاصتها: "من الحي القيوم الذي لا يموت إلى الحي القيوم الذي لا يموت. إني أقول للشيء كن فيكون وقد جعلتك اليوم تقول للشيء كن فيكون".

لا تكن محباً لنفسك، سلّم إرادتك للحق تعالى، فإن الذات المقدسة تتفضل عليك بجعلك مظهراً لإرادتها ومتصرفاً في الشؤون المختلفة، وتخضع لقدرتك مملكة الإيجاد في الآخرة، وهذا

غير التفويض الباطل، كما هو معلوم في محله.

فيا أيها العزيز، أنت أعرف بنفسك فاختر إمّا هذا وإمّا ذاك فالله غني عنا وعن كل المخلوقات. إنه غني عن إخلاصنا وإخلاص كل الموجودات.

15



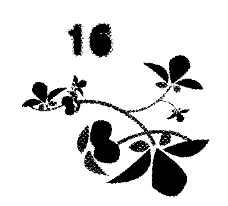
محاسبة النفس

أيها العزيز، كن دقيقاً في أعمالك وحاسب نفسك في كل عمل واستنطقها عن الدافع في الأعمال الخيّرة والشريفة فما الذي يدفعها إلى السؤال عن مسائل صلاة الليل أو ترديد الأذكار؟ هل تريد أن تتفهم أحكام صلاة الليل أو تتعلمها قربة إلى الله؟ أو تريد أن توحي إلى الناس بأنكَ من أهل صلاة الليل؟ لماذا تريد أن تخبر الناس بأي أسلوب كان عن الزيارة للمشاهد المشرفة وحتى عن عدد الزيارات؟ لماذا لا ترضى أن لا يطلع أحد على الصدقات التي تعطيها في الخفاء، وتحاول أن تتحدث عنها ليطلع عليها الناس؟ إذا كان ذلك لله وتريد أن يتأسى به الناس باعتبار أن "الدال على الخير كفاعله" فإن إظهاره حسن واشكر الله على هذا الضمير النقي والقلب الطاهر!

ليكن الإنسان حذراً في حديثه مع النفس، فلا ينخدع بمكرها

وإظهارها العمل الريائي له بصورة عمل مقدس، فالعمل إن لم يكن لله فتركه أولى لأنه سيكون من طلب السمعة ومن شجرة الرياء الملعونة. ولن يقبل الله المنان ذلك العمل بل يأمر بإلقائه في سجّين. يجب علينا أن نستعيذ بالله تعالى من شر مكائد النفس فإن مكائدها خفية جداً ونحن نعلم إجمالاً أن أعمالنا ليست خالصة لله.

16



توبيخ النفس

ويل لأهل الطاعة والعبادة والعلم والديانة الذين عندما يفتحون أبصارهم ويقيم سلطان الآخرة قدرته، يرون أنفسهم من أهل كبائر المعاصي، لا بل من أهل الكفر والشرك، بحيث أن صحيفة أعمالهم تكون أشد سواداً من صحائف الكفار والمشركين.

وويل لمن يدخل بصلاته وطاعته جهنم. الويل لمن تكون صورة صدقته وزكاته وصلاته أبشع مما يمكن تصوره. أيها المسكين المرائي أنت مشرك وأما العاصي فقد يكون موحدا. إن الله يرحم بفضله العاصي إن شاء، لكنه يقول إنه لن يرحم المشرك إذا رحل من الدنيا دون توبة.

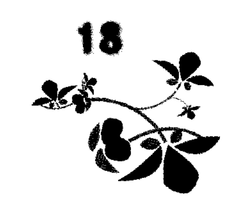
17



الموحد المخلص

يا أيها العزيز، فكر لتجد سبيلاً لنجاتك، واعلم أن الشهرة بين الناس وهم باطل؛ إنها ليست بشيء. إن قلوب هؤلاء التي لو أكلها عصفور ما شبع ما هي إلاّ قلوب ضعيفة تافهة لا طاقة لها على شيء، وإن هذا المخلوق الضعيف لا حول له ولا قوة. القوة هي قوة الله فهو الفاعل المطلق ومسبب الأسباب.إن الناس لو اجتمعوا جميعاً وكان بعضهم لبعض ظهيراً لما استطاعوا أن يخلقوا ذبابة، ولو سلبتهم الذبابة شيئاً لما استطاعوا استرجاعه منها. القوة لله تعالى وهو المؤثر في جميع الموجودات. أكتب على قلبك بمداد العقل - مهما قاسيت في ذلك وعانيت - أن "لا مؤثر في الوجود إلاّ الله".

18



الدعاء والالتجاء إلى الله

أطلب من الله الرحيم في كل حين، وخصوصاً في الخلوات، وبتضرع وعجز وتذلل، أن يهديك بنور التوحيد حتى تعلم أن كل العالم الواهي وجميع ما فيه لا شيء، واسأل الذات المقدسة بكل تضرع أن تجعل أعمالك خالصة وأن تهديك إلى طريق الخلوص والولاء.

راقب قلبك وانتبه له، وأخضع أعمالك وتعاملك وحركاتك وسكناتك للملاحظة، وفتش في خبايا قلبك وحاسبه حساباً شديداً مثلما يحاسب شخص من أهل الدنيا شريكه.

19



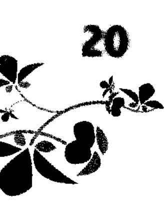
العجب

أيها الممكن المسكين الجاهل بنفسك وبعلاقتك بالله! أيها الممكن السّيىء الحظ الغافل عن واجباتك إزاء مالك الملوك، إن هذا الجهل هو سبب جميع ما يلحقك من سوء التوفيق وهو الذي ابتلانا بجميع الظلمات والمكدرات. إن فساد الأعمال يكون من الأساس التي نشأت منه كما أن الماء قد يتلوث من المنبع، إن عيون معارفنا عمياء، وقلوبنا ميتة، وهذا سبب جميع المصائب، وبالرغم من كل ذلك لسنا حتى بصدد إصلاح أنفسنا!

الويل لمن يعامله الباري تعالى بعدله، فإن التعامل بالعدل لا ينجي أحدا من الأولين والآخرين. أي كمال يملكه "الممكن"

بنفسه لكي يتظاهر بالكمال؟ وأية قدرة يمتلكها لكي يتاجر بها؟ نحن المساكين الذين قد ران حجاب الجهل والغفلة والعجب والمعاصي على قلوبنا وقوالبنا وغشي أبصارنا وأسماعنا وعقولنا وكافة قوانا المدركة ، أخذنا نستعرض عضلاتنا في مقابل قدرة الله القاهرة، ونعتقد أن لنا استقلالاً وشيئية بذواتنا!

20



عبادة النفس

أيها المتوسل بالأذكار والأوراد والمستحبات والواجبات، والتارك للمكروهات والمحرمات والمتخلق بالأخلاق الحسنة، والمتجنب لسيئات الأخلاق، ضع أعمالك أمام عين الإنصاف، أتقوم بها لأجل الوصول إلى الشهوات النفسانية والجلوس على سرر مطعّمة بالزبرجد، ومعانقة الضحوكات والدعوبات في الجنة، وارتداء الحرير والاستبرق والسكن في القصور الفارهة الجميلة والوصول إلى الأماني النفسية؟ أفينبغي أن تمن بهذه الأعمال على الله وتعدها عبادة وهي جميعاً لأجل النفس؟ هل يختلف حالك عن ذلك الأجير الذي يُنْجِز عملاً من أجل الأجر ثم يقول إنني أنجزت ذلك العمل لأجل صاحب العمل فحسب، أفلا تكذبه؟ ألستم كاذبين حينما تقولون إننا نصلي تقرباً إلى الله تعالى؟ ألأجل التقرب إلى الله هذه الصلاة أم لأجل التقرب إلى نساء الجنة وإشباع

الشهوة؟ أقولها بصراحة: إن جميع عباداتنا هذه لهي من كبائر الذنوب عند العرفاء بالله وأوليائه.

أيها المسكين! أنت في حضرة الله جل جلاله، وفي محضر الملائكة المقربين، تعمل خلاف رضا الله تعالى، والعبادة التي هي معراج القرب تؤديها لأجل النفس الأمارة بالسوء ولأجل الشيطان وعندها لا تستحي أن تكذب في العبادة عدة أكاذيب في حضرة الرب والملائكة المقربين وتفتري عدة افتراءات، وتمن وتعجب وتتدلل أيضاً، ولا تخجل!

ان جميع أعمالنا هي من أجل اللذات النفسانية ومن أجل الاهتمام بالبطن والفرج. إننا عباد للبطن وعباد للشهوة، نترك لذةً للذة أعظم، ووجهة أنظارنا وقبلة آمالنا هي فتح بساط الشهوة. والصلاة التي هي معراج القرب إلى الله نؤديها قربة لنساء الجنة ولا علاقة لها بالقرب من الله وطاعته ، وهي بعيدة آلاف الفراسخ عن رضا الله.

21

العبودية الخالصة

أيها العزيز، إن الصلاة التي تكون لأجل المرأة، سواء أكانت في الدنيا أم في الجنة، لا تكون لله. الصلاة التي تكون من أجل الحصول على آمال الدنيا أو آمال الآخرة، لا علاقة لها بالله فلماذا إذاً تتدلل إلى هذا الحد، وتنظر إلى عباد الله بعين الاحتقار، وتحسب نفسك من خواص الله تعالى؟ أيها المسكين! أنت بهذه الصلاة مستحق للعذاب ومستوجب لسلسلة طولها سبعون ذراعاً. فلماذا إذن تحسب نفسك دائناً لله وتهييء لنفسك بهذا التدلل والعجب عذاباً آخر؟ إعمل الأعمال التي أمرت بها واعلم أنها ليست لأجل الله. واعلم أن الله يدخلك الجنة بتفضله ورحمته، وأنه تعالى خفف

عن عباده لضعفهم بالتجاوز عن نوع من الشرك وأسدل عليه بغفرانه ورحمته حجاب ستره، فحاذر أن يتمزق هذا الحجاب، وليبق حجاب غفران الله على هذه السيئات التي أسميناها عبادة، فإذا حدث لا سمح الله أن انطوت صفحتك هذه ورحلت من هذه الدنيا وجاءت صفحة العدل فإن عفونة عبادتنا عندئذٍ لن تقل عن عفونة المعاصي والموبقات التي يرتكبها أهل المعاصي.



محبّ الله

أيها المسكين الجاهل بأحوال المحبين! يا سيّىء الحظ الذي لم يطّلع على قلوب المحبين و لهب شوقها للحق سبحانه. أيها المسكين الغافل عن حرقة المخلصين ونور أعمالهم! أوتظن أن أعمالهم أيضاً مثل أعمالي وأعمالك؟ أوتتوهم أن ميزة صلاة أمير المؤمنين عليه السلام عن صلاتنا أنه عليه السلام كان يمد "الضالين" أكثر أو أن قراءته أصح أو أن سجوده أطول وأذكاره وأوراده أكثر؟ هل أن ميزة ذلك الرجل العظيم في أنه كان يصلي عدة مئات من الركعات ليلياً؟ أوتظن أن مناجاة سيد الساجدين مثل مناجاتي ومناجاتك؟ وأنه كان يتحرق ويتضرع ويتلظى بتلك الصورة من أجل الحور العين والكمَّثرى والرمان من نعم الجنة؟ أقسم به صلوات الله وسلامه عليه (وإنه لقسم عظيم) لو أن المحبين بعضهم كان ظهيراً لبعض وأرادوا أن يتفوهوا بكلمة (لا إله إلا الله) مرة واحدة مثل ما كان

يقولها أمير المؤمنين عليه السلام لما استطاعوا. فكم أكون تعيساً وشقياً أن لا أكون على خطى علي وأنا من العارفين لمقام ولاية علي عليه السلام؟

أقسم بمقام علي بن أبي طالب عليه السلام، لو أن الملائكة المقربين والأنبياء المرسلين ـ عدا الرسول الخاتم الذي هو مولى علي وغيره ـ أرادوا أن يُكَبِّروا مرة واحدة تكبيراً على غرار ما كان يكبّر علي لما استطاعوا.. وأما الوقوف على قلوبهم فلا يعرف أحد شيئاً إلاّ حملة تلك القلوب وأصحابها!

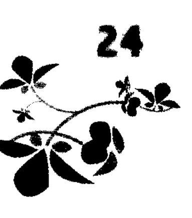


طلب الله باللسان

يا أيها العزيز! لا تتباهى بقربك من الله ولا تبالغ في حبك له. أيها العارف، أيها الصوفي، أيها الحكيم، أيها المجاهد، أيها المرتاض، أيها الفقيه، أيها المؤمن، أيها المقدس، أيها المساكين المبتلون يا سيّئي الحظ المغلوبين بمكائد النفس وهواها. أيها المساكين المبتلون بالآمال والأماني وحب النفس، كلكم مساكين، كلكم بعيدون فراسخ عن الإخلاص وعبادة الله، لا تحسنوا الظن بأنفسكم إلى هذا الحد، لا تتغنجوا ولا تتدللوا. إسألوا قلوبكم: هل تبحث عن الله؟ أم تريد ذاتها؟ هل هي موحدة وتطلب الواحد أم مشركة وتعبد اثنين؟ فماذا يعني إذاً كل هذا العجب؟ ماذا يعني إذاً التعالي بالعمل إلى هذا الحد؟ هل أنتم مسلمون وخالصون من الشرك؟ هل صلاتكم وعبادتكم وحياتكم ومماتكم لله؟ ألا تخجلون بعد هذا أن تقولوا في الصلاة "الحمد لله رب العالمين" فهل حقاً تقرون بأن المحامد

كلها لله في حين أنكم تقرون بالحمد لعباده بل ولأعدائه؟ أليس قولكم ﴿رب العالمين﴾ كذباً حين تقرون في الوقت نفسه بالربوبية لغيره في هذا العالم، أفلا يحتاج ذلك إلى التوبة والخجل؟ وحينما تقول ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ فهل تراك تعبد الله أم تعبد بطنك وفرجك؟ هل أنت طالب لله أو للحور العين؟ هل تطلب العون من الله فقط؟ أم أنك لا تأخذ الله بعين الاعتبار في الأعمال؟ فيا أيها الأخ، كن حذراً تجاه مكائد النفس والشيطان، واعلم أنه لن يدعك أيها المسكين تؤدي عملاً واحداً بإخلاص، وحتى هذه الأعمال غير الخالصة التي تقبّلها الله تعالى منك بفضله، لا يدعك الشيطان تصل بها إلى الهدف.

24



الكبر

يا أيها العزيز ما يحتوي عليه رأسك من دماغ تحتويه رؤوس الآخرين أيضاً، إذا كنت متواضعاً احترمك الناس قهراً واعتبروك كبيراً، وإذا تكبرت على الناس لم تنل منهم شيئاً من الاحترام. بل إذا استطاعوا أن يذلوك لأذلوك ولم يكترثوا بك. وإن لم يستطيعوا إذلالك، لكنت وضيعاً في قلوبهم وذليلاً في أعينهم ولا مقام لك عندهم. إفتح قلوب الناس بالتواضع. لا أعرف إذا أذلّ الله شخصاً ماذا يصنع به؟ وبماذا يبتليه؟ فأمور الآخرة تختلف عن أمور الدنيا كثيراً. إن الذل في الدنيا يغاير الذل في الآخرة، كما أن نعم الآخرة وعذابها، لا تتناسب مع هذا العالم، إن نعمها تفوق تصورنا، وإن عذابها لا يخطر على بالنا. إن كرامتها أسمى من تصورنا، والذل فيها يختلف عن الذل والهوان الذي نعرفه، وتكون عاقبة المتكبر النار.

25



حالات النفس

أيها العزيز! إن العرفان بالله، كما تعلم، يحيل القلب إلى محل تتجلى فيه أسماء الله وصفاته وينزل فيه السلطان الحقيقي الذي يمحو آثار التلوث ويطرد التعين: **﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة﴾** إنه يجعل القلب أحدياً أحمدياً، فلماذا إذاً جعل قلبك والهاً بجمالك، وزاد في تلونك، وضاعف في تعيناتك وإضافاتك وأبعدك عن الحق تعالى وتجليات أسمائه، وجعل قلبك موطناً للشيطان، تنظر إلى عباد الله وأصحاب أبواب الحق ومظاهر جمال المحبوب نظر تحقير وازدراء؟ إنك تتكبر على الله وتتفرعن في حضرة ذات الله وأسمائه وصفاته.

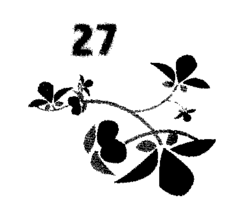
26



العالم بلا عمل

يا طالب المفاهيم!

يا مضيع الحقائق تمهل، أنظر إلى ما لديك من المعارف فما الأثر الذي تراه من الحق وصفاته في نفسك؟ لعل علم الموسيقى والإيقاع أدق من علمك، واصطلاحات العلوم الأخرى كالفلك والميكانيك وسائر العلوم الطبيعية والرياضية تضاهي اصطلاحات علمك. فكما أن تلك العلوم لا عرفان لها بالله فإن علمك الذي حجبته الاصطلاحات وسجف المفاهيم والاعتبارات، كذلك لا يرجى منه تغيير في نفس ولا في حال. إن المعارف التي تزيد من كدر القلب ليست بمعارف.

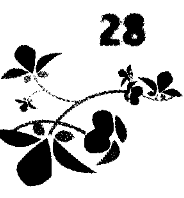


27

حجاب العلم

الويل من معارف تجعل عاقبة صاحبها وارثاً للشيطان!

إن الكبر من أخلاق الشيطان الخاصة. فقد تكبّر على أبيك آدم، فَطُرِد من حضرة الله، وأنت أيضاً مطرود لأنك تتكبر على كل الآدميين من أبناء آدم. إن تباهيك ببضعة اصطلاحات ومفاهيم وتكبرك على الناس، إنما هو دليل ضيق نفسك وقلة صبرك وعدم أهليتك! ولكن المسكين الذي يلهث وراء المصطلحات والمفاهيم يظن أنها هي الحكمة!



28

تنبيه عرفاني

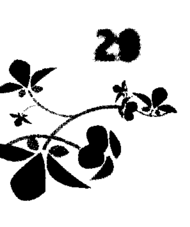
يا طالب الدنيا وسارق المفاهيم!

إن عملك هذا كما تظنه لا يدعو إلى الفخر والتكبر! إن المسكين لقلة صبره وصغر عقله ينخدع حتى بنفسه فيرى لها مقاماً وقد امتزج فيه حب النفس وحب الدنيا مع المفاهيم المسروقة والإضافات والاعتبارات فولد مولوداً مشوهاً. وعلى الرغم من كل هذه العيوب يحسب نفسه مرشد الخلائق وهادي الأمة إلى النجاة ومالك سر الشريعة! بل قد تتجاوز وقاحته الحدود، فيرى نفسه في مقام الولاية الكلية. وهذا ناشىء أيضاً من صغر العقل وضيق القلب والصدر وقلة الاستعداد والأهلية.

وأنت أيضاً يا طالب علوم الفقه والحديث وسائر العلوم الشرعية، لا تملك من علمك أكثر من حفنة من الاصطلاحات الخاصة بالأصول والحديث. فإذا لم يضف إليك هذا العلم، الذي

يرتبط كله بالعمل، ولم يصلحك بل أنتج المفاسد الأخلاقية والعملية فإن عملك أحط من عمل علماء سائر العلوم الأخرى بل أتفه وأقل من عمل كل العوام.

أنت أيها المسكين لا تنال سوى الوزر والوبال، ولا تحصد غير المفاسد الأخلاقية والأعمال القبيحة. وعليه فإن علمك من حيث الاعتبار العلمي ليس فيه ما يدعو إلى التكبر، بل كل ما في الأمر أنك لضيق أفقك العلمي ما أن تضع اصطلاحاً فوق اصطلاح حتى تحسب نفسك عالماً وسائر الناس جاهلين وتفترش أجنحة الملائكة تحت أقدامك وكأنها تطير بك، وتضيّق على الناس في المجالس وفي الطرقات.



الخيالات البشرية

الأحط من هذا والأصغر مكانة هو ذلك الذي يتكبّر ويتباهى بالأمور الخارجية مثل المال والجاه والخدم والحشم والقبيلة. فهذا المسكين بعيد عن الخلق البشري والأدب الإنساني فارغ اليد من كل العلوم والمعارف. ولكن بما أن ملابسه من أجود الأصواف، وأباه فلان بن فلان، فهو يتكبر على الناس، فما أضيق عقله وأشد ظلام قلبه! إنه يقتنع من كل الكمالات باللباس الجميل، ومن كل جمال بالقبعة والرداء! يرتضي المسكين مقام الحيوانية ويقبل بحظها، ويقتنع من جميع المقامات الانسانية السامية بالصورة الخالية من كل شكل ومضمون والفارغة من الحقيقة، ظاناً نفسه بهذا أنه ذو مقام. وفي الواقع إنه على درجة من الضعة ومن عدم اللياقة، بحيث أنه إذا شاهد أحداً أعلى منه مرتبة واحدة دنيوية يخضع له كما يخضع العبد لسيده.

30

التفكر

يا أيها الإنسان الذي لم تكن شيئاً في أول أمرك، وبقيت في كتم العدم منذ ازل الازال ، وهل من شيئ أقل شأنا من العدم والانمحاء من صفحة الوجود؟ ثم لما تعلّقت إرادة الله بإظهارك إلى عالم الوجود أخرجك من منتهى نقص القابلية والسفالة واللاشيئية حيث لم تكن مستعداً لقبول الفيض وجعلك بالصورة الجسمية والعنصرية التي هي أخس الموجودات وأحط الكائنات بعد أن كنت في هيولى العالم التي هي محض القوة وصرف الضعف وهناك أخرجك نطفة تستقذرها.. ثم جعلك علقة ثم مضغة وغذاك بغذاء لو سمعت عنه لنفرت وخجلت.. ولكن البلية إذا عمّت طابت.

في كل هذه التطورات كنت أرذل الموجودات وأذلّها وأحطّها خالياً من جميع الإدراكات الظاهرية والباطنية بريئاً من كل

الكمالات، إلى أن أصبحت جديراً بالظهور في محيط الدنيا، فأظهرك فيها من خلال أشد المجاري ضعة وفي أخس الحالات. وبعد أن منحك بقدرته قواك الظاهرية والباطنية ولم تزل ضعيفاً وتافهاً بحيث أن أياً من قواك ليست تحت تصرفك، فلست بقادر على المحافظة على صحتك، ولا على قواك ولا على حياتك ولست بقادر على الاحتفاظ بشبابك وجمالك. وإذا ما هاجمتك آفة أو انتابك مرض فلا تستطيع دفعهما عنك. وعلى العموم، ليس تحت تصرفك شيء من ذلك. لو جعت يوماً لتنازلت حتى لأكل الجيفة، ولو غلبك العطش لما امتنعت عن شرب أي ماء آسن. وهكذا أنت في شؤونك الأخرى عبد مسكين ذليل لا قدرة لك على شيء.

31

حقيقة الإنسان

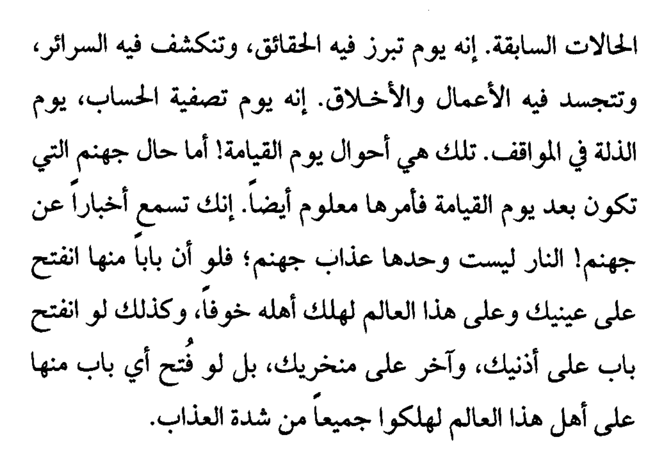
أيها العزيز! إنك لم تر سوى نفسك، ولم تضع ما رأيت موضع الاعتبار والمقارنة. أنظر إلى نفسك وما تملكه من شؤون الحياة وزخارف الدنيا وقارنها بمدينتك. وقارن مدينتك بوطنك، ووطنك بسائر الدول في الدنيا التي لم تسمع بأكثر من واحد في المائة منها، وقارن كل الدول بالكرة الأرضية، والأرض بالمنظومة الشمسية الواسعة التي تعيش من فضل أشعة الشمس المنيرة. وقارن كل المنظومة الشمسية الخارجة عن محيط فكري وفكرك بالمنظومات الشمسية الأخرى التي تعدّ شمسنا وجميع كواكبها، واحدة من سيارات إحدى تلك المنظومات التي لا يمكن أن تقارن شمسنا معها.

هذه شؤون حياتك وحياتي، وهذه حظوظنا ونصيبنا من عالم الوجود. وعندما تشاء إرادة الله أن تتوفاك من هذه الدنيا،

فإنه يأمر جميع قواك بالمضي نحو الضعف، وجميع حواسك بالتوقف عن العمل، فتختل أجهزة وجودك، ويذهب سمعك وبصرك، وتضمحل قواك وقدرتك، فتصير قطعة جماد تزكم بعد أيام رائحتك العفنة أنوف الناس وتؤذي مشامهم، ويهربون من صورتك وهيئتك. وما أن تمضي عليك أيام أخر حتى تهترىء أعضاؤك وتتفسخ. هذه هي أحوال جسمك، أما أحوال أموالك وثروتك فأمرها معروف.

وأما عالم برزخك: فإنك إن انتقلت من هذه الدنيا ـ لا سمح الله ـ قبل أن تصلحه، فالله يعلم كيف تكون صورتك، وكيف تكون أحوالك إذ أن قوى الإدراك في هذا العالم عاجزة عن أن تسمع أو ترى أو تشم شيئاً من ذلك العالم. إن ما تسمعه عن ظلمة القبر ووحشته وضيقه إنما تقيسه على ما في هذا العالم من ظلمة ووحشة وضيق مع أن هذه المقارنة وهذا القياس باطل. نسأل الله أن ينجينا مما أعددنا لأنفسنا بأنفسنا!

إن عذاب القبر أنموذج من عذاب الآخرة، والمستفاد من بعض الأحاديث أن أيدينا تقصر عن الوصول إلى شفاعة الشفعاء في القبر، فيا له من عذاب! إن نشأة الآخرة أشد وأفظع من جميع



الحالات السابقة. إنه يوم تبرز فيه الحقائق، وتنكشف فيه السرائر، وتتجسد فيه الأعمال والأخـلاق. إنه يوم تصفية الحساب، يوم الذلة في المواقف. تلك هي أحوال يوم القيامة! أما حال جهنم التي تكون بعد يوم القيامة فأمرها معلوم أيضاً. إنك تسمع أخباراً عن جهنم! النار ليست وحدها عذاب جهنم؛ فلو أن باباً منها انفتح على عينيك وعلى هذا العالم لهلك أهله خوفاً، وكذلك لو انفتح باب على أذنيك، وآخر على منخريك، بل لو فُتح أي باب منها على أهل هذا العالم لهلكوا جميعاً من شدة العذاب.

إذاً فالذي أوله عدم غير متناهٍ، وهو منذ أن يضع قدمه في الوجود تكون جميع خطواته قبيحة، وكل حالاته مخجلة، وكل من دنياه وبرزخه وآخرته أفجع من الأخرى، بم يتكبر؟ بأي جمال أو كمال يتباهى؟ إن من كان جهله أكبر وعقله أصغر كان تكبره أكثر، ومن كان علمه أكثر وروحه أكبر وصدره أوسع، كان تواضعه أكثر. فامسح عن نفسك عار الجهل والانحطاط واتصف بصفات الأنبياء واترك صفات الشيطان، ولا تنازع الله في ردائه ـ الكبرياء ـ فمن ينازع الحق في ردائه فهو مغلوب ومقهور بغضبه ويكب على وجهه في النار.

32



إصلاح التكبر

إذا عزمت على إصلاح نفسك، فطريقه العملي أمر يسير مع شيء من المثابرة. وإنها طريق لو اتصفت بهمة الرجال وحرية الفكر وعلو النظر فلن تصادفك أية مخاطر. فإن الأسلوب الوحيد للتغلب على النفس الأمارة وقهر الشيطان لاتباع طريق النجاة هو العمل بخلاف رغباتهما. إنه لا يوجد سبيل أفضل لقمع النفس من الاتصاف بصفة التواضع ومن السير وفق مسيرة المتواضعين. فمهما تكن درجة التكبر لديك، ومهما تكن طريقتك في العلم والعمل، إعمل قليلاً بخلاف هوى نفسك، مع التنبّه العلمي والتفكر في النتائج الدنيوية والأخروية تسهل الطريق وتتيسّر وتصل إلى النتائج المطلوبة. فإذا رغبت نفسك بأن تتصدر المجلس متقدماً على أقرانك، خالفها واعمل عكس ما ترغب فيه. وإذا كانت نفسك تأنف من مجالسة الفقراء والمساكين فمرِّغ أنفها في التراب وجالسهم وآكلهم ورافقهم في السفر ومازحهم. وقد تجادلك

نفسك فتقول لك: إن لك مقاماً ومنزلة، وإن عليك أن تحافظ على مقامك من أجل ترويج الشريعة والعمل في سبيلها، فمجالستك للفقراء تذهب بمنزلتك من القلوب، وإن المزاح مع من هو دونك يقلل من عظمتك، وجلوسك في ذيل المجلس يحط من هيبتك، فلا تقدر أن تؤدي واجبك الشرعي على خير وجه!! إعلم أن هذه كلها من مكائد الشيطان والنفس الأمارة. لقد كان مقام رسول الله ﷺ في الدنيا من حيث الرئاسة والمركز أرفع منك، ومع ذلك كانت سيرته هي التي قرأتها وسمعت بها. فلا بد من المجاهدة الخالصة الصادقة، فبها يمكن إصلاح النفس. إن جميع الصفات النفسانية قابلة للإصلاح، إلاّ أن الأمر في البداية يتطلب بعض العناء، ولكن ما إن يضع الانسان قدمه على طريق الإصلاح حتى يسهل عليه الأمر. المهم هو أن يشرع في التفكير في تطهير نفسه وإصلاحها والاستيقاظ من النوم. إن المرحلة الأولى من مراحل الإنسانية هي اليقظة والتنبه من نوم الغفلة والصحوة من سكر الطبيعة والإدراك أن الإنسان مسافر وأنه لا بد للمسافر من زاد وراحلة. وزاد الإنسان خصاله، وراحلته في هذه المرحلة الخطرة المخيفة وفي هذه الطريق الضيِّقة وفي الصراط الذي هو أحدّ من السيف وأدق من الشعرة هي همة الرجال وعزمهم.



سفر الآخرة

يا أيها العزيز!

أشدد عزيمتك ومزّق عن نفسك سجف الجهل، وانج بنفسك من هذه الورطة المهلكة! كان إمام المتقين وسالك طريق الحقيقة ينادي في المسجد بأعلى صوته حتى يسمعه الجيران: **﴿تجهزوا رحمكم الله فقد نودي فيكم بالرحيل﴾**! وما زادٌ ينفعك سوى الكمالات النفسانية وتقوى القلب والأعمال الصالحة وصفاء الباطن وخلوص النية من كل عيب وغش. فإذا كنت من أهل الإيمان الناقص والصوري فعليك أن تطهر نفسك من هذا الغش حتى تنضم إلى زمرة السعداء والصالحين. والغش يزول بنار التوبة والندم، وبإدخال النفس في

أتون العذاب واللوم، وصهرها في حرارة الندامة والعودة إلى الله. عليك أن تعمل في هذا العالم، وإلاّ فإن ﴿**نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة**﴾ سوف تذيب قلبك. والله أعلم كم قرن من قرون الآخرة يستغرق إصلاحك هذا! إن التطهر في هذه الدنيا سهل يسير فالتغيرات والتصورات سريعة الوقوع فيها، أما في العالم الآخر فالتغيير يكون بشكل آخر، فزوال صفة من صفات النفس قد يستغرق قروناً عديدة.

34



اغتنام العمر

أيها الأخ!

ما دمت في مقتبل عمرك، وزهرة شبابك، وأوج قوتك وحرية إرادتك، سارع لإصلاح نفسك، ولا تشغل بالاً بهذا الجاه والمقام. طأ على هذه الاعتبارات بقدميك. إنك إنسان، فابعد نفسك عن صفات الشيطان، فلعلّ الشيطان يهتم بهذه الصفة اهتماماً كبيراً لكونها صفة من صفاته وهي التي أدت إلى طرده من حضرة الله، ولذلك فهو يريد أن يوقع الإنسان،سواء كان عارفاً أو عامياً، عالماً أو جاهلاً، في مثل هذه الرذيلة، حتى إذا ما لقيك يوم القيامة شمت بك قائلاً: "يا بن آدم، ألم يخبرك الأنبياء بأن التكبر على أبيك قد طردني من حضرة الحق. لقد نزلت عليَّ لعنة الله لأني احتقرت مقام آدم واستعظمت مقامي، فلماذا أوقعت نفسك في هذه الرذيلة؟ وعندئذٍ تصبح أيها المسكين موضع شماتة أرذل مخلوقات الله

وأحطها فضلاً عن عذابك وابتلاءاتك وندامتك وحسرتك التي يعجز الكلام عن وصفها. إن الشيطان لم يكن قد تكبر على الله، بل على آدم وهو من مخلوقات الحق، فقال: **﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾** واستعظم نفسه واستحقر آدم. وأنت تستصغر بني آدم وتستكبر بنفسك عليهم فأنت أيضاً تعصي أوامر الله. لقد قال لك تعالى: كن متواضعاً مع عباد الله، ولكنك تتكبر وتتعالى عليهم. فلماذا تلعن الشيطان وحده؟ أشرك نفسك الخبيثة معه في اللّعنِ أيضاً، مثلما أنت شريكه في هذه الرذيلة. إنك من مظاهر الشيطان، بل إنك تُجسِّد الشيطان. ولربما كانت صورتك في البرزخ وفي يوم القيامة صورة شيطانية. فإن المقياس في صورة الإنسان في الآخرة الملكات الحاصلة للنفس. فليس هناك ما يمنع من أن تكون على صورة الشيطان، أو على صورة نملة صغيرة. إن موازين الآخرة تختلف عن موازين الدنيا.

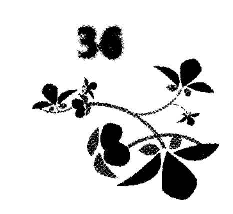
35



التنبّه

واسَوْأتاه! واحسرتاه على ما نفعله بأنفسنا! لم يفتأ الأنبياء والأولياء يصرخون في آذاننا يريدون إيقاظنا من النوم، ولكننا نزداد غفلة وشقاء يوماً بعد يوم. فيا أيها الإنسان العاقل! لا تهمل ما يمكن أن تصلحه في شهر أو في سنة مع تعب دنيوي قليل وبمحض اختيارك وتضع حداً لشقائك في الدنيا والآخرة، لكيلا ترد موارد الهلاك.

36



مراقبة النفس

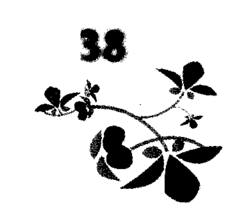
يا عزيزي، إن الحؤول منذ البداية دون تسلل المفاسد الأخلاقية أو العملية إلى مملكة ظاهرك وباطنك أيسر بكثير من إخراجها بعد توغلها، لأن ذلك يتطلب الكثير من العناء والجهد. وإذا تسللت فإنك كلما أخّرت التصدي لإخراجها، ازداد الجهد المطلوب منك وضعفت قواك الداخلية. ولا تظنن أن الرذائل النفسانية والخلق الروحية غير ممكنة الزوال. إنها ظنون باطلة توحيها إليك النفس الأمارة والشيطان لكي تنحرف عن سلوك الآخرة وإصلاح النفس. فما دام الإنسان في دار الزوال وعالم التبدل هذا، فمن الممكن أن يتغير في جميع صفاته وأخلاقه. ومهما تكن صفاته راسخة فإنها قابلة للزوال ما دام حياً في هذه الدنيا، وإنما تختلف صعوبة التصفية وسهولتها بحسب شدة هذه الصفات وضعفها.

37



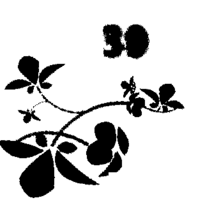
ترك حب الدنيا

أيها العزيز! بعد أن عرفت مفاسد هذا التعلق والحب، وأدركت أن ذلك يفضي بالإنسان إلى الهلاك، ويجرده من الإيمان، ويجعل دنياه وآخرته خربتين مضطربتين، فشمّر عن ساعد الجد وقلل بكل ما استطعت التعلق بهذه الدنيا، واقتلع جذور حبها من نفسك، واحتقر هذه الأيام القليلة التي تقضيها في الحياة. وازهد في خيراتها المشوبة بالألم والعذاب والنقمة، واطلب من الله أن يعينك على الخلاص من هذا العذاب وهذه المحنة ويجعل قلبك يأنس بدار كرمه.



العصبية

إعلم أيها العزيز أن هذه الخصلة الخبيثة من الشيطان، وأنها من مغالطات ذلك الملعون ومعاييره الباطلة. إنه يغالط عن طريق هذا الحجاب السميك الذي يخفي كل الحقائق عن النظر، بل يظهر كل رذائل النفس محاسن، وجميع محاسن الآخرين رذائل. ومعروف مصير الإنسان الذي يرى الأشياء على غير حقيقتها وواقعيتها. فما عليه إلاّ أن يتصدى لعلاج نفسه من هذه السجية وأن يطهر قلبه ولو من حبة خردل منها، حتى يكون طاهراً عند الانتقال من هذه الدنيا إلى العالم الآخر، فينتقل بنفس صافية. إن على الإنسان أن يدرك أن الفرصة محدودة والوقت قصير جداً لأنه لا يعلم متى يحين موعد رحيله.



رأس مال العمر

أيها العزيز! يا من تقرأ هذه الوريقات، خذ العبرة من حال هذا الكاتب الذي يرزح الآن ـ أو مستقبلاً ـ تحت الثرى، وهو في العالم الآخر مبتلى بأعماله وأخلاقه القبيحة. لقد ضيَّع الفرصة الثمينة التي كانت عنده بالبطالة والأهواء، فأتلف ذلك الرأسمال الإلهي وأباده. فانتبه إلى نفسك لأنك ستكون يوماً مثله دون أن تعلم متى يكون ذلك. فلعلك الآن وأنت مشغول بالقراءة، إذا تباطأت ذهبت الفرصة من يدك. الويل لي ولك من هذه الغفلة والعمى والصمم والجهل! يا نفس الكاتب الخبيثة! لعلّ الأجل المقدر يحين وأنتِ مشغولةٌ بالكتابة فتنتقلين مع كل الرذائل الأخلاقية إلى ذلك العالم الذي ليس منه رجوع..

40

مكائد الشيطان

يا أخي! لا تؤجل هذه الأمور لأنها لا تحتمل التأجيل، فكم من إنسان سليم وقوي فاجأه الموت في لحظة وأخرجه من هذه الدنيا إلى العالم الآخر ولا نعلم عن مصيره شيئاً. لا تضيّع الفرصة، بل اغتنم اللحظة الواحدة، لأن القضية عظيمة الأهمية، والرحلة شديدة الخطورة فإذا قصر الإنسان في هذه الدنيا التي هي مزرعة الآخرة، يكون السيف قد سبق العذل، ولن تستطيع إصلاح فساد النفس ولا يكون نصيبك سوى الحسرة والندم والذل. إن أولياء الله لم يخلدوا إلى الراحة أبداً، وكانوا دائمي الخوف من هذه الرحلة المحفوفة بالمخاطر. إن حالات علي بن الحسينعليه السلام الإمام المعصوم تثير الحيرة. وأنين أمير المؤمنين عليعليه السلام، الولي المطلق، تثير الدهشة. ما الذي جرى لنكون على هذا القدر من الغفلة؟ من الذي جعلنا نطمئن؟ لا أحد يغرينا بتأجيل عمل اليوم إلى الغد إلاّ الشيطان، إنه يريد أن يزيد من أعداد أنصاره وأعوانه،

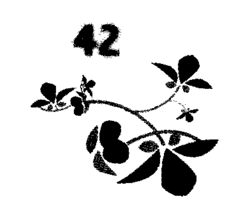
ويجعلنا نتخلق بأخلاقه حتى نحشر مع أتباعه. إن ذلك الملعون هو الذي يسعى دائماً إلى تهوين أمور الآخرة في أعيننا، وبتذكيرنا برحمة الله وشفاعة الشافعين يريد أن ينسينا ذكر الله وطاعته. ولكن يا للأسف! فهذه كلها أمنيات باطلة، وهي من أحابيل مكر ذلك الملعون وحيله. إن رحمة الله تحيط بك الآن، رحمته في صحتك وسلامتك وحياتك وأمنك وهدايتك وعقلك وفرصتك وإرشادك إلى إصلاح نفسك وإن آلاف الرحمات الإلهية المختلفة تحيط بك من جميع الجهات، ولكنك لا تنتفع بها بل تطيع أوامر الشيطان. فإذا لم تستطع أن تستفيد من رحمات هذه الدنيا فاعلم أنه لن تنالك في العالم الآخر رحمات الله اللامتناهية وتحرم من شفاعة الشافعين.

41

ترك النفاق

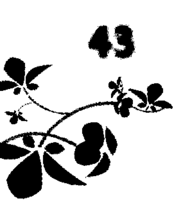
إعلم أيها العزيز أن من مراتب النفاق وحالة ذي اللسانين والوجهين النفاق مع الله، والتوجه إلى مالك الملوك وولي النعم بوجهين، وقد نكون من المبتلين به في هذا العالم ونحن غافلون عنه، لأن أستار الجهل الكثيفة وحجب الأنانية المظلمة وحب الدنيا وحب النفس مسدولة عليه ومخفية عنا ومن الصعب جداً أن ننتبه له قبل انكشاف السرائر ورفع الحجب والظعن عن دنيا الطبيعة وشد الرحال عن دار الغرور والجهل والغفلة. إننا الآن غارقون في نوم الغفلة، محكومون لسكر الطبيعة والميول والرغبات التي تزين لنا كل قبائح الأخلاق وفساد الأعمال. وإذا ما استيقظنا وصحونا

من هذه السكرة العميقة يكون قد فات الأوان، إذ نجد أنفسنا قد صرنا في زمرة المنافقين وحُشرنا بلسانين من نار أو بوجهين مشوّهين بشعين! فقد قضينا كل عمرنا بالتلون، نظهر التمسك بكلمة التوحيد، وندعي الإسلام والإيمان، بل المحبة والمحبوبية، وغير ذلك من الادعاءات على قدر ما نشتهي ونحب.



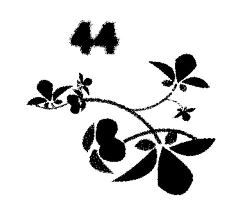
تكاليف المسلم

أيها العزيز المدّعي للإسلام، ورد في الكافي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: "**المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه**". فلماذا نقوم أنا وأنت على قدر ما نستطيع بإيصال الأذى إلى من هم أقل منا ولا نمتنع عن ظلمهم والاجحاف بحقهم؟ وإذا لم تصل أيدينا إليهم فلا نتوقف عن تجريحهم باللسان في حضورهم وفي غيابهم ونعمد إلى هتك أسرارهم والكشف عن مكنوناتهم واغتيابهم وإلصاق التهم بهم. إذاً فادّعاؤنا، نحن الذين لا يسلم المسلمون من أيدينا وألسنتنا، للإسلام مخالف للحقيقة، وباطننا يخالف ظاهرنا، وإننا من زمرة المنافقين ومن ذوي الوجهين.



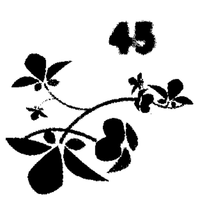
النفاق الباطني

يا من تدَّعي الإيمان وخضوع القلب في حضرة الله ذي الجلال، إذا كنت تؤمن بكلمة التوحيد ولا يعبد قلبك غير الواحد ولا يطلب غيره ولا ترى الألوهية إلاّ لذاته المقدسة، وإذا كان ظاهرك يوافق باطنك فيما تدعي فلماذا نجدك وقد خضع قلبك لأهل الدنيا كل هذا الخضوع؟ لماذا تعبدهم؟ أليس ذلك لأنك ترى لهم تأثيراً في هذا العالم، وترى أنَّ إرادتهم هي النافذة، وترى للمال وللقوة التأثير والفعالية؟ أنَّ ما لا تراه فاعلاً في هذا العالم هو إرادة الحق تعالى، ولهذا تخضع لجميع الأسباب الظاهرية، وتغفل عن المؤثر الحقيقي وعن مسبب جميع الأسباب. وبرغم ذلك كله تدعي الإيمان بكلمة التوحيد؟ إذاً أنت أيضاً خارج عن زمرة المؤمنين وداخل في زمرة المنافقين ومحشور مع أصحاب اللسانين.



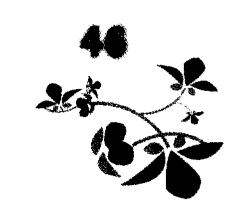
الإخلاص

أنت يا من تدعي الزهد والإخلاص، إذا كنت مخلصاً حقاً وتزهد في مشتهيات الدنيا لأجل الله ولأجل دار كرامته، فما الذي يحملك على الفرح بمديح الناس وثنائهم عليك إذ يقولون أنك من أهل الصلاح والسداد؟ لماذا يملأ السرور قلبك؟ ولماذا لا تبخل بشيء في سبيل مجالسة أهل الدنيا وتفر من الفقراء والمساكين؟ اعلم أن زهدك وإخلاصك ليسا حقيقيين، بل إن زهدك في الدنيا هو من أجل الدنيا وإن قلبك ليس خالصاً لوجه الله، وإنك كاذب في دعواك وإنك من المتلونين المنافقين.



التفكر في أحوال النفس

وأنـت يا من تدعي امتلاك الحكمة الإلهية والعلم بحقائق المبدأ والمعاد، إذا كنت عالماً بحقائق الأسباب والمسببات، وإذا كنت حقاً عالماً بالصور البرزخية وأحوال الجنة والنار، فلا بد أن لا يقرّ لك قرار، وعليك أن تصرف كل وقتك في إعمار عالم البقاء، وأن تهرب من هذه الدنيا ومغرياتها، فأنت عالم بما هنالك من مصائب وظلام وعذاب لا يطاق. إذاً لماذا لم تتقدم ولو خطوة واحدة خارج حجب الكلمات والألفاظ والمفاهيم، ولم تؤثر في قلبك البراهين الفلسفية قدر جناح ذبابة؟ إذاً أنت خارج عن زمرة المؤمنين والحكماء ومحشور في زمرة المنافقين، وويل لمن يقضي عمره وسعيه في علوم ما وراء الطبيعة، دون أن يسمح له انتشاؤه بخمر الطبيعة بدخول حقيقة واحدة إلى قلبه.



تنبيه عرفاني

وأنـت يا من تدّعي المعرفة والانجـذاب والسلوك والمحبة والفناء، إذا كنت حقاً من أهل الله ومن أصحاب القلوب ومن ذوي السابقة الحسنة فهنيئاً لك. ولكن كل هذه الشطحات وهذا التلون وتلك الادعاءات اللامسؤولة التي تكشف عن حب الذات ووسوسة الشيطان تتعارض مع المحبة والانجذاب "إن أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري". فأنت إذا كنت من أولياء الله والمنجذبين إليه ومحبيه، فإن الله يعلم بذلك، فلا تُظهر للناس مدى مقامك ومنزلتك، ولا تسعَ لتلفت قلوب عباد الله الضعيفة عن وجهة خالقها إلى وجهة المخلوق ولا تغتصب بيت الله. اعلم أن عباد الله أعزاء وقلوبهم ثمينة ويجب أن تشتغل في محبة الله فلا تتلاعب إلى هذا الحد ببيت الله ولا تتعرض لحرماته، "فإن للبيت رباً"، وإذا لم تكن صادقاً في دعواك، فأنت في زمرة أهل النفاق ومن ذوي الوجهين.

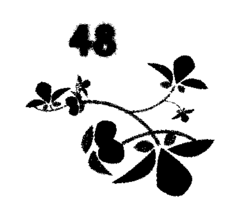


توبيخ النفس

يا أيتها النفس اللئيمة التي تتظاهرين بالتفكير للخروج من الأيام المظلمة والنجاة من هذه التعاسة، إذا كنت صادقة وقلبك يوافق لسانك، وسرّك يطابق علنك، فلماذا أنت غافلة إلى هذا الحد؟ ولماذا يسيطر عليك القلب المظلم وتتغلّب عليك الشهوات النفسانية وتتغلب عليكِ دون أن تفكري في رحلة الموت المليئة بالمخاطر؟

لقد تصرم عمرك دون أن تبتعدي عن أهوائك ورغباتك. لقد أمضيت عمراً منغمساً في الشهوة والغفلة والشقاء وسيحل الأجل قريباً، وأنت ما زلت تمارسين أعمالك وأخلاقك القبيحة. فأنت نفسك واعظ غير متّعظ، ومن زمرة المنافقين وذوي الوجهين. ولئن بقيت على هذه الحال فستحشرين بوجهين ولسانين من نار..

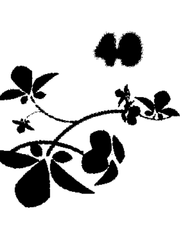
48



تكثير طلبات النفس

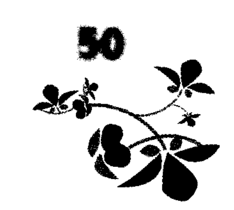
إعلم أيها العزيز أن رغبات النفس وآمالها لا تنتهي ولا تعرف حدا. فإذا اتّبعها الإنسان ولو بخطوة واحدة، فسوف يضطر إلى أن يتبع تلك الخطوة خطوات. ولئن فتحت باباً واحداً لهوى نفسك، فإن عليك أن تفتح أبواباً عديدة له. إنك باتباعك هوى واحداً من أهواء النفس توقعها في عدد من المفاسد، ومن ثم سوف تبتلى بآلاف المهالك، حتى تنغلق ـ لا سمح الله ـ جميع طرق الحق بوجهك في آخر لحظات حياتك، كما أخبر الله بذلك في نص كتابه الكريم.

49



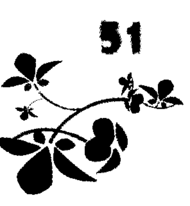
مسؤولية الشيعة

يا أخي، إذا كنت تعرف أنك من أتباع النبي صلى الله عليه وآله، وتريد أن تحقق أهدافه، فاعمل على أن لا تضعه موضع الخجل بقبيح عملك وسوء فعلك. تُرى إذا كان أحد أولادك أوالمقربين إليك يعمل القبيح من الأعمال التي تتعارض وشأنك، فكم سيكون ذلك مدعاة لخجلك من الناس وسبباً في طأطأة رأسك أمامهم؟ إعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام هما أبَوَا هذه الأمة بنص ما قاله النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: "أنا وعلي أبوا هذه الأمة". فلو أُحضرنا في حضرة رب العالمين يوم الحساب أمام نبيّنا وأئمتنا، ولم يكن في كتاب أعمالنا سوى القبيح من الأعمال، فإن ذلك سوف يصعب عليهم ولسوف يشعرون بالخجل في حضرة الله والملائكة والأنبياء. وهذا هو الظلم العظيم الذي نكون قد ارتكبناه بحقهم، وإنها لمصيبة عظمى نبتلى بها، ولا نعلم ما الذي سيفعله الله بنا.



التفكر

فيا أيها الإنسان الظلوم الجهول، يا من تظلم نفسك! كيف تكافىء أولياءك الذين بذلوا أموالهم وأرواحهم في سبيل هدايتك وتحملوا أشد المصائب وأفظع القتل وأقسى السبي لنسائهم وأطفالهم من أجل إرشادك ونجاتك؟ فبدلاً من أن تشكرهم على ما فعلوا وتحفظ لهم أياديهم البيض نحوك، تقوم بظلمهم ظناً منك أنك إنما تظلم نفسك وحدك! استيقظ من نوم الغفلة واخجل من نفسك، ولا تضف على ما يعانونه من ظلم أعداء الدين، لأن الظلم من المحب أشد ألماً وأكثر قبحاً!



الاستعداد للموت

إعلم إذاً أيها العزيز أن أمامك سفراً خطراً لا مناص لك منه، وأن زاده وراحلته هو العلم والعمل الصالح. إن وقت هذا السفر غير معلوم، فقد يكون ضيقاً جداً، وتفوتك الفرصة. إن الإنسان لا يعلم متى يقرع ناقوس الرحيل حيث لا مفر من تلبية النداء. إن طول الأمل المعشعش فيّ وفيك والناشئ من حب النفس ومكائد الشيطان الملعون ومغرياته، يمنعنا عن الاهتمام بعالم الآخرة وعن القيام بما يجب علينا، حتى إذا ما أزف الوعد الموعود اضطررنا إلى الرحيل دون زاد ولا راحلة، ومن دون العمل الصالح والعلم النافع. فما الذي حصل حتى كان لعلمنا وعملنا مدة أربعين أو خمسين سنة تأثير معكوس بحيث أصبحت قلوبنا أصلب من

الصخر القاسي؟ ما الذي جنيناه من الصلاة التي هي معراج المؤمنين؟ أين ذلك الخوف وتلك الخشية الملازمة للعلم؟ لو أننا أُجبرنا على الرحيل ونحن على هذه الحال ـ لا سمح الله ـ لكان علينا أن نتحمل الكثير من الحسرات والخسائر العظيمة في الطريق مما لا يمكن إزالته! فنسيان الآخرة من الأمور التي يخافها علينا ولي الله الأعظم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ويخاف علينا من الباعث لهذا النسيان وهو طول الأمل لأنه يعرف مدى خطورة هذه الرحلة.

52



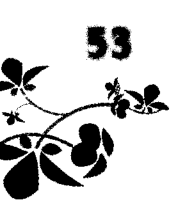
عذابات القيامة

أنظر أيها الأخ إلى ما يقوله الإمام في دعاء كميل وهو يناجي الحق عز وجل: "وأنت تعلم ضعفي عن قليل من بلاء الدنيا وعقوباتها" إلى أن يقول: "وهذا ما لا تقوم له السموات والأرض"، ترى ما هذا العذاب الذي لا تطيقه السموات والأرض وقد أعد لك؟ وأنت لا تستيقظ ولا تنتبه، بل تزداد كل يوم استغراقاً في النوم والغفلة؟

فيا أيها القلب الغافل! انهض من نومك وأعدّ عدتك للسفر "فقد نودي فيكم بالرحيل"، وأعوان عزرائيل منهمكون في العمل ويمكن في أي لحظة أن يسوقوك سوقاً إلى العالم الآخر. ولا تزال غارقاً في الجهل والغفلة! إذاً، إعلم أن الرحلة كثيرة المخاطر وهذا النسيان الموجود فينا ليس إلا من مكائد النفس والشيطان وما هذه الآمال الطوال إلاّ من أحابيل ابليس ومكائده. فتيقظ من هذا

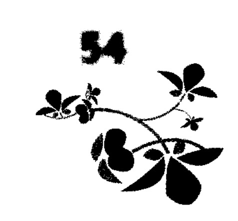
السبات وتنبّه، واعلم أنك مسافر ولك مقصد. إن مقصدك هو عالم آخر، وأنت راحل عن هذه الدنيا شئت أم أبيت. فإذا تهيأت للرحيل بالزاد والراحلة لم يصبك شيء من عناء السفر، و لم تصبك التعاسة في الطريق، وإلاّ أصبحت فقيراً مسكيناً سائراً نحو شقاء لا سعادة فيه، وذلة لا عزة فيها، وفقر لا غنى معه وعذاب لا راحة منه. إنها النار التي لا تنطفىء والضغط الذي لا يخفف والحزن الذي لا يتبعه سرور والندامة التي لا تنتهي أبداً.

53



حيوانية النفس

الويل لنا نحن الغافلين الذين لا نستيقظ من النوم حتى آخر العمر. نبقى في سكر الطبيعة غارقين، بل نزداد كل يوم سكراً وغفلة ولا نفهم شيئاً سوى شؤون الحيوانية من مأكل ومشرب ومنكح. ومهما فعلنا، وإن كان من سنخ العبادات، فإنما نفعله في سبيل البطن والفرج. أتحسب أن صلاة خليل الرحمن كانت مثل صلاتنا؟ الخليل لم يطلب حاجة حتى من جبرائيل، ونحن نطلب حاجاتنا من الشيطان نفسه ظناً منا بأنه يقضي الحاجات! ولكن علينا أن لا نيأس. فلعلّ الله بعد مدة من قيامك في الليل وتهجدك وأنسك بذلك واعتيادك عليه يلبسك خلعة الرحمة بلطفه الخفي. ولا تغفل عن سر العبادة بصورة عامة، ولا تقصر همّك على التجويد والقراءة وتصحيح الظاهر فقط.



الانتباه إلى أمراض النفس

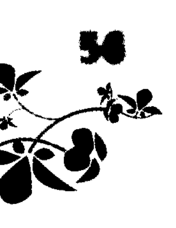
إعلم أيها العزيز أنه مثلما يكون لهذا الجسد صحة ومرض وعلاج ومعالج، فإن للنفس الإنسانية أيضاً صحة ومرض وسقم وسلامة وعلاج ومعالج، إذ أن صحة النفس وسلامتها هي الاعتدال في طريق الإنسانية، ومرضها وسقمها هو الإعوجاج والانحراف عن طريق الإنسانية، وإن الأمراض النفسية أشد فتكاً بآلاف المرات من الأمراض الجسمية، وذلك لأن هذه الأمراض إنما تصل إلى نهايتها بحلول الموت. فما أن يحل الموت وتفارق الروح البدن حتى تزول جميع الأمراض الجسمية والاختلالات المادية، ولا يبقى أثر للآلام أو الأسقام في الجسد ولكن إذا كان الإنسان ذا أمراض روحية وأسقام نفسية ـ لا سمح الله ـ فإنه ما إن تفارق الروح البدن وتتوجه إلى ملكوتها الخاص حتى تظهر آلامها وأسقامها.



سير وسلوك

كان شيخنا العارف الجليل يقول: إن المثابرة على تلاوة آخر آيات سورة الحشر المباركة من الآية الشريفة **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾** إلى آخر السورة المباركة ـ مع تدبر معانيها ـ في تعقيبات الصلوات وخصوصاً في أواخر الليل حيث يكون القلب فارغ البال، مؤثرة جداً في إصلاح النفس. وللوقاية من شر النفس والشيطان كان يوصي بدوام حال الوضوء قائلاً: إن الوضوء مثل لباس الجندي. وعلى كل حال عليك أن تطلب من القادر ذي الجلال، من الله المتعال جل جلاله، مع التضرع والبكاء والالتماس أن يوفقك في هذه المرحلة ويعينك في تحصيل ملكة التقوى. واعلم أن بدايات الأمر صعبة وشاقة، ولكن بعد فترة من

الاستمرار والمثابرة تتحول المشقة إلى راحة، والعسر إلى يسر، بل تتبدل إلى لذة روحية خالصة، لا يستبدلها أهلها بجميع اللذائذ. ويمكن إن شاء الله، وبعد المراقبة الشديدة والتقوى التامة، أن تنتقل من هذا المقام إلى مقام تقوى الخاصة وهي التقوى من اللذات النفسانية فإنك بعد أن تذوق طعم اللذة الروحانية تنصرف شيئاً فشيئاً عن اللذائذ الجسمانية وتتجنبها.



التوجه إلى الإخلاص

يا أيها المسكين الذي لم تجن من عبادتك ومناسكك إلاّ البعد عن ساحة الله المقدسة، والاستحقاق للعتاب والعقاب، علام اعتمادك؟ ولماذا لا يؤثر فيك الخوف من شدة بأس الحق؟ أعندك متكأ تتكىء عليه؟ أتثق بعملك وتطمئن إليه؟ إذا كان الأمر كذلك فالويل لك ولمعرفتك بحالك وبمالك الملوك! أما إذا كان اعتمادك على فضل الحق وسعة رحمته وشمول عنايته، فإن ذلك في محله؛ لقد اعتمدت على أمر وثيق ولجأت إلى حصن محكم.



57

الفرق ما بين الرجاء والغرور

أيها العزيز كن على حذر لئلا تخلط بين الرجاء والغرور. فقد تكون مغتراً وتحسب نفسك من أهل الرجاء. إن التمييز بين الحالين سهل في مباديهما. أنظر إلى حال نفسك التي تظن أنها من أهل الرجاء.؛ فحالك إما أن تكون ناشئة من التهاون في أوامر الحق سبحانه وتعالى والتقليل من شأنه وشأنها، وإما أن تكون ناجمة عن الاعتقاد بسعة رحمة الله وعظمة ذاته المقدسة. وإذا عسر عليك التمييز بينهما، أمكنك التمييز من خلال الآثار. فإذا كان الإحساس بعظمة الله في القلب، وكان قلب المؤمن محاطاً برحمة ذاته المقدسة وعطاياه، لقام القلب بواجب العبودية والطاعة لأن تعظيم العظيم المنعم وعبادته من الأمور الفطرية التي لا خلاف فيها.

وإذا لم تكن في أداء واجبات العبودية، وفي بذل الجهد والجد في الطاعة والعبادة، معتمداً على أعمالك، ولم تحسب لها حساباً،

وكنت آملاً رحمة الله وفضله وعطائه، ووجدت نفسك مستحقاً للّوم والذم والسخط والضعف بسبب أعمالك، ولم تعتمد إلاّ على رحمة الجواد المطلق، فأنت من أهل الرجاء. فاشكر الله تبارك وتعالى واطلب من ذاته المقدسة أن يثبت ذلك في قلبك ويمنحك أعلى منه مقاماً. أما إذا كنت ـ لا سمح الله ـ متهاوناً في أوامر الله تعالى مستحقراً ومستهيناً لتعاليمه، فاعلم أنه الغرور الحاصل في قلبك وأنه من مكائد الشيطان ومن نفسك الأمارة بالسوء. فلو آمنت بسعة الله ورحمته وعظمته لظهر أثر ذلك فيه. إن المدعي الذي يخالف عمله دعواه يكذّب نفسه بنفسه.

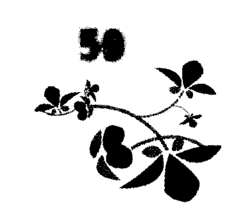
58

حب الدنيا

إن الانهماك في بحر اللذائذ والمشتهيات يصرف الإنسان إلى حب الدنيا قهرا، وحبّ الدنيا يؤدي إلى النفور من غيرها، والإقبال على المُلك يسبب الغفلة عن الملكوت. والعكس صحيح كذلك، فلو أن الإنسان استاء من شيء وأدرك قبحه، استدعت صورة ذلك الشيء الكراهية والنفور. وكلما كانت تلك الصورة في النفس أقوى كان الانزجار والنفور أكثر. فلو أن رجلا دخل إلى بلد وابتلي بأسقام وآلام فيه، وعانى جراء وجوده في ذلك المكان مشاكل داخلية وخارجية لكرهه وتَنَفَّر منه. وكلما كانت معاناته أكبر كان هروبه ونفوره أكثر. فإذا اعتقد بوجود عالم آخر، وفضاء رحب خال من جميع أنواع الشقاء والتعاسة رحل إليه. وإذا لم يتمكن من السفر بجسمه ذهب بروحه وبعث بقلبه إلى ذلك العالم.

وواضح جداً أن المفاسد الروحية والخلقية والسلوكية بأسرها تنجم عن حب الدنيا والغفلة عن الله سبحانه وعن عالم الآخرة، وأن حب الدنيا رأس كل خطيئة، مثلما أن الصلاح الروحي والخلقي والسلوكي يكون بالتوجه نحو الحق ودار كرامته والإعراض عن الدنيا وعدم الركون إلى زخارفها.

50



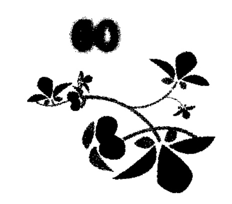
أسير الشهوة

إن عبيد الدنيا والشهوات الشخصية، الذين وضعوا رسن عبودية الميول النفسية حول رقابهم، يعبدون كل من يعلمون أو يحتملون أن الدنيا أقبلت عليه. فإذا أظهروا التعفف وعزة النفس في كلامهم كان حديثهم تدليساً محضاً، وأعمالهم وأقوالهم تكذّب حديثهم. وهذا الأسر والرق هو من الأمور التي تضع الإنسان في المذلة والعذاب والتعب دائما، فينبغي على الإنسان الشريف والعزيز أن يلجأ بجدية إلى كل وسيلة لتطهير نفسه منها. وإنما يكون التطهير من هذه القذارات والتحرر من كل قيد وهوان بمعالجة النفس من الأساس وهذا يحصل بالعلم والعمل النافع.

أما العمل فيكون بالرياضة الشرعية وبمخالفة النفس لمدة تنصرف فيها النفس عن تعلقها المفرط بالدنيا وتبعيتها للشهوات والأهواء النفسانية حتى تعتاد النفس على الخيرات والكمالات.

وأما العلم فيتم بتلقين النفس وإفهام القلب أن المخلوقات الأخرى تضاهيه في الفقر والضعف، وأنهم مثله محتاجون في جميع امورهم الجزئية والكلية إلى الغني المطلق القادر، وأنهم غير قادرين بأنفسهم على رفع حاجة أحد، وأنهم أصغر من أن تتوجه النفس إليهم ويخضع القلب لهم وأن القادر الذي منحهم العزة والشرف والمال والوجاهة، قادر على المنح لكل أحد.

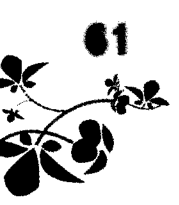
والحقيقة أنه عار على الإنسان أن يتذلل وينحط جراء بطنه وشهوته، ويتحمل منّة هذا المخلوق الذي لا حول له ولا قوة وهؤلاء الأذلاء الذين لا يفقهون شيئا. إذا أردت أن تقبل المنة فلتكن من الغني المطلق وخالق السموات والأرض.



60

الطلب من الله

أيها العزيز إن لم تشعر بالعار من طلب الدنيا، فعلى الأقل لا تطلبها من مخلوق ضعيف مثلك. وافهم أنه لا حول له في إعمار دنياك. فعلى فرض أنك تمكنت بعد الكثير من التذلل والامتنان أن تستميله إليك، إلا أن إرادته لا تكون فاعلة في ملك الحق سبحانه. فلا تتملق لمخلوق معدم لتأمين حاجات مؤقتة، ولا تغفل عن إلهك وحافظ على حريتك وارفع أغلال العبودية والأسر عن رقبتك، وكن حراً في جميع حالاتك.



61

مراقبة النفس

ما يصل إلينا في ذلك العالم هو صور أعمالنا. مزّق سلاسل الشهوة والأهواء الشائكة بعضها على بعض، وحطّم أصفاد القلب واخرج من قيود الأسر وعش حراً في هذا العالم حتى تكون حراً في ذلك العالم. وإن لم تفعل ستجد الصورة الملكوتية لهذا الأسر حاضرة في ذلك العالم واعلم بأنها مؤلمة جداً. إن أولياء الله رغم تحررهم التام من الأسر والرّق وبلوغهم الحرية المطلقة فإن قلوبهم كانت ترتجف وكانوا يظهرون من الجزع ما يحيّر العقول.

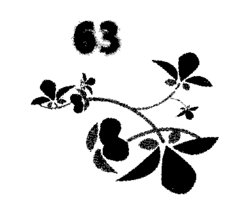
02

أثر تكرار العمل في نفس الإنسان

إن أبحاث هذه الأوراق وإن كانت من الأمور الرائجة والمكررة، ولكن لا بأس في ذلك فإن تذكير النفس وتكرار قول الحق أمر مطلوب. ولهذا يستحب تكرار الأذكار والأوراد والعبادات والمناسك، والنكتة الأصلية هي في تعويد النفس وترويضها. فلا تضجر يا عزيزي من التكرار. واعلم أن الإنسان ما دام يرزح تحت قيود النفس والشهوات، وما دامت سلاسل الشهوة والغضب تحيط برقبته فلا بلوغ للمقامات المعنوية والروحانية ولا ظهور للسلطة الباطنية للنفس ولا لإرادتها النافذة، ولا بروز لمقام استقلال النفس وعزّتها الذي هو من أرقى مقامات الكمال الروحاني، بل إن هذا الأسر والرق يقيّد الإنسان ولا يسمح له بالتمرد على النفس في أي حال. وإذا ما قويت سلطة النفس الأمارة والشيطان في الباطن، وانقادت جميع القوى لهما في الطاعة والخضوع والتسليم التام، لم تقتصرا على المعاصي بل تجرّان الإنسان من المعاصي الصغيرة إلى

المعاصي الكبيرة رويداً رويدا، ومنها إلى الضعف في العقائد ومنه إلى ظلمة الأفكار ومنها إلى مضيق الجحود ومنه إلى بغض الأنبياء والأولياء وعداوتهم.

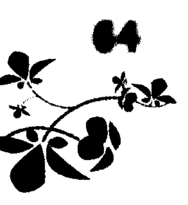
إن الإنسان العاقل الرؤوف بنفسه لا بد له وبكل وسيلة ممكنة من إخراج نفسه من هذا الأسر، وما دامت الفرصة سانحة وقواه سالمة والصحة والشباب متوفّرين وقواه لم تتسخّر كلياً بعد، لا بد له من النهوض بوجه النفس الأمارة والشيطان، وليراقب أوقاته، ويتأمل في أحوال نفسه وأحوال الماضين، ويتمعن في سوء عاقبة بعضهم، ويُفهم باطنه أن هذه الأيام القليلة تبلى ويوقظ قلبه.



التزكية

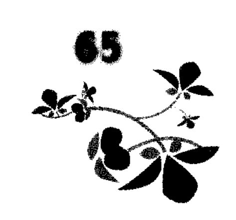
أيها العزيز، على الرغم من أن هذا العالم ليس دار الجزاء ولا هو محل ظهور سلطة الحق بل هو سجن المؤمن، غير أنك لو تحرّرت من أسر النفس وأصبحت عبداً للحق، وجعلت القلب موحداً، وأجليت عن مرآة روحك غبار النفاق والاثنينية، ووجّهت قلبك إلى النقطة المركزية للكمال المطلق، لعاينت آثار ذلك في هذا العالم. ولاتّسع قلبك حينها بحيث يغدو محلاً لظهور السلطنة الإلهية التامة بل صار أوسع من كل العوالم "لا تسعني أرضي ولا سمائي ولكن يسعني قلب عبدي المؤمن"، ولظهر فيه غنى لا تعبأ معه بكل العوالم الغيبية والمادية، ولأصبحت إرادتك قوية بحيث لا تقتصر على عالمي الملك والملكوت، فكلاهما أقل مما يليق بك.

"هل رأيت تحليق الطير؟ إِنسلخ من أغلال الشهوة لترى تحليق الإنسان!".



اكتساب التقوى

يا أيتها النفس الدنيئة ويا أيها القلب الساهي! استيقظ وقم بوجه هذا العدو الذي ألجمك منذ سنين وربطك بأغلال الأسر وقادك إلى حيث يريد ودفع بك إلى كل عمل قبيح وسلوك بشعٍ وقهرك عليه. حطّم هذه القيود، وكسّر هذه السلاسل، وكن حراً، وادفع عن نفسك الذل والهوان، وضع في رقبتك طوق عبودية الحق - جل جلاله - حتى تتحرر من كل عبودية وتنال السلطة الإلهية المطلقة في العالمين.



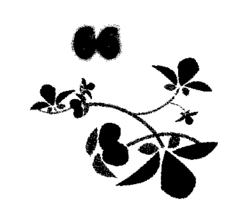
65

عدم التحمّل

الإنسان غير الصابر يشكو عند من هو أهل للشكوى وعند غيره، وهذا الأمر علاوة على أنه يؤدي إلى الفضيحة والإشتهار بالضعف وعدم الجلادة ويسقط الشاكي من أعين الناس، فإنه يحط من قيمته عند ملائكة الله وفي محضر قدس الربوبية. إن عبداً لا يتحمل مصيبة واحدة نازلة عليه من الحق والمحبوب المطلق وإنساناً يرفع صوته بالشكوى أمام المخلوق إذا ما ابتلاه ولي نعمته، رغم نزول البركات عليه وتلقيه آلاف آلاف النعم، مثل هذا العبد لا إيمان له. وأي تسليم له أمام مقام الحق المقدس؟ فيصحّ أن يقال من لا صبر له لا إيمان له. لو كنت مؤمناً بالحضرة الربوبية ورأيت أن مجاري

الأمور بيد قدرته المطلقة وليس لأحد يد في الحوادث والأمور، لما اشتكيت من حوادث الأيام والبليات أمام غير الحق تعالى، بل لاستقبلتها بكل حفاوة وتكريم وشكرت نعم الحق سبحانه.

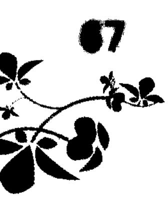
فكل الاضطرابات النفسية والشكاوى اللسانية والحركات غير اللائقة وغير المعتادة للأعضاء تشهد بأننا لسنا من ذوي الإيمان، وما دامت النعمة موفورة شكرنا ربنا شكراً ظاهرياً لا لب له.



66

ملكة الصبر

يا أيها العزيز، إن الموضوع خطير والطريق محفوف بالمخاطر، فابذل بكل وجودك الجهد، واجعل الثبات أمام حوادث الأيام من طبيعتك، وانهض أمام النكبات والرزايا، ولقّن النفس بأن الجزع والفزع مضافاً إلى أنه عيب فادح، لا جدوى من ورائه للقضاء على المصائب والبليات، ولا فائدة من شكوى مخلوق ضعيف لا حول له ولا قوة على القضاء الإلهي وعلى إرادة الحق عز وجل.

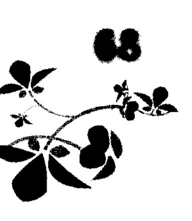


67

التوبة الواقعية

يا أيها العزيز كن على حذر من مكائد الشيطان ولا تمكر على الله ولا تحتل عليه بأن تقول أعيش خمسين عاماً أو أكثر في اتباع الهوى ثم استغفر ربي عند الموت وأستدرك الماضي، لأن هذه أفكار واهية. لا يتوقع الإنسان أنه بعد أن تقوى جذور الذنوب في نفسه يستطيع أن يتوب أو يوفّر شروط التوبة. إن أفضل أيام التوبة وربيعها هي أيام الشباب، لأن الذنوب فيها أقل وشوائب القلب وظلمات الباطل أخف، وشروط التوبة أسهل وأيسر. وقد يكثر في سن الشيخوخة حرص الإنسان وطمعه وحبه للمال ويطول أمله، وقد أثبتت التجربة ذلك. والحديث النبوي الشريف أفضل شاهد على هذه المقولة. وإذا افترضنا أن الإنسان يستطيع أن يتوب

في سن الشيخوخة، فما هو الضمان للوصول إلى سن الشيخوخة وعدم إدراكه الأجل المحتوم أيام الشباب على حين غرة، وهو مشغول بالذنوب والعصيان؟ إن انخفاض عدد المسنين دليل على أن الموت أقرب إلى الشباب منه إلى الشيوخ. إننا في المدينة التي تحتوي على خمسين ألف نسمة لا نجد خمسين شيخاً يناهز عمر واحدهم ثمانين عاماً.

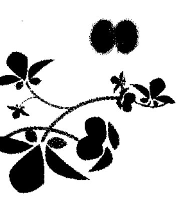


الإسراع إلى التوبة

أيها العزيز! عجل في شد حيازيمك وإحكام عزيمتك وقوتك وأنت في أيام الشباب أو على قيد الحياة وتب إلى الله. لا تسمح لهذه الفرصة التي أنعم الله بها عليك أن تخرج من يدك، ولا تعبأ بتسويف الشيطان، ومكائد النفس الأمارة.

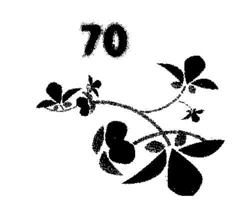
أيها العزيز! لا تمر على هذا المقام من دون مبالاة ولا اهتمام. فكر في حالك وعاقبة أمرك، وراجع كتاب الله وأحاديث خاتم الأنبياء وأئمة الهدى ـ سلام الله عليهم أجمعين ـ وكلمات علماء الأمة وأحكام العقل الوجدانية. إفتح على نفسك هذا الباب الذي يُعد مفتاح الأبواب الأخرى، وادخل في هذا المقام الذي

يعتبر من أهم المنازل الإنسانية بالنسبة إلينا وكن مهتماً به وواظب عليه واطلب من الله عز وجل التوفيق في الوصول إلى المطلوب، واستعن بروحانية الرسول الأكرم وأئمة الهدى - سلام الله عليهم - والتجىء إلى ولي الأمر وناموس الدهر إمام العصر عليه السلام فإنه ينجّي الضعفاء والعجزة ويعين المحتاجين.



جحود الإنسان

أيها الإنسان كم أنت ظلوم وجهول؟! ولا تُقدِّر نِعَم ولي النعم. إنك تعصي وتعادي لسنين وسنين ولي نعمتك الذي وفر لك كل وسائل الرفاه والراحة من دون أن يعود عليه منها - والعياذ بالله - أي فائدة. لقد هتكت حرمته طوال أيامك ولم تخجل منه أبداً، ولكنك إذا ندمت على ما فعلت ورجعت إليه أحبك وجعلك محبوباً له، فما هذه الرحمة الواسعة والنعم الوافرة؟



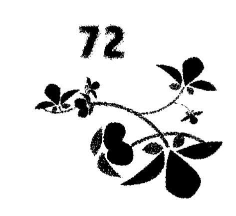
جبران الماضي

أيها العزيز إياك أن تسمح للشيطان والنفس الأمارة بالهيمنة عليك والوسوسة في قلبك فيصوِّران لك الإصلاح عملية جسيمة وشاقة ويصرفانك عن التوبة. إعلم بأن إنجاز الشيء القليل من هذه الأمور يكون أفضل. ولا تيأس من رحمة الله ولطفه حتى وإن كانت عليك صلاة كثيرة وصيام غير قليل وكفارات عديدة وحقوق إلهية كثيرة وذنوب متراكمة وحقوق للناس لا تُعَد وخطايا لا تحصى لأن الحق المتعالي يسهل عليك الطريق عندما تقوم بخطوات مستطاعة في اتجاهه ويهديك سبيل النجاة.



إصلاح جميع الأمور

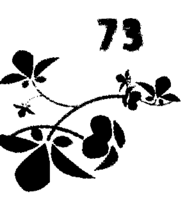
أيها العزيز إن طريق الحق سهل وبسيط، ولكنه يحتاج إلى انتباه يسير. ويجب العمل لأن التباطؤ والتسويف ومضاعفة المعاصي في كل يوم تؤدي إلى صعوبة الأمر، أما الإقبال على العمل والعزم على إصلاح السلوك والنفس فيقرِّب الطريق ويسهّل العمل. جرّب واعمل في الاتجاه المذكور، فإذا حصلت على النتيجة تبين لك صحة الموضوع، وإن لم تصل إلى النتيجة المتوخاة فإن طريق الفساد مفتوح ويد المذنب طويلة.



كيفية جبران الماضي

لا بد لسالك سبيل الآخرة والتائب من المعاصي أن يذيق الروح ألم الرياضة الروحية ومشقة العبادة. فإذا سهر ليلة في المعصية تداركها بليلة في العبادة. وإذا عاش يوماً واحداً مع اللذائذ الطبيعية تداركه بالصوم والمستحبات المناسبة حتى تطهر النفس من كل آثار المعاصي وتبعاتها التي هي عبارة عن تعلق النفس بحب الدنيا ورسوخ هذا الحب فيها.

بهذه الصورة تكون التوبة أكمل ويعود نور الفطرة إلى النفس ويستمر التفكر والتدبر في نتائج المعاصي وشدة بأس الحق المتعالي، ودقة ميزان الأعمال. وليعلم وليلقّن النفس والقلب بأن كل عذاب عالم البرزخ وشدة يوم القيامة هو نتاج هذه الأعمال القبيحة وصور مخالفة مالك الملوك. ونأمل بعد هذا العلم والتمعن أن تنفر النفس من المعاصي وترتدع بشكل كامل ونهائي فتتم التوبة وتكمل.



الإنسان في محضر الرب المتعال

إعلم أيها العزيز أن تذكّر الحبيب والتفكّر دائماً فيه يثمر نتائج كثيرة لكافة الطبقات. أما الكمّل والأولياء والعرفاء فإن نفس تذكّر الحبيب هو غاية آمالهم، وفي ظله يبلغون جمال حبيبهم، هنيئاً لهم. وأما لعموم الناس والمتوسطين منهم فهو أفضل مصلح للأخلاق والسلوك في الظاهر والباطن.

إذا عاش الإنسان مع الحق سبحانه وتعالى في جميع الأحوال وكافة المستجدات، وشاهد نفسه أمام الله عز شأنه، أحجم عن الأمور التي تسخط الله وردع نفسه عن الطغيان. إن المشاكل والمصائب المنبثقة من النفس الأمارة والشيطان الرجيم قد نشأت عن الغفلة

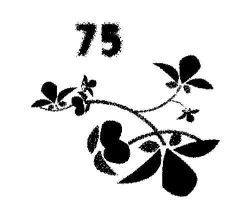
عن ذكر الحق وعذابه وعقابه. فالغفلة عن الحق تُضاعف كُدورة القلب، وتُمكّن النفس والشيطان من التحكم في الإنسان وتُسبب زيادة المفاسد على مر الأيام. وإن تذكر الحق جل شأنه يبعث على صفاء النفس وصقلها، ويجعلها مظهراً للمحبوب ويصفي الروح وينقيها، ويحرر الإنسان من أغلال الأسر.



التأكيد على الذكر

يا أيها العزيز، مهما تتحمل من الصعاب في سبيل الذكر وتذكر الحبيب - الحق تعالى - يبقى ذلك قليلاً. روّض قلبك على تذكر المحبوب، لعل الله يجعل صورة القلب صورة لذكر الحق، وكلمة لا إله إلا الله الطيبة الصورة النهائية والكمال الأقصى للنفس، فإنه لا زاد أفضل منه للسلوك إلى الله، ولا مُصلح أحسن منه لعيوب النفس، ولا رفيق أجدى منه في المعارف الإلهية.

فإذا كنت طالباً للكمالات الصورية والمعنوية، وسالكاً لطريق الآخرة ومهاجراً إلى الله، اجعل قلبك معتاداً على تذكر المحبوب، واعجن قلبك بذكر الحق تبارك وتعالى.



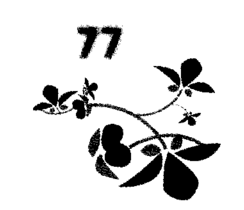
كيفية تعويد النفس على التذكر

قال شيخنا العارف الكامل الشاه آبادي ـ روحي فداه ـ يجب أن يكون الإنسان الذاكر مثل المعلم، يريد أن يعلّم الطفل الصغير الذي لم ينطق بعد الكلمات فيكرر الكلمة حتى ينفتح لسان الطفل وينطق بها، ثم نرى المعلم يداعب الطفل ويردد الكلمة بمثل ما سمعها من الطفل، فيزول تعب المعلم وكأنه مدد يبلغه من الطفل. كذلك الذاكر يجب أن يعلّم قلبه الذكر إذا لم ينفتح لسان القلب. وسبب تكرار الذكر هو انفتاح لسان القلب عليه. وآية انفتاحه أن لسان الفم يتبع القلب فيزول نصب تكرار الذكر وعنائه. في البدء كان اللسان ذاكراً والقلب استمد الذكر منه، وبعد انفتاح لسان القلب بالذكر، يتبعه لسان الفم فيستمد الذكر من القلب أو من الغيب.



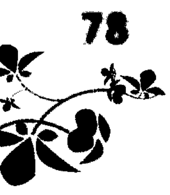
محبة عباد الله

عزيزي، تصادق مع عباد الله الذين تشملهم رحمة الله ونعمه ويتزينون بالإسلام والإيمان وأحببهم في قلبك. وإياك أن تعادي محبوب الحق، لأنه سبحانه وتعالى يعادي أعداء أحبائه ويبعدهم عن ساحة رحمته. إن عباد الله المخلصين مجهولون بين سائر عباده، ومن الممكن أن يعود عداؤك لمؤمن وهتكك حرمته وكشفك عورته إلى هتك حرمة الله تعالى ومعاداته! إن المؤمنين أولياء الحق والتحابّ معهم تحاب مع الحق، والتخاصم معهم تخاصم مع الحق. إياك وإثارة غضب الحق سبحانه ومعاداة شفعاء يوم القيامة. إفهم أي جبار قادر تحارب، وكن على حيطة وحذر من معاداته.



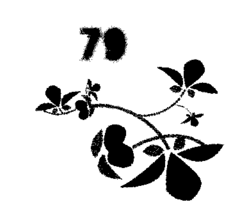
مكائد النفس

إن مكائد النفس بالغة الدقة فيمكن أن تخدع الإنسان عن طريق الشرع، وتزجّه في المهالك. فمثلاً إن غيبة المتجاهر بالفسق جائزة، وإذا توقف ردعه بعض الأحيان على استغابته وجبت غيبته من باب النهي عن المنكر، ولكن يجب أن يتأمل الإنسان: هل الدافع النفسي لغيبته هو الداعي الشرعي الإلهي أم أن الباعث أهواء شيطانية ورغبة نفسانية؟



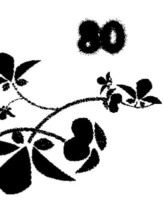
اكتساب الإخلاص

لا يأمن الإنسان حتى نهاية حياته من شر الشيطان والنفس، ولا يظنّن بأن عملاً أتى به لوجه الله دون ملاحظة رضى المخلوق يجعله في مأمن من شر النفس الخبيثة. فإذا لم يراقب العمل ولم يواظب عليه، من الممكن أن تجبره نفسه على إظهاره أمام الآخرين. وقد يتم الإظهار بالإيماء والتلويح، فمثلاً إذا أراد أن يكشف للناس عن صلاة الليل التي أتى بها التجأ إلى أساليب اللف والدوران فيتحدث عن حسن جو السحر أو رداءته وعن مناجاة الناس أو أذانهم، فيضيع عمله من جراء المكائد الخفية للنفس، ويصبح فاقداً للاعتبار. يجب أن يكون الإنسان مثل الطبيب الرحيم والمرافق الرؤوف يراقب نفسه ولا يسمح أن يفلت زمامها من يده، لأنها في لحظة غفلة تفلت من يده وتقوده إلى الذل والهلاك، نستعيذ بالله من شر الشيطان والنفس الأمارة.



حيل الشيطان

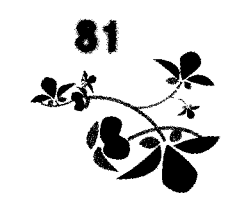
إعلم أن الشيطان الملعون والنفس الأمارة الخبيثة يغرّران بالإنسان عبر طرق كثيرة، ويقودانه إلى الهلاك الأبدي، وآخر سهم يرميانه هو تغرير الإنسان في بادىء الأمر برحمة الحق سبحانه، ومنعه بذلك من المضي في العمل الصالح. هذا الاتكال على الرحمة من مكائد الشيطان. والدليل على ذلك أننا في قضايانا الدنيوية لا نعتمد على رحمة الحق سبحانه، بل نرى العوامل الطبيعية والظاهرية مستقلة ومؤثّرة بدرجة كأنه لا أثر في الوجود إلا للأسباب الظاهرية. ولكننا في الأمور الأخروية نتكل غالباً وحسب زعمنا على رحمة الحق سبحانه، ونغفل عن توجيهه لنا وتوجيه رسوله صلى الله عليه وآله وسلم. فكأن الله لم يزودنا بالقدرة على العمل ولم يعلّمنا سبل الصواب والإعوجاج.



توبيخ النفس

الويل لنا نحن أصحاب المراء والجدال وذوي الأهواء النفسية والخصومات، حيث ابتلينا بهذه النفس الخبيثة التي لا تعرف الرحمة والحنان، ولا تتركنا إلى أن تهلكنا في جميع النشآت والعوالم. ونحن لم نبادر لإصلاحها إطلاقاً؛ لقد صممنا آذاننا ولم نستيقظ من سباتنا العميق الباعث على التوغل في عالم المادة.

فـإذا كنت عطوفاً على نفسك، فلا بد وأن لا تهمل هذه الإرشادات لتداوي ألمك وتعالج مرضك. الله يعلم إذا انتقلنا مع ما نحن عليه الآن إلى ذلك العالم بأية مصائب وآلام ومعاناة سوف نبتلى؟ ونحن بالرغم من ثقل الذنوب والخطايا لم نفكر ولو مرة بمعادنا ومرجعنا، كأننا قد أحرزنا براءة من جهنم وأماناً من العذاب. إن هذا ليس سوى حب الدنيا. لقد أغلقنا آذاننا فلا نسمع كلمات الأولياء والأنبياء.



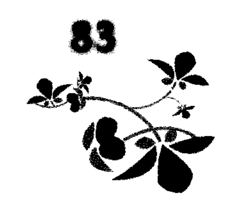
العالم بلا عمل

يا طلاب العلوم الإسلامية والكمالات والمعارف، استيقظوا من نومكم واعلموا أن الله قد أتم الحجة عليكم أكثر، وسيكون ميزان أعمالكم وعلومكم مغايراً كلياً لميزان كافة العباد وصراطكم أرق وأدق ومحاسبة الله لكم أعظم. الويل لطالب العلم عندما يبعث علمه في قلبه الظلمة والكدورة، كما نشعر نحن حين نحصل على بعض المفاهيم الناقصة والمصطلحات التي لا طائل منها، فنتوقف عن متابعة طريق الحق، ويتحكّم فينا الشيطان والنفس، وننثني عن طريق الإنسانية والهداية، فتغدو هذه المفاهيم الحقيرة حجابنا الغليظ، ولا منجى لنا إلاّ اللجوء إلى الذات المقدسة.



الإخلاص في العمل

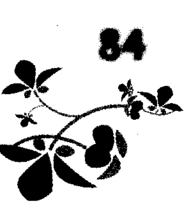
إن العلاج كل العلاج فيما إذا أراد الإنسان أن يكون علمه إلهياً أن يبادر إلى مجاهدة النفس ويسعى بواسطة الرياضة الروحانية في سبيل تخليص نيته عندما يدرس أي علم شاء. فإن المنقذ الأساسي ومصدر الفيض النية الخالصة "من أخلص لله أربعين صباحاً جرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه". فهذه فوائد وآثار الإخلاص أربعين يوماً. أنت عندما بذلت الجهد أربعين عاماً أو أكثر في سبيل تجميع المصطلحات والمفاهيم العلمية واعتبرت نفسك علاّمة ومن جنود الله، ولكن لم تجد أثراً للحكمة في قلبك، ولا طعماً لها على لسانك فاعلم بأن دراستك وتعبك لم يقترنا بالإخلاص إنما اجتهدت للشيطان والرغبات النفسية. فإذا رأيت أن هذه العلوم لم تثمر ولم تنجح فانصرف ولو لأجل الاختبار نحو إخلاص النية وتصفية القلب من الرذائل والكدر.



التنبه والقيام

أيها العزيز، أنت محتاج في جميع العوالم: عالم البرزخ وعالم القبر وعالم القيامة ودرجاتها، إلى المعارف الإلهية الحقة والخلق الحسن والأعمال الصالحة. فاجتهد أينما كنت من هذه الدرجات والمراتب، واكثر من إخلاصك، وأزل عن قلبك أوهام النفس ووساوس الشيطان حتى تظهر لك النتائج، وتجد سبيلاً إلى الحقيقة، وينفتح لك طريق الهداية ويكون الله سبحانه في عونك.

يعلم الله سبحانه بأننا إذا انتقلنا مع هذه العلوم التافهة الباطلة وهذه الأوهام الفاسدة والقلب الكدر والخلق الذميم إلى عالم الآخرة كيف تكون مصائبنا ومحنتنا، وكيف يكون مصيرنا وأي ظلمة ووحشة وعذاب تقدم لنا هذه العلوم وهذه الأخلاق؟



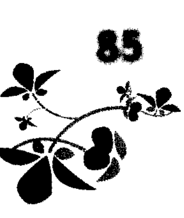
اكتساب حضور القلب

عزيزي، إجعل مناجاتك مع الحق سبحانه بمثابة التحدث مع إنسان بسيط من هؤلاء الناس، فما بك إذا تكلمت مع صديق بل مع شخص غريب انصرف قلبك عن غيره وتوجهت بكل وجودك نحوه أثناء التكلم معه، ولكنك إذا تكلمت وناجيت ولي النعم ورب العالمين غفلت عنه وانصرفت إلى غيره! هل أن العباد يقدّرون أكثر من الحق؟ أو أن التكلم مع العباد أغلى من المناجاة مع قاضي الحاجات؟

نعم أنا وأنت، لا نعرف ما هي المناجاة مع الحق سبحانه. إننا نرى التكاليف الإلهية كلفة وفرضاً علينا، ومن الواضح أنه متى ما أصبح شيء ما حملاً ثقيلاً على الإنسان ما عاد عنده ذا بال وأهمية.

لا بد من إصلاح النبع؛ والعثور على الإيمان بالله وبتعاليم أنبيائه حتى تصلح أمورنا. إن كل تعاستنا من ضعف الإيمان ووهن اليقين.

85



كيفية اكتساب حضور القلب

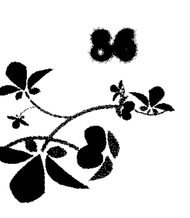
اشتهر عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب ان سهماً أصاب قدمه المباركة فلم يتحمّل ألم انتزاعه، فقام وصلّى وفي أثناء انشغاله بالصلاة نزعوا له السهم ولم ينتبه أصلا.

عزيزي، إن هذا الموضوع ليس من الأمور الممتنعة فإن النفس عندما تلتفت بصورة تامة إلى شيء تغفل عن ملك البدن وتتوقف القوى الحسية عن العمل. ومع الأسف إننا نتوجه نحو كل شيء توجهاً تاماً، إلاّ نحو عبادة الله ولهذا نستبعد ذلك.

وعلى أي حال إن تفريغ القلب من غير الحق يعدّ من الأمور المهمة التي يجب على الإنسان أن يحققها مهما كلّف الثمن، والسبيل إلى تحصيله ميسور وسهل، فمع قدر قليل من الانتباه والمراقبة نستطيع أن ننجزه.

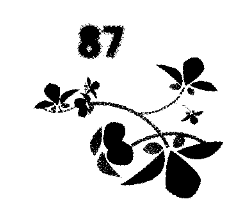
يجب على الإنسان الذي يريد السلوك إلى الله ترويض الخيال فترة من الزمان، ولجمه عندما يريد أن يتنقّل من غصن إلى غصن آخر فلا يتشتت. وبعد مضي فترة من المراقبة، يدجَّن الخيال ويهدأ وتزول عنه حالة التشتت ويصير الخير من عادته ـ والخير عادة ـ فينصرف فارغ البال إلى التوجه نحو الحق وعبادته.

86



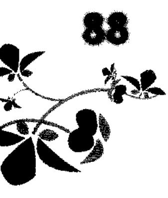
شوق الوصال

مع الأسف، نحن المساكين المحجوبين عن المعرفة، المحرومين من التوجه إلى الحق تعالى، لا نعرف شيئاً عن محبة الله لنا وإقباله علينا. ونقيس العلاقة مع الحق على العلاقة مع العباد. أهل المعرفة يقولون بأن الحق المتعالي يرفع الحجب لمحبوبه، ويعلم الله ما في هذا الرفع للحجب من الكرامات! إن غاية آمال الأولياء وأقصى أمنياتهم هو رفع هذه الحجب.



كيفية محاسبة النفس

أيها العزيز، أفق قليلاً من الغفلة، وتأمل في أمرك، وانظر في صحيفة أعمالك، واخش من أعمال تظن أنها صالحة مثل الصلاة والصوم والحج وغيرها، في حين أنها تكون سبب عنائك وذلّك في ذلك العالم. فحاسب نفسك ما دامت الفرصة مؤاتية، وزن عملك بيدك، وضعه في ميزان شريعة أهل البيت وولايتهم وتبين من صحته وفساده وكماله ونقصه، واجبره ما دامت الفرصة سانحة والمهلة باقية. وإن لم تحاسب نفسك هنا ولم تصحح أعمالك فستحاسب هناك ويوضع ميزان الأعمال أمامك فتواجه مصائب عظمى. إتق الله في ميزان عدله، ولا تغترّ بشيء، ولا تترك الجد والاجتهاد.



مقام العارفين

من المؤسف أننا نحن المساكين، المسجونين في الحجب المظلمة والمصفدين بسلاسل الآمال والأمنيات، لا نفهم إلاّ المطعومات والمشروبات والمنكوحات وأمثالها، وإذا أراد فيلسوف أو عارف أن يرفع هذه الحجب، اعتبرنا سعيه هذا غلطاً وخطأ. وما دمنا مسجونين في البئر المظلم لعالم الملك لن نستوعب شيئاً من أصحاب المعارف والمشاهدات.

ولكن عزيزي لا تقارن نفسك مع الأولياء، ولا تظن بأن قلبك يضاهي قلوب الأنبياء وأهل المعارف. إن قلوبنا غطّاها غبار التعلق بالدنيا وملذاتها، وإن انغماسنا في الشهوات يمنع قلوبنا من أن تكون مرآة لتجلّي الحق سبحانه ومحلاً لظهور المحبوب. ومن المعلوم أننا لا نعي شيئاً من تجليات الحق وجماله وجلاله عندما نشعر بالأنانية والمحورية لذواتنا، بل نكذّب في هذه الحال أحاديث الأولياء وأهل المعرفة، فإن لم نكذّبها بألسنتنا في الظاهر كذبناها في قلوبنا.

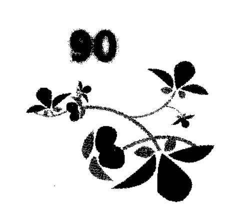
89

سكرات الموت

إننا نظن أن الموت وسكراته يشبه حوادث هذا العالم. عزيزي إنك عندما تعاني من مرض بسيط تنسى كل علومك وثقافاتك فكيف بك عندما تواجه الصعاب والضغوط والمصائب والأهوال التي ترافق الموت وسكراته؟ إذا تصادق الإنسان مع الحق سبحانه وعمل بمقتضى صداقته وتذكّر الحبيب وتبعه لكانت تلك الصداقة مع الولي المطلق وهو الحق المتعالي محبوبة لديه سبحانه وملحوظة عنده. ولكنه إذا ادّعى المودة ولم يعمل بمقتضاها فمن الممكن أن يتخلى الإنسان عن تلك الصداقة مع الولي المطلق قبل رحيله من هذه الدنيا نتيجة الأحداث المتقلبة في هذا العالم. بل والعياذ بالله قد يصير عدواً له سبحانه.

وإذا فرضنا أن هؤلاء رحلوا من هذا العالم على حب محمد وآل محمد فهم حسب الروايات الشريفة والآيات المباركة من

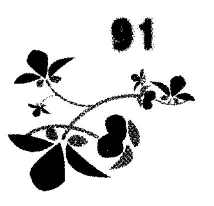
أهل النجاة يوم القيامة ومصيرهم السعادة، ولكنهم يكونون في معاناة في البرزخ وأهوال الموت وعند الحشر. ففي الحديث "إننا شفعاؤكم يوم القيامة ولكن تزودّوا لبرزخكم". أعوذ بالله من عذاب القبر وضغطه وشدة البرزخ وعذابه، حيث لا يشابهه شيء في هذا العالم. إن الكوّة التي تفتح على القبر من جهنم لو انفتحت على هذا العالم لهلكت كافة الموجودات نعوذ بالله.



90

عظم جزاء الأعمال

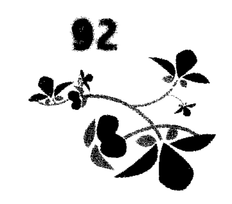
عزيزي إذا فرضنا بأننا كنا طيلة حياتنا التي نعيشها، خمسين أو ستين عاماً، من الملتزمين بكل الوظائف الشرعية، ثم ارتحلنا من هذه الدنيا على إيمان صحيح وعمل صالح وتوبة مقبولة فماذا نستحق من الجزاء لهذا القدر من الإيمان والعمل؟ هذا الإنسان حسب القرآن الكريم والسنة النبوية واتفاق جميع الأمم تشمله رحمة الحق سبحانه، ويدخل الجنة الموعودة حيث يخلّد في نعمها ورفاهها ويعيش إلى الأبد في الرحمة والروح والريحان، ولا مجال لإنكار ذلك أبداً. غير أننا لو أردنا أن نقارن الجزاء بالعمل ـ على فرض أن يكون لعملنا مكافأة ـ لما استحق هذا القدر من الجزاء الذي يعجز العقل عن تصور كميته وكيفيته. فيظهر أن القضية لا ترتبط بمقارنة المكافأة بالعمل، بل تكون منوطة بشيء آخر ـ وهو الرحمة الإلهية الواسعة ـ وعلى هذا لا تستبعد هذه المكافأة العظيمة على عمل صغير .



91

مناجاة

يؤسفني ويلمّ بي الأسف آلاف المرات أني قدمت إلى هذا العالم وأنا مستغرق في بحار هوى النفس، وملتصق بالأرض المادية ومقيَّد بالشهوات وأسير للبطن والفرج وغافل عن عالم الوجود وسكران بسكر الأنانية ومحورية الذات، وسأفارق هذا العالم ولم أدرك شيئاً من محبة الأولياء ولم أفهم شيئاً أبداً من جذباتهم وجذواتهم ومنازلهم ومغازلاتهم، وكان حضوري في هذا العالم حضوراً حيوانياً، وحركاتي حركات حيوانية وشيطانية. وعليه فسيكون موتي أيضاً حيوانياً وشيطانياً. اللهم إليك المشتكى وعليك المعوَّل.





الفتور في العبادة

يا أيها العزيز، إياك ثم إياك والله معينك في أولاك وأخراك أن تتهاون في أمورك الدينية وخاصة الصلوات الخمس، وتُبْدي الفتور والإهمال تجاهها. يعلم الله بأن الأنبياء والأولياء وأئمة الهدى عليهم السلام نتيجة عطفهم وحنانهم على العباد قد دفعوا بالناس نحو الصلوات وحذروهم من التخلف عنها، وإلا فهم لا ينتفعون من إيماننا ولا تجديهم أعمالنا شيئاً. هل تعرف سبب فتورنا هذا في الأمور الدينية؟ إنه يكمن في عدم إيماننا بالغيب. إن مرتكزات عقائدنا واهية وإيماننا بالوعود الإلهية والأنبياء مهتز ومتزلزل، والنتيجة أن جميع الأمور الدينية والشرائع الإلهية عندنا تكون تافهة وموهونة، وهذا الوهن يفضي شيئاً فشيئاً إلى الغفلة. وإما أن هذه الغفلة تهيمن علينا في هذا العالم، فتخرجنا كلياً من الدين الشكلي الذي نعتنقه وإما أن الغفلة التامة تعرض أثناء سكرات الموت وأهوال نزع الروح.



أيام الشباب ورفيق السوء

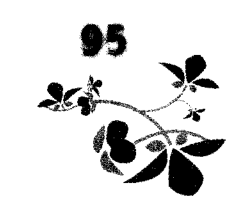
إن التأثر القلبي والتحول الباطني يتم بصورة أفضل في فترة الشباب، لأن قلب الفتى لطيف وبسيط، صفاؤه ونقاؤه أكثر، ووارداته والتزاحم والتراكمات فيه أقل، ولذا يكون شديد الانفعال وكثير القبول، بل إن كل خلق فاسد أو صالح يدخل إلى قلب الشاب بنحو أيسر ويكون أشد وأسرع تأثيراً. وكثيراً ما حدث أن تقبل الشاب الحق أو الباطل أو الحسن أو السيىء من مجرد معاشرة أهله بدون دليل وحجة. إذن يجب على الشباب ـ حتى لو كانت قلوبهم مطمئنة بالإيمان ـ أن ينتبهوا إلى كيفية معاشرتهم للآخرين ويتورعوا عن الاختلاط مع السيئين، بل إن الصداقة والاختلاط مع العصاة وذوي الخلق الفاسد والسلوك المنحرف مضر بجميع الناس من أي طبقة كانوا فلا يطمئن أحد لنفسه ولا يغتر بإيمانه أو أخلاقه وأعماله. وقد ورد في الأحاديث الشريفة الأمر بالابتعاد عن معاشرة أهل المعصية.

94

القراءة القلبية للقرآن

الإنسان الذي يريد أن يتلو كلام الله ويداوي بآياته الربانية قلبه القاسي، ويشفي بكلامه الإلهي الجامع أمراضه القلبية، ويطوي بنور هداية هذا المصباح الغيبي المنير وهذا النور على النور السماوي طريق الوصول إلى المقامات الأخروية والمدارج الكمالية، لا بد له من توفير الأسباب الظاهرية والباطنية ورعاية الآداب الصورية والمعنوية، فلا يكون مثلنا نحن بحيث لو قرأنا القرآن ذات مرة، فعلاوة على أننا نغفل كلياً عن معاني الآيات الكريمة ومقاصدها وأوامرها ونواهيها ووعظها وزجرها وكأن آيات الجنة ونعيمها وآيات جهنم وعذابها لا تعنينا، بل نعوذ بالله يكون انتباهنا وتوجه قلوبنا عند قراءة الكتب القصصية أكثر من

توجهنا حين تلاوتنا للآيات المجيدة. مضافاً إلى ذلك فإننا نغفل حتى عن الآداب الظاهرية لقراءة القرآن الكريم. نحن عندما نريد أن نظهر للناس صوتنا الحسن وأنغامه الجميلة نلجأ إلى قراءة القرآن أو الأذان دون قصد التلاوة أو العمل بالاستحباب. وعلى كل حال إن مكائد الشيطان وأضاليل النفس الأمارة كثيرة، وغالباً ما يلتبس الحق بالباطل، والحسن بالقبيح، فيجب أن نلوذ بالله سبحانه ونعوذ به من هذه الأشراك والأفخاخ.

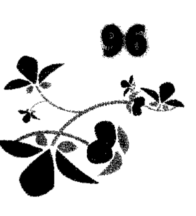


95

أقوى أسلحة الشيطان

يجب أن ننتبه إلى أن أسوأ الأشواك في طريق الكمال والوصول إلى المقامات الروحانية، والذي يعد من المكائد الكبرى للشيطان القاطع للطريق هو إنكار المقامات والمدارج الغيبية الروحية. فهذا الإنكار والجحود هو رأسمال كل الضلالات والجهالات، وسبب الوقوف والخمود، وإماتة لروح الشوق التي هي براق الوصول إلى الكمالات، وإطفاء للهب العشق الذي هو واسطة المعراج الروحاني، فيمني الإنسان بالتقاعس والإحجام عن الطلب.

وعلى العكس إذا آمن الإنسان بالمقامات الروحانية والمعارج العرفانية فمن الممكن أن يلهب هذا الإيمان جذوة العشق الفطري الخامد تحت رماد الرغبات النفسية، ويشعل نار الشوق في القلب، فيندفع الإنسان شيئاً فشيئاً نحو الطلب وينهض بالمجاهدة حتى يصبح مشمولاً بهداية الحق وعنايته تعالى.



96

التفكر لأجل التزكية

أيها العزيز، إذا كنت راغباً في دراسة الروايات والأحاديث فراجع الكتب الشريفة للأحاديث وخاصة كتاب (أصول الكافي)، وإذا كنت من التائقين للبيان العلمي واصطلاحات العلماء فراجع الكتب الأخلاقية مثل كتاب (طهارة الأعراق) لابن مسكويه وكتب الفيض الكاشاني والعلامة المجلسي والنراقيين، وإذا وجدت نفسك في غنى عن اكتساب الفضيلة ولا ترى ضرورة في الابتعاد عن الخلق السيىء فحاول أن تعالج جهلك الذي هو رأس الأمراض. يستطيع الإنسان ما دام حياً أن ينقذ نفسه من هذه الظلمات، ويبلغ بها عالم الأنوار. نعم يستطيع البلوغ إلى ذلك، ولكن ليس مع هذه البرودة والخمود والفتور والإهمال الذي أصابنا حيث نرى جميعاً بأننا منذ أيام الطفولة ننمو على الخلق الذميم والسلوك المنحرف الذي اقترفناه من جراء هذه الحالات السيئة من العشرة اللامسؤولة، والاختلاط غير اللائق. ولا نبقي عليها فحسب بل نضيف في كل

يوم على تلك الحالات الذميمة، وكأننا لا نعتقد بوجود عالم آخر ونشأة باقية، وكأن دعوة الأنبياء والأولياء عليهم السلام لا تعنينا فلا نعلم إلى أين نصل مع هذه الأخلاق التي نتصف بها، ومع هذه الأعمال التي نقترفها؟ وفي أية صورة نحشر يوم القيامة؟ وعندما نصحو ونستيقظ نعرف بأن الفرصة قد فاتتنا وأن الحسرة والندامة ستكون من نصيبنا ولا نلومن حينئذٍ إلاّ أنفسنا.

97



المحبة الكاذبة

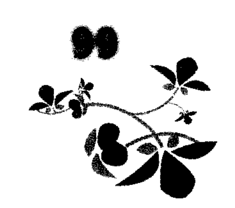
أيها العزيز، لا يغرّنك الشيطان، ولا تخدعنك الأهواء النفسية، فمن المعلوم أن الإنسان الخامل المبتلى بالشهوات وحب الدنيا والجاه والمال مثل الكاتب يبحث عن مبرر لخموله، ويقبل على كل ما يوافق شهواته، ويعزز أوهامه الشيطانية وينفتح بكل وجوده على مثل هذه الأخبار من دون أن يبحث عن مغزاها أو يتأمل في الأخبار الأخرى التي تعارضها. إن هذا المسكين يظن أن مجرد ادعاء التشيّع وحب أهل بيت الطهارة والعصمة يسوّغ له ـ والعياذ بالله ـ اقتراف كل محرَّم من المحظورات الشرعية ويرفع عنه قلم التكليف. إن هذا السيىء الحظ لم ينتبه بأن الشيطان قد ألبس الأمر عليه. ويخشى عليه في نهاية عمره أن تسلب منه هذه المحبة

الجوفاء التي لا تجدي ولا تنفع، فيحشر يوم القيامة صفر اليدين وفي صفوف نواصب أهل البيت عليهم السلام. إن ادعاء المحبة من دون دليل وبيّنة لا يكون مقبولاً. لا يمكن أن أكون صديقك وأضمر لك الحب والإخلاص وأقوم في المقابل بكل ما هو مناقض لرغباتك وأهدافك. إن شجرة المحبة تنتج وتثمر حسب درجة المحبة ومستواها، وإن لم تحمل تلك الشجرة هذه الثمرة فلا بد من معرفة أنها لم تكن محبة حقيقية وإنما هي محبة وهمية.

98

الاهتمام بالقرآن والروايات

إخواني المؤمنين وخاصة أهل العلم؛ اندفعوا نحو معارف أهل البيت واهتموا بقراءة القرآن ولا تبتعدوا عنه، فإن الهدف الأهم والأسمى لبعثة الرسل وإنزال الكتب هو معرفة الله التي تتوفر في ظلها سعادة الدنيا والآخرة. ولكن المؤسف أن الإنسان ما دام يعيش في هذا العالم فهو واقع في الحجب المختلفة التي تمنعه من رؤية طريق سعادته. وكلما دعاه الأولياء والأنبياء والعلماء ونصحوه لم يفق من نومه، ولم يصغ إلى هذه النداءات والإرشادات. وعندما يستيقظ يجد السعادة قد أفلتت من يديه ولا يملك إلاّ الحسرة والندامة.



مخالفة العرفاء بالله

أوصيك أيها الأخ العزيز أن لا تسيىء الظن بهؤلاء العرفاء والحكماء الذين كثير منهم من خلّص شيعة علي بن أبي طالب وأولاده المعصومين وسلاّك طريقتهم المتمسكين بولايتهم. وإياك أن تقول عليهم قولاً منكراً أو تسمع إلى ما قيل في حقهم فتقع فيما تقع. واعلم أنه لا يمكن الاطلاع على حقيقة مقاصدهم بمجرد مطالعة كتبهم ودون الرجوع إلى أهل اصطلاحهم، فإن لكل قوم لساناً ولكل طريقة تبياناً. ولولا مخافة التطويل والخروج عن المنظور الأصيل لذكرت من أقوالهم ما يحصل لك اليقين على ما ادعيناه والاطمئنان بما تلوناه.



الأبعاد المعنوية للحج

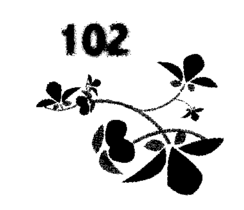
سفر الحج.. ليس سفر تحصيل الدنيا، إنه السفر إلى الله، أنتم ذاهبون إلى بيت الله ويجب أن تجعلوا جميع الأمور التي تؤدونها إلهية. سفركم الذي يبدأ من هنا هو وفود إلى الله وسفر باتجاهه تبارك وتعالى. وكما الأنبياء وعظماء ديننا الذين كان سفرهم إلى الله طوال حياتهم ولم يتخلفوا قيد أنملة عن ذلك الشيء الذي كان هو برنامج الوصول إليه تعالى، أنتم أيضاً الآن تذهبون للوفود إلى الله. إنكم حيث تذهبون إلى هناك تقولون لله في الميقات لبيك، يعني أنت تدعو ونحن نجيب. ولا سمح الله أن تقوموا بعمل يؤدي إلى أن يقول الله تبارك وتعالى لكم: لا، أنا لا أقبلكم لأنكم بما فعلتم لستم إسلاميين. سفركم الإلهي هذا تَرجمون فيه الشيطان. إذا لم تكونوا إلهيين ستكونون من جنود الشيطان، وبذلك سترجمون أنفسكم أيضاً. يجب أن تكونوا رحمانيين حتى يكون رجمكم رجماً رحمانياً، رجم جنود الرحمن للشيطان.

101

التصديق القلبي

يجب أن نفهم هذه الحقائق، أن نعيها بقلوبنا لا بألسنتنا فإدراك الحقيقة بالقول أمر يسير ولكن إيصالها إلى القلب بحيث يصدق بها القلب أمر صعب. فمرة يقول الإنسان بلسانه إن هناك جنة وناراً، وقد يكون معتقداً بذلك، ولكن التصديق غير الاعتقاد العلمي. قد يستدل على ذلك بالبرهان أيضاً ولكن التصديق شيء آخر. الذي يصدق أن "الغيبة إدام كلاب النار" لا يمكن أن يغتاب. نحن عندما نغتاب أحياناً ـ والعياذ بالله ـ فلأن التصديق بتلك الحقيقة لم يحصل لدينا بعد. الذي يصدق أن جميع ما يقوم به من أعمال هنا له صورة هناك في العالم الآخر، فإذا كانت أعمالاً حسنة فصورتها حسنة وإن كانت سيئة فصورتها سيئة. وعلى أساسها يكون الحساب، فإن هذا

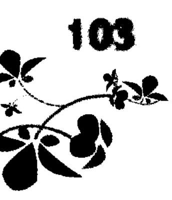
التصديق يستلزم أن يلتزم بمقتضياته عملياً. إذا صدَّق الإنسان أن هناك موجوداً هو مبدأ هذا العالم وهناك حساباً وأن هناك مرحلة بعد الموت وأن الموت ليس فناءً بل هو انتقال من نقص إلى كمال، فهذا التصديق يحفظه من كافة المزالق والانحرافات. ولكن المسألة الوحيدة هي كيف يحصل هذا التصديق؟!



معرفة الله

إذا أيقن الإنسان وصدّق أن المحامد لله لأعرض عن نفسه. إن ما ترونه ونراه من كثرة ضجيج الإنسان بمقولة ﴿لمن الملك﴾ وما ترونه من كثرة غرور الإنسان يرجع إلى كونه لم يعرف نفسه، فإن "من عرف نفسه فقد عرف ربه". ولو عرف الإنسان انه لا شيء وصدق بذلك، وصدق أن كل ما هو موجود منه تعالى لعرف ربه. المشكلة الأساسية هي أننا لا نعرف أنفسنا ولا نعرف ربنا، لم نصدق أننا لا شيء ولم نصدق أنه هو كل شيء، وما لم يحصل هذا التصديق فلا فائدة من إقامة البراهين مهما زادت واتسعت، ما دامت تلك "الأنانية النفسية" فاعلة.

إن أقوال "أنا كذا وأنت كذا" هي كلها ادعاءات فارغة من أجل الرئاسة وأمثالها، وأصلها بقاء الأنانية التي طالما بقيت فإن الإنسان لا يرى إلا نفسه.



التصديق بالقرآن

إن شاء الله نحن لا نكتفي بقراءة القرآن وتفسيره، بل المهم أن نصدق بمسائله، وأن نصدق بكل كلمة نقرأها فيه. هذا الكتاب الذي أراد صناعة الإنسان وهذا الوجود، الموجود الذي أوجده بنفسه وباسمه الأعظم، بالله، المتضمن لكل شـيء...إن جميع الأنبياء قد بعثوا لأجل الأخذ بيد الإنسان وإخراجه من هذه الحفرة العميقة التي سقط فيها، حفرة النفسانية التي هي أعمق الحُفر، وهدايته إلى تجليات الحق ليذهل عن كل ما سوى الحق .. رزقنا الله ذلك بمشيئته عز اسمه.

104

الهجرة إلى الله

هناك أشخاص تحركوا وخرجوا من هذه البئر وهاجروا ﴿**ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله**﴾. أحد الاحتمالات هو أن هذه الهجرة هي من النفس إلى الله، و﴿**البيت**﴾ هنا هو نفس الإنسان، فهناك طائفة خرجوا وهاجروا من هذا البيت الظلماني ﴿**إلى الله ورسوله**﴾ إلى أن وصلوا إلى منزل ﴿**أدركه الموت**﴾. وصلوا مرتبة لم يعد لهم فيها شيء من أنفسهم، موت مطلق، وعندها ﴿**وقع أجرهم على الله**﴾ فهنا أجر آخر لا هو الجنة ولا أشكال النعيم الأخرى، هنا "الله" فقط... وهناك طائفة مثلنا، لا هجرة لنا أصلاً، فنحن في هذه الظلمات أسرى هذه الدنيا والطبيعة، وأشد منها، أسرى "أنانية"

أنفسنا سجناء هذه البئر العميقة، سجناء بيت النفسانية. إننا لا نرى إلاّ أنفسنا وكل ما نريده هو لها، ليس لدينا غير النفس ولم نفكر أصلاً ولم نسع للهجرة؛ فكل ما نفكر به هو في بيت النفسانية. جميع القوى الإلهية التي أودعها الله فينا أمانة لدينا، ولا نردها إلى صاحبها!

105

الأنانية أم المصائب

كل ما يجري علينا وكل ما نبتلى به هو من حب النفس، من هذه الأنانية "أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك"، هكذا ورد التعبير عن النفس فهي أسوأ من كل الأعداء، وأكبر من كل الأوثان. إنها أم الأوثان، إذ أن الإنسان يعبدها أكثر من سائر الأوثان، ويتوجه إليها أكثر من سائر الأوثان، وما لم يحطم هذا الوثن فلا يستطيع أن يصبح إلهياً. لا يمكن الجمع بين الله وبين الوثن، ولا يمكن الجمع بين الإلهية والأنانية. إننا ما لم نخرج من هذا البيت، من معبد الأصنام هذا، وما لم نتحرر من هذا الوثن ونعرض عنه ونتوجه إلى الله تبارك وتعالى، فنحن من عبدة الأصنام حتى لو كنا موحدين ظاهراً.

نقول "الله" بألسنتنا ولكن الذي في قلوبنا هو أنفسنا، نريد "الله" لأنفسنا، وإذا كنا نريد "الله" لأنفسنا فإننا نقف ونصلي

ونردد ألفاظ ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ولكن العبادة هي في الواقع عبادة النفس. وعندما يكون الالتفات والتوجه للنفس عندها أرى جميع الأبعاد بالنفس، وأريد جميع الأشياء للنفس. جميع هذه المصائب التي تحل بالإنسانية إنما هي ناشئة من "أنانية الإنسان"، جميع الحروب في هذا العالم هي من هذه الأنانية.

106

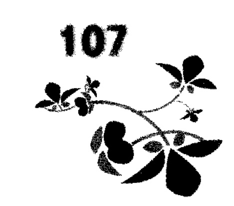
عبادة النفس

نحن واقعون في بئر عميقة وظلمات، أشدها ظلمة هي ظلمة الأنانية. وما لم نخرج من هذه الظلمة فلا سبيل للخروج من تلك البئر العميقة. ما دمنا في ظلمات الأنانية فسنظل غير ملتفتين إلاّ إلى أنفسنا. نعتبر الآخرين لا شيء وأنفسنا كل شيء، ونقبل ما ينفعنا ولا نرضى بما يخالفنا حتى إذا كان حقاً؛ وكل ذلك ناشىء من الأنانية. كل المصائب التي تحل بنا وبكم وببني آدم في كل مكان ناشئة من هذا المنبع. فالنزاع ناشىء من الأنانية. من كوني أنا أشدّ إلى طرفي وأنت إلى طرفك، وما دامت هذه الأنانية موجودة فما من "إلهية" في العمل وما من عبادة إلا عبادة النفس.

فمن هو القادر على الخروج من معبد الأوثان هذا الموجود في داخل الإنسان ذاته؟

إن القدم الأولى هي أن تقرروا الخروج من هذا البيت، أن يقوم الإنسان قياماً لله، أن يستيقظ، أن لا يبق نائماً مثلما نحن الآن في سبات ظاهره اليقظة، يقظة الحيوانية وسبات الإنسانية. نحن نائمون الآن؛ "الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا" وعندما يحصل الموت ينتبهون إلى الواقع الذي كانوا فيه!

أسأل الله التوفيق لأن نخرج من هذه البئر الظلمانية العميقة ونتبع أولياء الله فهم قد تخلصوا من هذه المهلكة وخرجوا منها.



القرآن تبيان كل شيء

القرآن ليس ألفاظاً، ليس من مقولة السمع والبصر ولا من مقولة الألفاظ ولا الأعراض، ولكن أنزل إلى الدرجة التي نستطيع نحن الصم العمي أن ننتفع به أيضاً. أما حال أولئك الذين ينتفعون منه بتلك الصور العليا فهو حال آخر. ووضعهم التربوي وضع آخر. وكيفية تلقيهم من القرآن هي على نحو آخر غير الموجود هنا. فكيف تستطيعون أن تُفهِموا الأعمى ما هي الشمس وما هو النور؟ بأي لسان وبأي قول غير أن النور هو الشيء الذي يضيء. لكن الذي لم ير النور كيف يمكن تفهيمه هذا المعنى؟

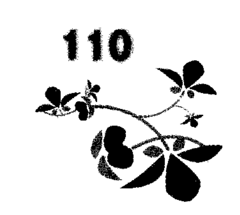
العلم الحجاب الأكبر

الإنسان أناني ما لم يخرج من هذا الحجاب. يحصر جميع الكمالات بالعلم الذي توصل إليه وأدركه، فالفقيه يتصور أن لا شيء غير الفقه في العالم، والعارف يتصور أن لا شيء غير العرفان والفيلسوف يتصور أن لا شيء غير الفلسفة، والمهندس يتصور أن لا شيء غير الهندسة. فإذا بالذي ينبغي أن يرشد الإنسان إلى الطريق يصبح مانعاً. وهذا هو حال العلوم الرسمية جميعاً، فهي تحجب الإنسان عما ينبغي أن يصل إليه وتولّد لديه العجب. فعندما يدخل العلم قلباً غير مهذب يجر صاحبه إلى الخلف، وكلما زاد مخزونه زادت مصائبه. أنا لا أدري إلى متى نبقى على هذه الحالة، يجب كحد أدنى أن نهذب أنفسنا بحيث لا تكون هذه

العلوم الرسمية مانعة لنا عن الله وذكره. وهذه مسألة مهمة، أن لا يصبح الاشتغال بالعلم سبباً للغفلة عن الله. ونحن لم نخرج حتى من الحجب الظلمانية، لا زلنا نتقلقل بين أطباقها ولا ندري ماذا ستكون العاقبة. العلم لم يترك في نفوسنا إلا الأثر السيىء، إن العلوم، الشرعي منها والعقلي، التي أطلق المساكين المحجوبون عليها صفة "الذهنيات" التي لا عينية لها ولا واقعية، هي وسائل للوصول إلى المقصد، فكل ما يصدنا منها عن المقصد لا يكون علماً بل حجاباً ظلمانياً.

القيام لله

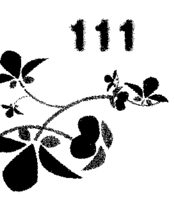
القيام لله هو مقدمة السير إلى الله والقيام هو أول مرتبة. ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله**﴾ وقد اعتبر أصحاب السير هذا القيام المنزل الأول، ولكنه ليس منزلاً بل مقدمة. ما في الآية موعظة من الرسول المختار تقول ﴿**قل إنما أعظكم بواحدة**﴾. ومن هنا تنطلق كافة القضايا وهو القيام لله، أن يقوم الإنسان لله ويستيقظ من غفوته. ونحن لم نصغ بعد لهذه الموعظة الأولى ولم نخطُ خطوة واحدة في سبيله فسلوكنا إلى النفس والهوى.



ترك التعلق بالدنيا

عليكم أن تقللوا من شدة هذا التعلق بمختلف أشكاله، فنحن على كل حال راحلون عن هذه الدنيا سواء أحببنا شيئاً وتعلقنا به أو لا، فلا فرق. سواء أتعلقتم بهذا الكتاب أو هذا المنزل أم لم تتعلقوا، فهما لكم تنتفعون بهما على كل حال، فاسعوا إلى قطع هذا التعلق ما استطعتم. إن الذي يسبب شقاء الإنسان هو هذه التعلقات. وهي تنشأ من حب النفس وحب الرئاسة الذي يوصل الإنسان إلى الهلاك.

إننا نعتبر أنفسنا غاية في التهذيب والاستقامة وبسبب حب النفس المزروع فينا نعدّ أنفسنا كاملين والآخرين ناقصين فنعيب عليهم. ورد في إحدى المقطوعات الشعرية أن أحدهم عاب على آخر عيباً فأجابه: أنا كما قلت ولكن هل أنت كما تتظاهر؟!



الدعاء روح العبودية

أولئك المنتقدون لكتب الأدعية إنما يفعلون ذلك لكونهم جهلة مساكين لا يعرفون كيف تصنع كتب الأدعية هذه الإنسان، هذه الأدعية الواردة عن أئمتنا كدعاء كميل والمناجاة الشعبانية ودعاء سيد الشهداءعليه السلام ودعاء السمات تخرج الإنسان من هذه الظلمات وعندما يخرج منها يصير إنساناً يعمل، إنما في سبيل الله، يشهر سيفه ويقاتل في سبيل الله، ويكون قيامه لله.

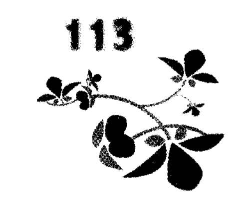
الذين يبعدون الناس عن الأدعية ـ كما فعل ذات يوم الخبيث "كسروى" حين دعا إلى يوم لحرق كتب الأدعية والعرفان ـ هؤلاء لا يعرفون معنى الدعاء وما هي طبيعة تأثيره في النفوس.. حتى

قراءة الأدعية بصورة ببغاوية ولو بمجرد لقلقة اللسان، فإنها تؤثر في قارئيها وهم خير من تاركيها. إن المصلي - ولو وفق أدنى مراتب الصلاة - هو خير من تاركها. والذين يدعون إلى ترك الدعاء هم يرفضون القرآن أيضاً، ففي القرآن ﴿**ادعوني أستجب لكم**﴾ أسأل الله أن يجعلنا من أهل الدعاء وأهل الذكر وأهل القرآن.

112

تحصيل الإيمان القلبي

القلب يدرك الحقيقة، ولكن حال قلوبنا كحال الطفل الذي يجب أن تلقنه كلمة كلمة، فعلى الذي أدرك الحقائق عقلياً أن يوصلها، كمن يهجّي الأحرف، الى قلبه بطريقة التلقين والتكرار والمجاهدة. فإذا وصلت هذه الحقائق إلى القلب ووعاها وأدرك أن "صرف الوجود كل الكمال" فهذا هو الإيمان. أرجو أن نحصّل هذا الإيمان الذي تنكره بعض القلوب من الأساس، إن قلب المنكر لمسائل المعارف، ذاك الذي يكون في منزل الحيوانية لا يستطيع أن يصدق او يؤمن بما وراء هذا المقام الحيواني. ونحن يجب أن نحصّل هذا الإيمان.



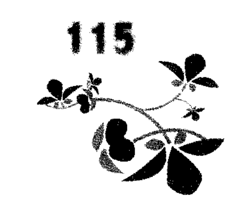
إنكار القلب

نحن الذين لم نستطع أن نفهم هذا العالم، ولم ندرك ما هم عليه البشر، لماذا ننكر ما عند الأولياء؟! إن القلب المنكر محروم كلياً من دخول الحقائق والأنوار إليه. الذي لا يعلم ينكر ولا يقول: لا أعلم. يصف ما يقوله أهل المعرفة بأنه نسج أوهام؛ لأنه محروم يقول ذلك. يروى عن الشيخ الرئيس(ابن سينا) قوله "إن المنكر دون برهان خارج عن فطرة الإنسان". هذا الإنكار هو مرتبة من مراتب الكفر، ليس الكفر الشرعي. إنها مرتبة من الكفر أن ينكر الإنسان ما يجهله، وجميع مصائب البشر ناشئة من هنا، من لجوئهم إلى جحود الحقائق التي لا يستطيعون إدراكها. لا يقدرون أن يصلوا إلى ما وصل إليه أولياء الله فيجحدون به. هذا الكفر الجحودي هو أسوأ أقسام الكفر.



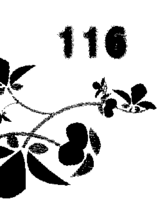
علاج إنكار القلب

الخطوة الاولى هي أن لا يجحد الإنسان بما هو واقعي وورد في الكتاب والسنّة وعلى ألسنة الأولياء، وكذا العرفاء والفلاسفة حسب سعة إدراكهم. المرتبة الأولى هي أن لا ننكر ما قاله الأنبياء والأولياء، فلو أنكرنا لن نستطيع أن نخطو الخطوة الثانية. فالإنكار يمنع المنكر لوجود شيء (سوى هذا العالم) من إدراكه، وبالتالي لن يسعى وراءه. إذا أراد الإنسان أن ينطلق ليخرج من هذه الظلمات عليه أن يحتمل صحة تلك الحقائق ولا ينكرها وإلاّ بقي خلف جدار الإنكار إلى الأبد. يريد من الله أن يفتح عليه طريقاً يجب أن يفتح لنفسه الطرق. يريد من الله سبيلاً للوصول إلى المقصد، فليفتح طريقاً من نفسه.



فهم لغة القرآن

أرجـو أن نفلح في استئصال حجاب الجحود من قلوبنا. ونسأل الله تبارك وتعالى أن يعرفّنا لغة القرآن. إنّ لغة القرآن لغة خاصة، عسى أن يوفّقنا للتعرف على اللغة التي نزل بها القرآن. إن القرآن مائدة أعدها الله لجميع البشر، سُفْرة مبسوطة من قبل الله يتناول منها كل إنسان حسب رغبته ما لم يكن مريضاً فلا يشتهي، فالأمراض القلبية تقضي على الاشتهاء في الإنسان. فإذا لم يكن مريضا وكانت في قلبه الرغبة والاشتهاء انتفع من القرآن الذي تتسع سُفرته للجميع. إن القرآن هو كتاب بناء الإنسان وقد جاء لصناعة الإنسان. إنه ليس كتاب صناعة الحيوان، ليس كتاب إعمار العالم المادي. إنه كل شيء. القرآن يربّي الأولياء في جميع الأبعاد. هو يقبل الماديات. إنه يتعهد المعنويات والماديات أيضاً بتبعها.



نصيحة إلى المربين

السيدات المحترمات! هذّبن أنفسكن وهذّبن أولادكن. أنشئن أولادكن تنشئة إسلامية، تخلّقن بأخلاق الإسلام ولذن به ففي الإسلام كل شيء. ليلبّ السادة المحترمون والسيدات المحترمات نداء الإسلام. إن الإسلام لم يأت لإشباع بطون الناس وإنما جاء لتحقيق المعنويات. فلا يكونن كل شيء لأجل الماديات فهذا خلاف المسلك الإسلامي. إذا تحققت المعنويات فإن الماديات تكون بتبعها وتصير معنوية أيضاً. الإسلام يقبل الأمور المادية بتبع المعنوية لكنه لا يقبل الماديات بشكل مستقل. الأساس هو للمعنويات.

117

جبهة الله وجبهة الطاغوت

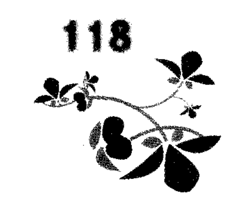
﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾. هذان الإثنان، هما جنبتان، معسكران: معسكر الطاغوت ومعسكر الله. معسكر الله، الذي يتوجه إلى الله والإيمان به، يخرجه الله من جميع الظلمات ويوصله إلى النور. ذلك النور هو نور الحق نفسه، إنه نور ﴿**الله نور السموات والأرض**﴾ الذي يخرجه من جميع الظلمات ـ والتي هي ما سوى الله ـ ويوصله إلى النور؛ يوصله إلى الله.

الطاغوت يخرج الناس من النور ويوصلهم إلى الظلمات ﴿**ظلمات بعضها فوق بعض**﴾.

إنهما طريقان: طريق الأنبياء وطريق الطاغوت. طريق الأنبياء هو صراط الله. والله هو يكون الولي وهو الفاعل وبيده يتربّى

الإنسان. وطريق الطاغوت هو صراط الشيطان حيث يربّي الشيطان الإنسان.

أعزائي، تيقَّظوا وكونوا جنوداً لله. إن الدرس وحده لا يدخل الإنسان في جنود الله. العلم وحده، خاصة العلوم القانونية والمتعارفة لا توصل الإنسان إلى مراتب الإنسانية. بالطبع، هذه العلوم هي لازمة ولكن إلى جانبها ينبغي أن تتوجهوا إلى الغيب. ادرسوا لأجل الله؛ إبدأوا من الصفر ونحن نأمل أن تذهبوا إلى المطلق اللامتناهي. أسلكوا حتى تصلوا إلى هناك حيث لا تشاهدون أحداً غير الله، ترون كل شيء منه، تعتبرون كل شخص مظهره. أخرجكم الله من الظلمات وأوصلكم إلى النور.



الجهاد الأكبر

إن جميع الفضائل هي ثمرة ذاك الجهاد، الجهاد الأكبر. جهاد يجاهد فيه الإنسان نفسه الطاغوتية. أنتم الشباب يجب أن تبدأوا حالاً بهذا الجهاد، لا تنتظروا حتى تذهب قوى الشباب من أيديكم فكلما ذهبت قوى الشباب صارت جذور الأخلاق الفاسدة في الإنسان أكثر وأضحى الجهاد أصعب. يستطيع الشاب أن ينتصر في هذا الجهاد بسرعة لكن الشيخ لا يستطيع ذلك بنفس السرعة. لا تتركوا إصلاح أنفسكم في زمن الشباب وتؤجلوه حتى يأتي زمن الشيخوخة. إن أحد مكائد النفس بالإنسان وما يسوّله الشيطان له هو هذا: أترك إصلاح نفسك حتى آخر عمرك. استفد الآن من الشباب وتب بعد ذلك آخر العمر.

هذا تفكير شيطاني ابتكرته النفس بتعليم من الشيطان الاكبر. يستطيع الإنسان أن يصلح نفسه ما دامت قوى شبابه وروح الشباب اللطيفة فيه، وكذا جذور الفساد ضعيفة.



موضوع بعثة الأنبياء وهدفها

إن كان لكل علم موضوع.. فموضوع علم جميع الأنبياء الإنسان. كل الأنبياء، موضوع بحثهم، تربيتهم، وعلمهم هو الإنسان. لقد جاؤوا لتربية الإنسان. جاؤوا ليوصلوا هذا الموجود الطبيعي من مرتبة الطبيعة إلى المرتبة العالية ما فوق الطبيعة، إلى ما فوق الجبروت. إن الخطاب هو إلى الرسول الأكرم، لكن خطابات القرآن كما أنها لنفس الرسول فهي غالباً عامة. **﴿إقرأ باسم ربك﴾** منذ البداية حيث تبدأ القراءة يعيّن كيف يجب أن تكون، يجب أن تكون باسم الرب. تمام القراءات لجميع الكلمات إن خلت من اسم الرب تكون شيطانية. هناك جنبتان: جنبة رحمانية وجنبة شيطانية. القراءة التي بدأت قد بدأت باسم الرب وهكذا العلم والرؤية والسمع والكلام والدرس، كل شيء بدأ باسم الرب، العالم بدأ باسم الرب.. أنتم أيضاً يجب أن تبدؤوا باسم الرب وتختموا باسم الرب. آية الله

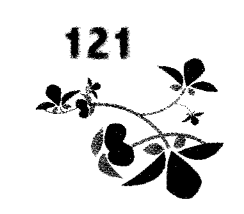
توجد في كل شيء ويجب أن نستشعرها. إن كل العالم هو اسم الله. أنتم جميعاً اسم الله وباسم الله تحققت جميع الأشياء.

﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ نحن منه وإليه وهو كل شيء. الآخرون لا وجود لهم، ليسوا شيئاً. إن كل ما هو موجود هو الله. نحن يجب أن ندرك هذا المعنى. لقد جاء الأنبياء ليربونا، ليجعلونا عاقلين.. إن كتب الأنبياء هي كتب تهذيب الإنسان. كل ما هو موجود يخاطب الإنسان. فالإنسان هو منشأ جميع الخيرات، وإن لم يتحقق الإنسان فسيكون ذلك منشأ جميع الظلمات. يقف هذا الموجود على رأس طريقين: الأول طريق الإنسانية والآخر طريق الإنحراف عن الإنسانية بل إنه خارج عن الحيوانية. إن التعليم لوحده أو التعلم لوحده، وكذلك الفقه أو الفلسفة أو علم التوحيد، لوحده لا فائدة فيه ما لم يقترن باسم الرب.



آداب العبودية

من آداب العبودية أن لا نعترف بقدرة غير قدرة الحق، ولا نثني على أحد غير ثناء الله وثناء أوليائه. نحن عبيد لا نملك شيئاً بل لسنا شيئاً. كل ما هو موجود هو القدرة الإلهية. إعلموا أن كل شيء من الله. نحن عبيد ضعفاء لسنا بشيء .. كل ما هو موجود فهو منه وكل ما نملكه هو منه. ولذا، من يكون مع الله ويتوجه إليه ويؤمن به، يخرجه الله من كل الظلمات ويوصله إلى حقيقة النور. الإيمان بالله هو النور. هو يبعث على أن ترفع جميع الظلمات من أمام أقدام المؤمنين وهو الباعث على استغراق المؤمنين في نور الله. إن المؤمنين ينجون من ظلمات الظلم والاستبداد والقمع والتبعية للغير. الذين يتوجهون إلى الله ويكون مقصدهم مقصداً إلهيا ينجون من جميع أنواع الظلمات المادية منها والمعنوية ويغرقون في بحر النور.



كيفية مبارزة الشيطان

بني ! تحرَّر من حب النفس ورؤيتها فهما إرث الشيطان، وبهما تمرَّد على أمر الله بالخضوع لوليه وصفيّه سبحانه وتعالى. واعلم أن جميع مصائب بني آدم ناشئة من هذا الإرث الشيطاني، فهو أصل أصول الفتنة، وربما تشير الآية الكريمة **﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾** في بعض مراحلها إلى الجهاد الأكبر وقتال أساس الفتنة، وهو الشيطان وجنوده. ولهؤلاء فروع وجذور في أعماق قلوب الناس كافة، وعلى كل إنسان أن يجاهد **﴿حتى لا تكون فتنة﴾** داخل نفسه وخارجها، فإذا حقق هذا الجهاد النصر صَلُحت الأمور كافة وصلح الجميع.

بني! إسع لتحقيق هذا النصر أو بعض درجاته، اجتهد واعمل للحد من الأهواء النفسانية التي لا حد لها ولا حصر، واستعن بالله ـ جل وعلا ـ فإنه لا يصل أحد لشيء من دون عونه.



الاستفادة من الشباب

عزيزي! استثمر ما بقي من الشباب ففي الشيخوخة يضيع كل شيء حتى الالتفات إلى الآخرة والتوجه إلى الله تعالى. إن من كبريات مكائد إبليس والنفس الأمارة بالسوء أن تمني الشباب بوعود الصلاح والإصلاح عند حلول الشيخوخة، فتخسرهم شبابهم الذي يضيع بالغفلة. وأما الشِّيبة فتمنيهم بطول العمر حتى اللحظات الأخيرة .وتصد الإنسان ـ بوعودها الكاذبة ـ عن ذكر الله والإخلاص له، إلى أن يأتي الموت. وعندها تأخذ منه الإيمان إن لم تكن قد أخذته منه كاملاً قبل ذلك الحين. إذاً فانهض للمجاهدة وأنت شاب تمتلك قوة كبرى، واهرب من كل شيء عدا الحبيب ـ جل وعلا ـ وعزز بما استطعت ارتباطك به تعالى، إن كان لديك ارتباط.

أما إذا لم يكن لديك ذلك والعياذ بالله فاسع للحصول عليه

واجتهد في تقويته، فليس هناك ما يستحق الارتباط به سواه تعالى، وإذا لم يكن التعلق بأوليائه تعلقاً به ففيه مكيدة من حبائل الشيطان الذي يصد عن السبيل إلى الحق تعالى بكل وسيلة.

لا تنظر أبداً إلى نفسك وعملك بعين الرضا، فقد كان أولياء الله الخلّص يرون أنفسهم لا شيئا وأحياناً كانوا يرون حسناتهم من السيئات. بني! كلما ارتفع مقام المعرفة تعاظم الإحساس بحقارة ما سواه سبحانه.

123



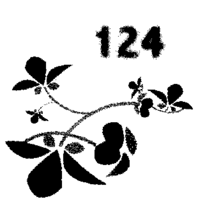
مكارم الأخلاق

ولدي، ما دمنا عاجزين عن شكره وشكر نعمه اللامتناهية، فما أحسن أن لا نغفل عن خدمة عباده، فخدمتهم خدمة للحق تعالى، إذ الكل منه!

لا ترَ نفسك عند خدمة خلق الله دائناً لهم، بل هم حقاً الذين يمنون علينا لكونهم وسيلة لخدمة الله. ولا تسع لكسب السمعة والمحبوبية من خلال هذه الخدمة، فهذه بحد ذاتها أحبولة من حبائل الشيطان الذي يوقعنا بها. واختر في خدمة عباد الله الأكثر نفعاً لهم لا لك ولأصدقائك، فمثل هذا الاختيار هو علامة الإخلاص لله جل وعلا.

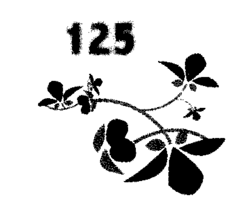
ولدي العزيز، إن الله حاضر والعالم محضره، ومرآة نفوسنا هي إحدى صحائف أعمالنا، فاجتهد لاختيار كل عمل يقربك إليه ففي ذلك رضاه تعالى. لا تعترض عليّ في قلبك بأن لو كنت

صادقاً فلماذا أنت نفسك على غير هذه الحال؟ فإن نفسي على علم بأني لا أتصف بأي من صفات أهل القلوب ولديّ خوف من أن يكون هذا القلم في خدمة إبليس والنفس الخبيثة فأحاسب على ذلك غداً، ولكن أصل هذه المطالب حق، وإن كانت مكتوبة بقلم أمثالي ولست بعيداً عن الخصال الشيطانية. اللهم خذ أنت بيد هذا العجوز العاجز واجعل عواقب أمورنا خيراً.



التفكر والإرادة

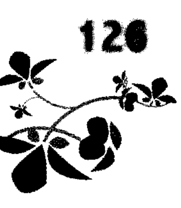
أيها العزيز! فكّر قليلاً في حالاتك وراجع أحاديث أهل بيت العصمة عليهم السلام وشمّر عن ساعد الهمة. فهّم النفس بالتفكر والتدبر أن هذه المناسك ولا سيّما الصلاة، وبالأخص الواجب منها هي سبب السعادة وزاد الحياة في عالم الآخرة، وهي ينبوع الكمالات كافة ورأسمال الحياة في تلك النشأة.



حضور القلب

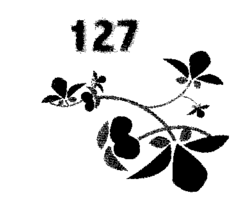
إن مثل القلب كمثل الطائر الذي يطير على الدوام من غصن إلى آخر. فما دامت شجرة الآمال الدنيوية وحب الدنيا فيه، فطائر القلب متعلق بأغصانها. أما إذا قطع الإنسان هذه الشجرة بالرياضات والمجاهدات والتفكر في عواقبها ومعايبها، والتدبر في الآيات والأحاديث وأحوال أولياء الله، فقد سكن القلب وأصبح مطمئناً وصار من الممكن أن يفوز بنيل الكمالات النفسانية، ومنها تحقق حضور القلب بجميع مراتبه، أو يفوز بنيل الثمار بمقدار ما يوفق في تحجيم هذه الشجرة.

وبالجملة فإن عقبة طريق الوصول إلى الكمالات، والشيطان القاطع لسبيل مقام القرب والوصول، والذي يصرف الإنسان عن الحق ويحرمه لذة مناجاته ويجعل القلب ظلمانياً كدراً هو "حب الدنيا" الذي عُدّ في الأحاديث الشريفة "رأس كل خطيئة" و "مجتمع كل المعاصي".



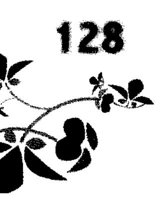
تحصيل حضور القلب

على الإنسان أن يقلل في أوقات العبادات من الانشغالات القلبية وخواطرها، وعليه أن يخصص للعبادة وقتاً تقل فيه مشاغله ويكون قلبه فيه أكثر اطمئناناً وسكينة. وبعد تقليل الشواغل القلبية، عليه أن يقلل من الشواغل الخارجية أيضاً بالقدر المستطاع، ولعل الفائدة من أكثر الآداب الشرعية كالنهي عن التلفت إلى الأطراف والعبث باليد واللحية وفرقعة الأصابع ومدافعة البول والغائط والريح ومدافعة النوم والنظر إلى نقش الخاتم والمصحف والكتاب والاستماع للكلام الخارجي وحديث النفس وسائر المكروهات، وكذا المستحبات الكثيرة هي لأجل حفظ حضرة الباري جلّت عظمته.



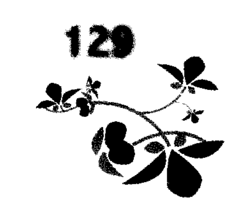
مراقبة النفس

أيها العزيز لا تقع في وساوس الشيطان فتقنع بما لديك، تحرك قليلاً وتجاوز الصورة الجوفاء والقشر الخاوي. أخضِع أخلاقك الذميمة وحالاتك النفسية للدراسة والمحاسبة مستأنساً بكلمات أئمة الهدى عليهم السلام وكلمات كبار العلماء ففيها بركات. إذا كنت لا تعرف عظمة عارف ما فرضاً، فاتبع كبار علماء المعرفة والأخلاق الذين يجمع عليهم العلماء مثل مولانا العارف بالله والسالك إلى الله الشيخ الجليل البهائي قدس سره. إقرأ، وإذا لم تفهم فاسأل أهل الاختصاص، ففي ذلك كنوز من المعرفة. إقرأ كتب الشيخ الجليل العارف بالله الحاج ميرزا جواد التبريزي قدس سره، فلعلك تخرج من هذا الرفض والتعسف إن شاء الله ولا تقضي عمرك بالبطالة خالياً ـ كحال الكاتب ـ من جميع مقامات المعرفة والإنسانية، فإنك ـ لا سمح الله ـ لو رحلت عن هذا العالم بهذه الحال، كانت عاقبتك حسرات وندامة لا تجبر وظلمات وكدورات لا تنتهي.



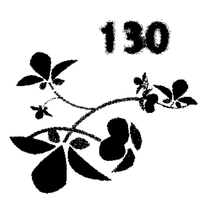
تحصيل حضور القلب

من الأمور التي تعين الإنسان على حضور القلب مراقبة الوقت الذي هو عهد الله المعهود وميعاده الموعود، وإذا لم يستطع السالك إلى الله والمجاهد في سبيل الله أن يجعل جميع أوقاته لله، فعليه ـ كحد أدنى ـ أن يراقب هذه الأوقات الخمسة التي حددها الحق تعالى له ودعاه إلى اللقاء، وأن يشكر الله تعالى بروحه وقلبه على سماحه له بالدخول في المناجاة، وإذنه له بالخدمة في مجلس الأنس ومحفل القدس. عليه أن لا يغفل عن ذلك وأن لا يتخلف عن موعد الحق، فلعل هذه المواظبة على الأوقات والمراقبة لميعاد اللقاء الذي يكون في البداية صورياً بلا لب تؤدي بتوفيق الحق ومعونته إلى أن يصبح حقيقة وذا لب.



اللجوء إلى الله تعالى

نحن المساكين، حيارى وادي الضلالة وسكارى كأس الغفلة وعبادة النفس، محرومون من صلاة أهل المعرفة وسجود أصحاب القلوب، فخير لنا أن نضع نصب أعيننا حالة قصورنا وتقصيرنا وذلّنا ومذلّتنا، وأن نأسف على حرماننا، ونتحسر على كيفية احتجابنا وأن نعوذ بالحق تعالى من هذا الخسران ومن تسلُّط النفس والشيطان، فعسى أن تحصل لنا حالة الاضطرار فتستجيب الذات المقدسة للمضطرين **﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾**. فلنعفّر ـ ونحن في حال القلق والاضطراب بقلب حزين مغموم ـ رؤوسنا بتراب المذلّة وهو أصل خلقتنا، ونتذكّر نشآت ذلنا ومسكنتنا، ونطلب من الله وهو ولي النعم بلسان حالنا جبران النقائص.



العمر السريع الزوال

ها قد انقضت سنة أخرى من أعمارنا.. أنتم الشباب تسيرون نحو الهرم والشيخوخة، ونحن الشيوخ نقترب من الموت. أنتم على علم بمدى التقدم العلمي الذي أحرزتموه وحجم المعارف التي اكتسبتموها في هذا العام الدراسي. ولكن ما الذي فعلتموه بالنسبة لتهذيب الأخلاق وتزكية النفس وتحصيل الآداب الشرعية والمعارف الإلهية؟ أية خطوة إيجابية خطوتم؟ وهل كان لديكم برنامج لذلك؟

131

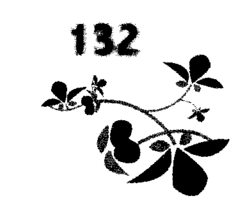
العلم بلا عمل

إذا لم يتخلص الإنسان من الخبائث فإنه مهما درس وتعلّم لن يكون علمه مفيداً. وليس هذا فحسب، بل سيكون مضرّاً. فالعلم عندما يرد أرضاً خبيثة، سوف ينبت نبتاً خبيثاً ويصبح شجرة خبيثة. وكلما تكدست هذه المفاهيم في القلب المظلم غير المهذب ازدادت الحجب أكثر فأكثر؛ فالعلم في النفس التي لم تتهذب يكون حجاباً مظلماً "العلم هو الحجاب الأكبر". ولهذا كان شر العالم الفاسد بالنسبة للإسلام أخطر وأعظم من كل الشرور.

العلم نور إلا أنه في القلب المظلم والقلب الفاسد يجعل الظلمة أكثر عتمة. العلم يقرّب الإنسان من الله تعالى، إلاّ أنه في النفس الطالبة للدنيا يبعث على الابتعاد أكثر من محضر ذي الجلال. إنكم لو درستم وتحملتم الصعاب في هذا السبيل، فقد تصبحون علماء، ولكن ينبغي أن تعلموا أن ثمة فرقٌ كبيرٌ بين "العالم" و"المهذب".

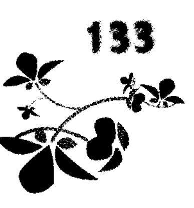
كان أستاذنا وشيخنا المرحوم يقول: "ليس صحيحاً أن يقال: من السهل أن تصبح معمّماً - رجل دين - لكن كم هو صعب أن تكون إنساناً، بل ينبغي القول : من الصعب أن تصبح رجل دين ومن المستحيل أن تكون إنساناً". فما أكثر الذين كانوا علماء في علم التوحيد وانحرف بسببهم طوائف. هذه المصطلحات الجافة إذا خلت من التقوى وتهذيب النفس فإنها كلما تكدست في الذهن أكثر، تعاظم التكبر والغرور في دائرة النفس أكثر فأكثر.

تحلّوا بالأخلاق الفاضلة وتخلصوا من الأخلاق الذميمة. وليكن الإخلاص رائدكم في درسكم وبحثكم ليقربكم من الله تعالى. فإذا لم تخلص النية في الأعمال، فسوف يبتعد الإنسان عن عز الربوبية. لا تكونوا إذا فُتحت صحيفة أعمالكم بعد سبعين سنة من العمر ممن يرون والعياذ بالله أنهم أضحوا سبعين سنة بعيدين عن الله عز وجل. حاذروا أن تكون عاقبة أحدكم أن يقضي خمسين عاماً، قلّت أو كثرت، في الحوزات العلمية مع كد اليمين وعرق الجبين ولا يجني غير جهنم.



باطن الأعمال

لا تؤجِّجوا النار بأيديكم... لا تضرموا نار جهنم. إن نيران جهنم تتأجج بأعمال الإنسان وأفعاله القبيحة. قال عليه السلام: "**جزنا والنار خامدة**". فإذا لم يفعل الإنسان ما يشعل نار جهنم ويؤججها فإن جهنم خامدة.. إن باطن هذه الدنيا هو جهنم والإقبال على الدنيا هو إقبال على جهنم. لا يدرك الإنسان هذه الحقيقة إلاّ حين ينتقل إلى الدار الآخرة وتسقط الحجب، حينها يدرك أن ﴿**ذلك بما قدمت أيديكم**﴾﴿**ووجدوا ما عملوا حاضراً**﴾. فكل ما يصدر عن الإنسان في هذه الدنيا يجده أمامه مجسّماً في العالم الآخر. فكروا قليلاً وكونوا بعيدي النظر. زنوا عواقب الأمور. تذكروا العقبات الخطيرة التي ستواجهونها. تذكروا عذاب القبر وعالم البرزخ والشدائد والأهوال التي تعقبه، ولا تغفلوا عنها. آمنوا على الأقل بجهنم. إن أحدكم الآن لا يستطيع أن يقبض على حصى محمّاة لمدة دقيقة واحدة فاتقوا نار جهنم.



العنايات الإلهية

من عناية الله تعالى بعباده أن وهبهم العقل ومنحهم القدرة على تهذيب نفوسهم وتزكيتها، وبعث الأنبياء والأوصياء ليعملوا على هدايتهم وإصلاحهم لئلا يبتلوا بعذاب جهنم الأليم. وإن لم تكن هذه الوسائل نافعة في تنبيه الإنسان وتهذيبه فالله الرحيم ينبهه بوسائل أخرى، بالفقر والمرض والابتلاءات والمصائب المختلفة. ويعالج كالطبيب الحاذق والممرض الرحيم الماهر هذا الإنسان من الأمراض الروحية الخطرة.

إذا كان العبد محل عناية الله تعالى فإنه يبتلى بصنوف الابتلاءات حتى يلتفت إلى خالقه تعالى ويهذب نفسه. وإن لم تحصل النتيجة المرجوة من هذا الطريق فلم يعالج الإنسان المذنب ولم يستحق نعمة الجنة، فإن الله تعالى يشدِّد عليه في حال النزع لعله يتذكر وينتبه. وإذا لم يؤثر فيه ذلك أيضاً، تأتي موقظات القبر

وعالم البرزخ والعقبات التي تتبعه لكي تطهره وتزكيه وتحول دون دخوله جهنم.

كل هذه المراحل عنايات إلهية لإبعاد الإنسان عن جهنم وإنقاذه منها. فكيف به إذا لم تنفع معه كل هذه الموقظات والعنايات الإلهية؟ لا مفر من آخر الدواء، وهو الكي. فكم من إنسان لم يهتد ولم يصلح ولم تنفع معه هذه العلاجات، فاحتاج النار لكي يصلحه الله الكريم الرحيم، كالذهب الذي يُعرّض للنار لتنقيته وتحويله إلى معدن خالص. وهذا يتعلق بتلك الفئة من العباد الذين لم تتسع حدود معصيتهم بحيث يطردون من رحمة الله، ويحرمون من مغفرته ولطفه؛ بل لا يزالون يمتلكون بعض اللياقة لدخول الجنة. فلا قدَّر الله أن يطرد الإنسان على أثر كثرة معاصيه من محضر الله ويحرم من الرحمة الإلهية فلا يبقى أمامه سبيل غير الخلود في نار جهنم.

إحذروا من أن تحرموا من الرحمة والعناية الإلهية فيحل عليكم غضب الله ويحيط بكم عذابه. إحذروا من أن تكون أعمالكم وأفعالكم بنحو تسلبكم توفيقات الله تعالى فلا يكون أمامكم سبيل غير الخلود في النار.

134



الانقطاع إلى الله

لقد أوضح الأئمة الأطهار كثيراً من المسائل عن طريق الأدعية. فرق كبير بين لسان الدعاء وبين الكلام العادي الذي كان من خلاله هؤلاء العظام يبينون الأحكام. لقد بينوا اكثر المطالب المعنوية ومسائل ما وراء الطبيعة والمعارف الإلهية الدقيقة بلغة الدعاء. بيد أننا نقرأ نحن هذه الأدعية ونمر عليها إلى آخرها دون أن نلتفت إلى معانيها مع الأسف. بل لا نعي أساساً ماذا كان يريد الأئمة بها. نحن نقرأ في هذه المناجاة "إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك" إن كمال الانقطاع لا يتحقق بهذه البساطة. فهناك حاجة فائقة إلى ترويض النفس بالجهد والرياضة والاستقامة و الممارسة لكي يمكن الانقطاع بكل القوى عن كل ما سوى الله سبحانه وتعالى. فجميع الصفات الإنسانية الجليلة تكمن في الانقطاع إلى الله. ومن تمكن من الوصول إلى هذا فقد بلغ غاية السعادة. ولكن يستحيل "الانقطاع الى الله" مع أقل توجّه إلى الدنيا.

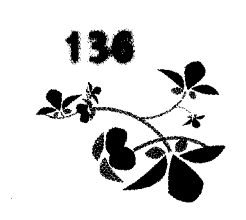
135

شهر رمضان

عليكم في هذه الأيام القلائل التي تفصلنا عن شهر رمضان المبارك، أن تفكروا في إصلاح أنفسكم والتوجه إلى بارئكم.. استغفروا الله من أفعالكم وأقوالكم التي لا تليق. وإذا كنتم قد ارتكبتم ـ لا سمح الله ـ ذنباً فتوبوا إلى الله قبل الدخول في شهر رمضان المبارك. عوّدوا ألسنتكم على ذكر الله ومناجاته. إياكم أن تصدر منكم غيبة أو تهمة أو نميمة أو أي ذنب في هذا الشهر. لا تدنّسوا أنفسكم بالمعاصي وتسيؤوا آداب الضيافة وأنتم ضيوف الله سبحانه. تحلّوا ـ على الأقل ـ بالآداب الأولية والظاهرية للصيام. فكما تمسكون البطن عن الطعام والشراب، امسكوا عيونكم وأسماعكم وألسنتكم عن المعاصي. عاهدوا أنفسكم من الآن أن تكفوا اللسان عن الغيبة والتهمة والكذب والإساءة. وأخرجوا من قلوبكم الحسد والحقد وسائر الصفات الشيطانية القبيحة.

فإذا انقضى شهر رمضان المبارك ولم يطرأ على أعمالكم وسلوككم أي تغيير، ولم يختلف نهجكم وفعلكم عما كان عليه قبل شهر الصيام فاعلموا أن الصوم الذي طلب منكم لم يتحقق. وأنّ ما أديتموه لم يكن أكثر من صوم الحيوانات. إذا رأيتم شخصاً يريد أن يغتاب، حاولوا أن تردعوه وقولوا له: لقد تعهدنا أن نجتنب المحرمات في هذا الشهر، وإذا لم تستطيعوا منعه من الاغتياب اتركوا المجلس، فلا تجلسوا وتستمعوا إليه. أعود وأكرر: اتخذوا قراركم وعاهدوا أنفسكم بمراقبة جوارحكم في هذه الثلاثين يوماً من شهر رمضان المبارك.

136

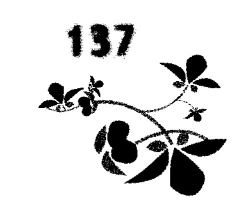


أثر المعصية على الروح والقلب

إذا لم تستطيعوا في هذا الشهر تهذيب أنفسكم وإصلاحها، ولم تتمكنوا من السيطرة على نفوسكم الأمارة وقطع علاقاتكم بالماديات وبالدنيا.ولم تسحقوا الأهواء النفسانية فإن من الصعب جداً أن تقدروا على ذلك بعد انتهاء شهر الصيام. إذن فاغتنموا الفرصة وأحسنوا الاستفادة من هذا الفيض العظيم. هيئوا أنفسكم للقيام بوظائف الصوم وحاذروا أن يعبئكم الشيطان ويشحنكم قبل حلول شهر رمضان، فإذا بكم في هذا الشهر ـ مع أن الشياطين مغلولة ـ تقومون بنحو تلقائي بأقبح الأفعال وأشنعها. إن الإنسان العاصي ليصل نتيجة كثرة الذنوب إلى مرحلة لا يعود معها يحتاج إلى وسوسة الشيطان، بل هو لشدة ما تسيطر الظلمة والجهل على قلبه تصبغ صبغة الشيطان سلوكه وتطبع تصرفاته.

إن صبغة الشيطان هي في مقابل "صبغة الله"، ومن يسعى وراء هوى النفس ويتبع الشيطان ينصبغ بصبغة الشيطان بالتدريج.. نظرة محرمة من هنا، وكلمة غيبة من هناك وإهانة لمسلم مرة ومن قبيلها مرات، تتراكم هذه المعاصي شيئاً فشيئاً في قلب الإنسان حتى تسيطر عليه وتحوّله إلى قلب أسود، فتَحول بينه وبين معرفة الله، وتكون النتيجة أن ينكر الحقائق الإيمانية ويكذب بآيات الله تعالى.

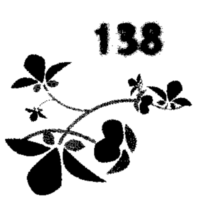
137



عرض أعمال البشر على الرسولﷺ

لقد ورد في بعض الروايات أن أعمالنا تعرض على رسول الله والأئمة الأطهار. فكم سيتألمون عندما ينظرونعليهم السلام إلى أعمالكم ويرونها مليئة بالأخطاء والذنوب؟ حاذروا أن تُحزنوا رسول الله.. عندما يرى صلوات الله عليه صفحات أعمالكم مملوءة بالغيبة والتهمة والإساءة إلى المسلمين وكل توجهاتكم وهمومكم مادية ودنيوية وقلوبكم طافحة بالبغضاء والحسد والحقد والظنون السيئة، فإنه قد يخجل من الله سبحانه ومن ملائكته المقربين. يخجل من أن أمته لا تشكر نعم الله بل تخون اماناته. إن الشخص الذي يرتبط بك ، ولو كان خادماً، يخجلك إذا ارتكب عملاً مشيناً. وأنتم مرتبطون برسول اللهﷺ، وإذا ارتكبتم عملاً قبيحاً فإن ذلك يمسّهﷺ، ويكون ثقيلاً عليه بحيث تُلعنون لا سمح الله. اجهدوا أن لا تُسخطوا الرسول الأعظم والأئمة الأطهارعليهم السلام، ولا ترضوا أن تكونوا سبباً لحزنهم.

138

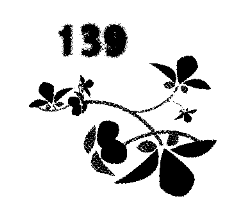


التوجه إلى حضور الله

إن التوجه إلى غير الله يحجب الإنسان بحجب نورانية وظلمانية. كل الأمور الدنيوية إذا أدت إلى توجه الإنسان الى الدنيا والغفلة عن الله تكون حجباً ظلمانية. وإذا كانت الدنيا وسيلة التوجه إلى الله والوصول إلى الآخرة (والتي هي دار التشريف) فإن حجب الظلام هذه تتبدل حجباً نورانية.

ولكن الإنسان الذي لم يُزل بعد حجب الظلام، الإنسان الذي ما زالت كل توجهاته إلى عالَم الطبيعة - والعياذ بالله - فإنه إنسان منحرف عن الله إذ لا يعلم شيئاً من عالم الروحانية وما وراء الدنيا، وهو منكوس إلى الطبيعة وما لم يهذب نفسه ويستفد من القوى الروحية والمعنوية فيه لإزالة ما ران على قلبه من ظلمة الذنوب فإنَّ مقرّه أشد الحجب الظلمانية، في أسفل سافلين.

139

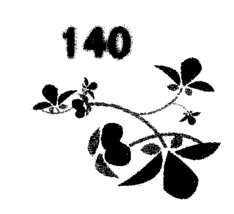


اللّه مطّلع وناظر

إذا تيقن الإنسان وآمن أن كل العوالم الظاهرة والباطنة هي محضر الله، وأنه سبحانه في كل مكان حاضر وناظر، لا يمكن أن يرتكب ذنباً منه أو معصية.

حتى متى تريدون أن تظلّوا في غفلة عن مصيركم، وحتى متى تريدون أن تظلوا غارقين في الفساد والتباهي، اتقوا الله، خافوه وخافوا عاقبة أمركم، تيقظوا من نومكم وأفيقوا من غفلتكم. أنتم إلى الآن لم تستيقظوا ولم تخطوا الخطوة الأولى. إن الخطوة الأولى هي اليقظة ولكنكم ما زلتم نائمين. العيون منكم مفتوحة ولكن القلوب تغط في نوم عميق.

لو أن القلوب ليست كذلك ولو أنها لم تصدأ من كثرة الذنوب لما كنتم هكذا غير مبالين بمصائركم، ولما كنتم تستمرون فيما أنتم عليه دون إحساس بالمسؤولية أو تنبّه للخطر. لو فكرتم قليلاً بأمور آخرتكم وعقباتها الكؤود لأعطيتم اهتماماً أكثر للمسؤوليات الجسام الملقاة على عواتقكم. إن لكم عالماً آخر، وقيامة وحساباً. لستم كسائر الموجودات التي لا معاد لها ولا حساب عليها. فلماذا لا تعتبرون؟ لماذا لا تستيقظون وتنتبهون؟ لماذا تمعنون في الغيبة والكلام الجارح لإخوانكم المسلمين؟ لماذا تفعلون ذلك أو تستمعون إليه؟



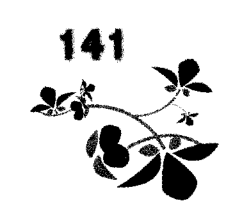
140

الأمراض الروحية

لا قدَّر الله أن يُبتلى الإنسان بالأمراض غير المؤلمة. إن الأمراض المؤلمة تدفع الإنسان تحت وطأة شعوره بألمها للمعالجة فيذهب إلى عيادة الطبيب أو إلى المستشفى. أما المرض الذي لا يرافقه ألم فيكون خطراً جداً لأنه يفعل فعله ولا يشعر الإنسان به إلاّ وقد فات الأوان.

والأمراض النفسية من هذا القبيل، إذ لو كانت مصحوبة بالألم المباشر لحرّكت المصاب ودفعته إلى معالجتها، ولكن ما العمل إن كانت هذه الأمراض رغم خطورتها بلا ألم؟ الغرور والأنانية وكل المعاصي تفسد القلب وتفسد الروح دونما أي ألم في الجسم، بل أكثر من ذلك، فليست الأمراض غير مصحوبة بألم فحسب بل إنها مصحوبة باللذة. إن مجالس الغيبة والنميمة مجالس حميمية ومحببة!

إن حب الدنيا الناشئ من حب النفس هو المصدر الأساسي لكل الذنوب "إن حب الدنيا رأس كل خطيئة وباب كل بلية وقرآن كل فتنة وداعي كل رزية". ومع ذلك يشعر الإنسان باللذة والنشوة. والمرض الذي لا يكون مصحوباً بالألم بل يلتذ به صاحبه لن يحرّك بطبيعة الحال المريض لمعالجته مهما نُبِّه إلى خطره. إذا ابتلي الإنسان بحب الدنيا واتباع الهوى وتمكنت الدنيا من قلبه فإنه يتحلل من كل ما سوى الدنيا ومافيها ويعادي الله ـ والعياذ بالله ـ ويعادي عباد الله والأنبياء والأولياء والملائكة، ويحس تجاههم بالحقد والبغضاء. وحينما يأتي أجله وتأتي ملائكة الله لتتوفاه يشعر بالاستياء الشديد وينفر منهم لأنه يرى أنهم يريدون أن يفصلوه عن محبوبه.



مخططات إبليس

إحذروا أن يزداد حب الدنيا وحب النفس في أنفسكم بالتدريج فيصل الأمر بكم إلى أن يسرق الشيطان إيمانكم. يقال بأن جميع جهود الشيطان هي لأجل هذا. إن جميع وسوساته ومحاولاته، وجميع السبل التي يتبعها هي من أجل اختطاف إيمان الإنسان. لا أحد يملك سنداً يضمن ثبات إيمانكم، لعله يكون إيمانا مستودعا، ويتاح للشيطان في نهاية الأمر أن يذهب به فتخرجون من الدنيا بعداوة الله وأوليائه بعد أن قضيتم عمراً في النعم الإلهية على مائدة إمام الزمان (عجل الله تعالى فرجه) لعلكم بعد هذا كله تكونون أعداء وليّ نعمتكم لا سمح الله. اسعوا بكل جهدكم إلى قطع أي علاقة أو محبة أو ارتباط بالدنيا. فأي شيء من الدنيا لكم حتى تتعلق قلوبكم به؟!



سبب أنين الأئمة الأطهار

أنتم تتصورون أن بكاء الأئمة الأطهار ونحيب الإمام السجاد عليهم السلام كان لأجل تعليمنا؟! إنهم رغم مكانتهم العظيمة السامية ومقامهم الذي لا يضاهى كانوا يبكون من خوف الله لأنهم يعلمون مدى خطورة الطريق الذي يجتازون، كانوا مطلعين على الصعوبات والوعورة التي ترافق عبور الصراط الذي أحد طرفيه الدنيا وطرفه الآخر هو الآخرة. كانوا مطلعين على عوالم القبر والبرزخ والقيامة وعقباتها الكؤود ولهذا لم يكن ليقرّ لهم قرار. كانوا يلجأون إلى الله باستمرار ويطلبون منه أن ينجيهم من عقاب يوم القيامة!

أنتم ماذا أعددتم لهذه العقبات الكأداء والعقوبات التي لا تطاق؟ أي طريق نجاة اخترتم؟ ومتى تريدون أن تهذبوا أنفسكم وتصلحوها؟

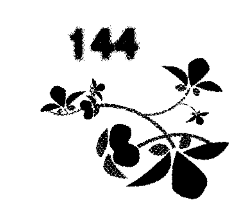
143

غاية الجهد لأجل التوبة

أنتم الذين في مقتبل العمر ولا زلتم تتمتعون بقوة الشباب وقادرين على التحكم بقواكم حيث لم يتسلط الضعف عليكم بعد، كيف ستتمكنون من تزكية انفسكم غداً إن لم تكونوا الآن بصدد بناء ذواتكم وإصلاحها؟ عندما يتغلب الضعف عليكم ويسيطر الوهن، عندما تفقدون العزم وتضمحل فيكم الإرادة فيكون ثقل الذنوب زَادَ من ظلمة القلب، عندها كيف ستستطيعون بناء أنفسكم وتهذيبها؟ إذا بلغتم مرحلة الشيخوخة فإن من البعيد أن توفقوا لاكتساب الفضيلة والتقوى.. آنذاك لن تستطيعوا أن تتوبوا، لأن التوبة لا تتحقق بلفظ "أتوب إلى الله" بل إنها تتوقف على الندم والعزم على ترك الذنوب. والندم

والعزم لن يحصلا للأشخاص الذين قطعوا خمسين سنة أو أكثر بالغيبة والكذب، وابيضت لحاهم على المعصية والذنوب.. إن هؤلاء يظلون أسارى ذنوبهم إلى آخر أعمارهم. فكروا في أنفسكم ما دمتم شباباً ولا تصبروا إلى أن تصبحوا شيباً ضعافاً عاجزين. إن قلب الشاب قلب لطيف وملكوتي.. ودوافع الفساد فيه ضعيفة وكلما كبر الإنسان استحكمت في قلبه جذور المعصية إلى أن يصبح اقتلاعها من القلب مستحيلاً.

144



أعضاء البدن أمانة

إذا لم تصلحوا أنفسكم ـ لا سمح الله ـ وخرجتم من الدنيا بقلوب سوداء، وعيون وآذان وألسنة ملوثة بالذنوب فكيف ستقابلون الله؟ هذه الأمانات الإلهية التي استودعكم إياها الله بمنتهى الطهارة والبراءة كيف تردونها بمنتهى القذارة والرذالة؟ هذه العين وهذه الأذن اللتان هما في اختياركم، وهذه اليد وهذا اللسان اللذان هما في سلطتكم.. هذه الأعضاء والجوارح التي تعيشون معها كلها أمانات الله العزيز المتعال.. وقد أعطاكم إياها بتمام السلامة والطهارة فإذا ابتليت بالمعاصي فإنها تتلوث وتتقذّر.. وآنذاك عندما تريدون إعادة هذه الأمانة قد تسألون: أهكذا تحفظ الأمانة؟! هل سلمناكم هذه الأمانات هكذا؟!

القلب الذي أعطيناكم إياه هكذا كان؟! العين التي استودعناكم إياها هكذا كانت؟! وسائر الأعضاء والجوارح التي جعلناها في اختياركم هل كانت هكذا قذرة وملوثة؟! بماذا ستجيبون على هذه الأسئلة؟ وكيف ستواجهون الله الذي ختنتم أماناته بهذه الدرجة من الخيانة؟



المدح السيىء

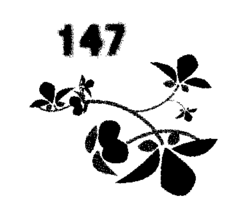
بني! هناك أمر محبب لنا نحن المتخلفين عن قافلة الأبرار وهو - في ما أرى - قد يكون دخيلاً في تكامل من يكون بصدد بناء نفسه.. يجب أن ننتبه إلى أن منشأ فرحنا بالمدح والثناء واستياءنا من الانتقادات والشائعات هو حب النفس الذي هو أخطر شراك إبليس اللعين.. نحن نميل أن يكون الآخرون مداحين لنا.. حتى ولو صوّروا أفعالنا العادية، وحسناتنا المتخيلة أكبر من حجمها بمئات المرات.. ونحب أن تكون أبواب انتقادنا - ولو بحق - موصدة أو يتحول انتقادنا إلى مديح.

ننزعج من الحديث عن معايبنا لا لأنها ليست حقاً، ونفرح بالمدح والثناء لا لأنه حق بل لأنه "عيبي أنا" و "مدحي أنا".



سمّ المدح

بني! ما أحسن أن تلقن نفسك وتقنعها حقيقة واحدة وهي أن مدح المداحين وإطراء المطرين غالباً ما يهلك الإنسان ويجعله بعيداً عن التهذيب وأشد بعداً.. التأثير السيىء للثناء الجميل في نفوسنا الملوثة أساس تعاساتنا والإلقاء بنا نحن ضعفاء النفوس بعيداً عن المحضر المقدس للحق جل وعلا.. ولعل الباحثين عن عيوبنا والمروجين للشائعات ضدنا مفِيدون لعلاج معايبنا النفسية، وهو كذلك.



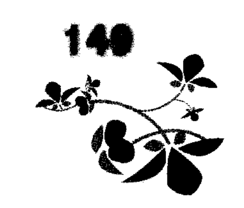
احترام العرفاء بالله

بني ! إن لم تكن من أهل المقامات المعنوية، إسعَ أن لا تنكر المقامات الروحانية والعرفانية، لأن الإنكار من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمارة بالسوء التي تصد الإنسان عن بلوغ جميع المراتب الإنسانية والمقامات الروحانية. وهو يدفع الإنسان إلى إنكار السلوك إلى الله والاستهزاء به أحياناً، مما يجر إلى الخصومة والمعاداة لهذا الأمر، وبهذا فإن ما جاء به جميع الأنبياء العظام (صلوات الله عليهم) والأولياء الكرام (سلام الله عليهم) والكتب السماوية خصوصاً القرآن الكريم ـ كتاب بناء الإنسان الخالد ـ سيموت قبل أن يولد.



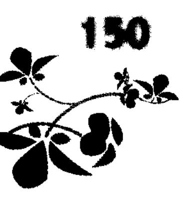
بلاء طلب الشهرة

استمع يا ولدي العزيز ـ الذي أسأل الله أن يجعل قلبك مطمئناً بذكره ـ لنصيحة أب قلق محتار، ولا تتعب نفسك بالانتقال بطرق هذا الباب أو ذاك الباب للوصول إلى المنصب أو الشهرة التي تشتهيها النفس. فأنت مهما بلغت من مقام فإنك سوف تتألم وتشتد حسرتك وعذاب روحك لعدم بلوغك ما فوق ذلك.



عالم الحيرة

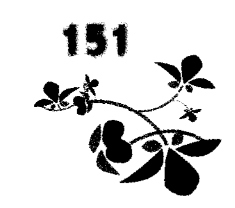
العالم بأسره يبحث عنه تعالى ويحوم كالفراش باحثاً عن جماله الجميل. ويا ليتنا نصحو من نومتنا ونلج أول منزل وهو اليقظة! ويا ليته جل وعلا يأخذ بأيدينا ـ بألطافه وعناياته الخفية ـ فيرشدنا إلى جماله الجميل، ويا ليت فرس النفس الجموح تهدأ قليلاً، فتتنزل عن مقام الإنكار، ويا ليتنا نلقي هذا العبء الثقيل من على كواهلنا إلى الأرض، فننطلق مخفّين نحوه تعالى! يا ليتنا نحترق كالفراش حول شمع جماله دون أن نتكلم! ويا ليتنا نخطو خطوة واحدة بقدم الفطرة ولا نبتعد عن طريقها بهذا القدر و... و...، وآلاف التمنيات والأماني الأخرى التي تزدحم في ذاكرتي، وأنا على شفير الموت في شيخوختي هذه، ولكن دون أن تصل يدي إلى أي مكان.



حق الناس

بني ! إحرص على أن لا تغادر هذا العالم بحقوق الناس فما أصعب ذلك وما أقساه. واعلم أن التعامل مع أرحم الراحمين أسهل بكثير من التعامل مع الناس. نعوذ بالله تعالى أنا وأنت وجميع المؤمنين من التورط في الاعتداء على حقوق الآخرين أو التعامل مع الناس المتورطين.

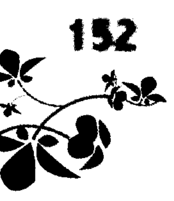
151



الغرور

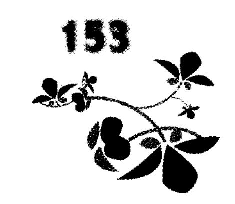
بنيّتي! العجب والغرور نتيجتان لغاية الجهل بحقارة النفس وعظمة الخالق. إذا فكّر الإنسان قليلاً في عظمة الخلقة بالمقدار اليسير الذي وصل البشر ـ رغم كل هذا التقدم العلمي ـ يدرك حقارة وضآلة نفسه وكل المنظومات الشمسية والمجرات، ويفهم قليلاً من عظمة خالقها ويخجل من عجبه وأنانيته وغروره ويشعر بالجهل.

152



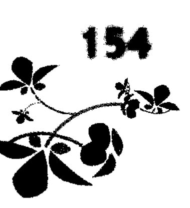
الدنيا الزائلة

لنفترض حياة مثل حياة هارون الرشيد.. نفترض أن حياتكم قد عمّرت مئة وعشرين سنة وكانت مثل حياة هارون الرشيد. أية نسبة ما بين المئة والعشرين واللامتناهي؟ بعد هذه الحياة ستتعذبون إلى الأبد.. إن الله تبارك وتعالى يعتني بعباده. لقد أعطاهم العقل ـ تلك القوة التي يستطيعون بها تهذيب أنفسهم ـ وهو لم يكتف بذلك. لقد أرسل الأنبياء والكتب والأولياء والمربين. وإن لم يكن لهؤلاء التأثير فإن البلاءات تنزل على الناس في الدنيا. وهذه هي بدورها عنايات من قبل الحق تعالى.



التوقف عند حد الحيوانية

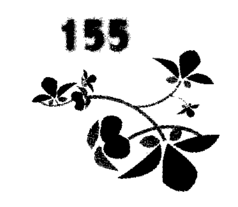
أيتها النفس! لا تقنعي بحصول الملذات الحيوانية والشهوانية ولا بالرياسات الدنيوية الظاهرية، ولا بصورة النسك وقشرها ولا باعتدال الخلق وجودتها ولا بالفلسفة الرسمية والشبهات الكلامية، ولا بتنسيق كلمات أرباب التصوف والعرفان الرسمي وتنظيمها، وإرعـاد أهل الخرقة وإبراقهم، فإن صرف الهمة إلى كل ذلك والوقوف عليها اخترام وهلاك، والعلم هو الحجاب الأكبر، بل يكون همّك التوجه إلى الله تعالى بارئك ومبدئك ومعيدك في كل الحركات والسكنات والأفكار والنظرات والمناسك.



جوهرة العمر المخفية

وأنت يا ابنتي العزيزة التي لم تخبري الحياة بعد إعلمي أنك سوف تحملين على ظهرك يوماً حمل التأسف الثقيل على الشباب الذي تضيعينه بهذه المشاغل أو بما هو أفضل منها كما أحمله أنا (وسوف ترين) أن قافلة العشاق المحبين لله فاتتك لا سمح الله.. إذن اسمعي من هذا الهَرِم البائس الذي يحمل هذا الحمل وقد انحنى تحته.. لا تكتفي بهذه الاصطلاحات التي هي الفخ الكبير لإبليس وكوني بصدد البحث عنه جل وعلا. أيام الشباب وأنسها وملذاتها سريعة الزوال.. وأنا قد طويت جميع مراحلها وأصارع الآن عذابها الجهنمي. وأنت يا بنيتي لا تغتري بالرحمة فتغفلي عن المحبوب ولا تيأسي فتخسري الدنيا والآخرة.

155



العمر، كل رأس مال الإنسان

بني! إسعَ في إصلاح نفسك ما دمت تحظى بنعمة الشباب، فإنك ستخسر كل شيء في الشيخوخة، فمن مكائد الشيطان ولعلها أخطر مكائده "الاستدراج". ففي أوائل الشباب يسعى شيطان الباطن - أشد أعداء الشباب - في ثنيه عن إصلاح نفسه ويمنّيه بسعة الوقت. وأن الآن هو آن التمتع بالشباب، ويستمر في خداعه بالوعود الفارغة ليصده عن فكرة الإصلاح تماماً، وساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم يتصرم الشباب ويرى الإنسان نفسه فجأة في مواجهة الهرم الذي كان يؤمل فيه إصلاح نفسه. وإذا به ليس بمنأى عن وساوس الشيطان أيضاً إذ يمنّيه آنذاك بالتوبة في آخر العمر.

156

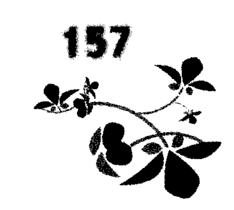


التأمل في الأدعية

عزيزي إقرأ أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام وانظر كيف أنهم يعتبرون حسناتهم سيئات وكيف يرون أنهم يستحقون العذاب الإلهي، ولا يفكرون سوى برحمة الحق تعالى. وأهل الدنيا - وتلك الفئة من المعممين اللاهثين وراء بطونهم - إنما يُؤوِّلون هذه الأدعية لأنهم لم يعرفوا الله جل وعلا.

بني! والأمر في ذلك فوق ما نتصوره، فهم بين يدي عظمة الله، فانون عن أنفسهم، لا يرون غيره تعالى، وفي تلك الحال ليس هناك كلام أو ذكر أو فكر وليس هناك ذات.

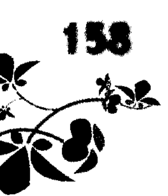
157



التهذيب في عمر الشباب

إن شبابكم الذي تملكون سينقضي، ولكن إن صرفتم هذا الشباب في سبيل الله وانقضى في هذا السبيل فإنه في الحقيقة لم يذهب هدراً بل بقي لكم. إذا ـ لا سمح الله ـ كنتم مثل سائر أهل الدنيا سيذهب الشباب من أيديكم.. أولئك لديهم الدنيا وأنتم تملكون الشباب وليس لديكم الدنيا ﴿خسر الدنيا والآخرة﴾؛ أولئك على الأقل يملكون الدنيا، وفرضاً أننا اعتبرنا أن حب الدنيا وحب النفس قد استحكم فينا بحيث لم نعد نرى الحقائق أو نميز الواقعيات، فإن طريق هدايتنا سيغلق ويزداد الأمر سوءاً بالتدريج حتى يصبح مراد الشيطان أن يسلبنا الإيمان. لا أحد منا لديه ضمانة أن إيمانه خالص، فلعله مشوب. يجب أن أكون جدياً وأنتم كذلك يجب أن تهذبوا أنفسكم.

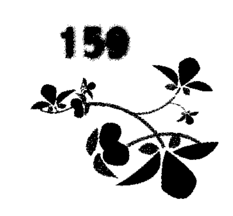
158



العبادة الخالصة

تباً لعبد ادعى العبودية ثم دعا سيده ومولاه بالأسماء والصفات التي قامت بها سماوات الأرواح وأراضي الأشباح، وكان مراده الشهوات النفسانية والرذائل الحيوانية والظلمات التي بعضها فوق بعض، والرئاسات الباطلة، وبسط اليد في البلاد والتسلط على العباد..

وطوبى لعبد عبد الرب وأخلص له ولم ينظر إلاّ إليه ولم يكن مشترياً للشهوات الدنيوية أو للمقامات الأخروية.

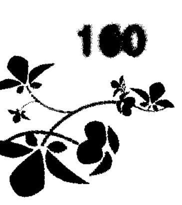


ترك التعلقات

يا حبيبي!

إسع واجهد أن تصل إلى مقام الشهود، حيث الشهيد هو السعيد، والسعادة والشهادة توأمان. واجهد أن تصير عاشقاً للمحبوب (لصاحب القلب) لأن كل من يصير قتيل العشق فهو شهيد. أفهل يمكن أن يصل المرء إلى مقام القرب بدون خلع نعلي الشهوة والغضب من قدم النفس وبدون ترك الهوى وتفريغ القلب من غير المولى؟

إستيقظ أيها الصديق من النوم وانظر إلى ربك بعين الحقيقة والبصيرة ولا قدَّر أن تكون في زمرة الجاهلين. قم من سبات الغفلة وادخل في زمرة المؤمنين والموحدين.



اليقظة ـ المنزل الأول

أيها العزيز! أخرج من هـذه القرية الظالمة المظلمة والدار الموحشة المستوحشة والنشأة الكدرة الضيقة واقرأ وارق.. واخرق حجاب الطبع والطبيعة فإنك من عالم القدس والطهارة ودار النور والكرامة. فإذا خرقت الحجب الظلمانية رأيت ظهور الحق في كل الأشياء، وإحاطته عليها، وأنها آياته وبيناته الدالة بكمالاتها على كمال منشئها وبارئها.

انتبه يا أخَ الحقيقة من نوم الغفلة، وافتح عين قلبك وبصر فؤادك، واقرأ كتاب نفسك فسيكفيك.

161

في بيان مقارنة أحوالنا بعلي عليه السلام

الآخرون لا يقاسون بأمير المؤمنين. علينا أن نطالع قدراً من حياة هذا الرجل العظيم.. نحن ندَّعي أننا شيعة ولكن أي شيعة نحن؟ إن الأمير إنسان زاهد وأنا لست كذلك، فهل أنا شيعي؟! هو تقي ونحن لسنا أتقياء.. هل نحن شيعة؟! إن كيفية حياته ليست كحياتنا. الشيعي يجب أن يكون له مشايعة ومتابعة للإمام حتى يكون شيعياً. أنا أخاف من أن يحين ذلك الوقت الذي يأتي فيه الموت إلينا ونخرج من مذهب التشيع ومن الإسلام، ولا سمح الله نخرج من هذه الدنيا على هذا الحال. وإذا كان الحال كذلك في أعمالنا وحياتنا يجب أن ينتبه الإنسان ويخاف من أن لا يتمكن في

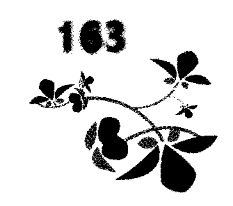
آخر عمره حيث يصير شيخاً كبيراً وتبلغ نفسه أو يبلغ نَفَسه، كما في رواية، إلى هنا (إشارة إلى الحلقوم).. ولا يتمكن من التوبة لعدم وجود عالم آخر يتوب فيه ولهذا قيل في الآية الكريمة: **﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾**.

162

العرفان الأصيل

هناك فئة من الناس ظنوا أن معنى العرفان هو أن يجد الإنسان محلاً ويتلو ذكراً ويحرك رأساً ويتمايل وغير ذلك.. هذا هو معنى العرفان.. إن أعلى مراتب العرفان كان يحوزها الإمام علي عليه السلام ولم يكن لمثل هذه الأشياء من وجود في سلوكه. لقد تخيلوا أن الشخص العارف يجب أن يعتزل كل شيء ويتنحى جانباً ويتلو ذكراً ويتغنى حيناً ثم يفتح دكاناً!! إن أمير المؤمنين عليه السلام في نفس الوقت الذي كان فيه أعرف الخلق بعد رسول الله في هذه الأمة وأعرف خلق الله بالحق تعالى، مع ذلك فإنه لم يتنحَّ جانباً ولم يفعل شيئاً عبثاً. لم يكن له في أي وقت حلقة ذكر.. كان مشغولاً بأعماله.

ولكن يُتَخيل أن أهل السلوك لا شأن لهم بالناس الآخرين، كل ما يجري في المدينة فليجر فأنا من أهل السلوك.. لأذهب وأجلس في زاوية وأتلو ورداً!.. وهذا هو السلوك بحسب قولهم. إن السير والسلوك كان في الأنبياء أكثر من غيرهم وفي الأولياء أكثر من غيرهم لكنهم (الأنبياء والأولياء) لم يذهبوا إلى بيوتهم ليجلسوا ويقولوا نحن أهل السلوك.



ضيافة الله

أنا كنت أفكر في حقيقة هذه الضيافة التي دعيتم إليها أنتم المؤمنون والتي هي ضيافة الله.. إن ضيافة الله في عالم المادة هي عبارة عن اجتناب كافة الشهوات الدنيوية. هذه المرتبة المادية من الضيافة الإلهية هي في هذه النشأة غض النظر عن الشهوات وترك ذلك الشيء الذي يميل إليه القلب، يعني نفس الإنسان الطبيعية. يجب ترك هذه الأمور. هذه هي ضيافة الله، وهذه الضيافة هي ظل الضيافات المتحققة في طول عالم الوجود. غاية الأمر أن في العالم المادي تكون ضيافة الله هي ترك الشهوات المادية، الشهوات الجسمانية، وفي عالم المثال ترك الشهوات الخيالية، وفي عالم ما بعد المثال ترك الشهوات العقلانية، الروحانية. في كل مكان تتحقق الشهوة بصورة معينة. ففي هذا العالم تتحقق بالنحو الذي تعرفون وفيما بعد هذا العالم فإن شهوات الإنسان في عالم المثال هي أعلى من شهوات عالم الطبيعة، والحد منها أصعب. وضيافة الله هناك

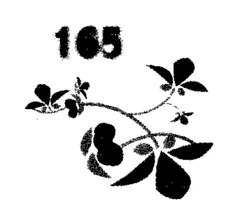
هي انصراف الإنسان عن تلك الشهوات النفسانية التي هي بلاء الدنيا. الشهوات العقلانية أيضاً هي شهوات أعلى، وضيافة الله في ذلك العالم هي رفع اليد عن شهواته. وفي جميع تلك المراتب فإن الشيطان حاضر ليمنعك من الاستفادة من هذه الضيافة، في عالم الطبيعة والخيال والعقل أيضاً. إن رفع اليد عن الآمال العقلانية أصعب من رفع اليد عن تلك الآمال الأخرى. والآمال النفسانية، والتي هي أقل من الآمال العقلانية، قد أحرقت الدنيا، وكل ذلك هو من تمرد النفس.

إن ضيافة الله التي دعينا إليها في ذلك العالم هي ورود ذلك العالم وترك تلك الشهوات النفسانية، وهو أمر صعب جداً. إن ترك الشهوات الجسمانية أسهل وحتى الشهوات الأعلى إلى أن تظهر الشهوات النفسانية في آخر المطاف، والضيافة الإلهية هي ترك الشهوات هذه كلها. هنا (هذا العالم) هو ظل هناك (ذلك العالم) وذاك هو روح هذا. فهل أنّا ذهبنا إلى محضر الحق تعالى الذي دعينا إليه؟ هل وردنا ذلك المحضر لنستفيد أم أننا لم نرده؟ وهكذا هو الأمر في المراتب الأعلى من هذا العالم فهذه مراتب من تلك الضيافة الأعلى التي هي ضيافة أهل المعرفة، والله تبارك وتعالى

دعانا جميعاً إلى هذه الضيافة، وقد وردها فعلاً أهل المعرفة والكمل من الأولياء. بالطبع يندر من يقدر على أداء حقها والخروج من عهدتها. وفوق كل هذه المقامات تلك المرتبة حيث لا ضيافة ولا استضافة ولا ضيف ولا مضيف. فهناك مسألة أخرى تنتفي عندها الضيافة ووهمك غير قادر على تصوّرها.

التوجه إلى مقام العرفاء

نسأل الله أن يرزقنا عدم إنكار هذه المسائل. فمن جملة الأمور التي تقف سداً في طريق الإنسانية إنكار المقامات وحصر كل شيء في هذه الأمور التي نفهمها. لو أن شخصاً عبر ولو لفظاً، مقدار خطوة أعلى، فإن هذا يعتبر في نظر أولئك خروج عن الدين. إن هذا سد للطريق. القدم الأولى هي اليقظة.. يجب على الإنسان أن يستيقظ، نحن الآن في سبات "الناس نيام" وعند الموت يكون وقت الانتباه ولكن أنّى يكون ذلك؟!



مسؤولية العلماء

ورد في رواياتنا بأن أهل جهنم يتأذون من ريح العالم التارك لعلمه.. فلأي سبب يكون حال هذا العالم هكذا؟ إنه بسبب الفرق ما بين العالم وغير العالم، وهو من عدة جهات.. إذا انحرف العالِم ـ لا سمح الله ـ فمَن الممكن أن تنحرف أمة.. حيثما رأيتم إنساناً منحرفاً سواء كان معمماً أو إمام جماعة فإنه سيحرف طائفة بأسرها. فكم تتصورون نتانة هذا الأمر؟ إن نفس الرائحة النتنة التي تُشم هناك هي رائحة نعدّها في الدنيا وليس هذا فقط، فسيكون علينا أيضاً إضافة رائحة نتنة أخرى.. إنها أنانيتنا.. إن كل ما يحصل في عالم الآخرة هو أمر أعددناه في الدنيا ثم نرد إليه في الآخرة.

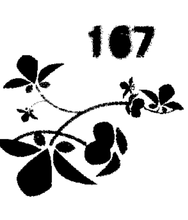


الحجاب الأكبر

نحن نشكر الله تبارك وتعالى أننا في جميع المشكلات التي حلت ـ وستحلّ ـ بالجمهورية الإسلامية لم يكن لنا ملجأ سوى الذات الإلهية المقدسة. إن كل ما هو موجود فهو منه تعالى، وكل ما سيأتي أيضاً هو منه. ونحن لسنا سوى خدم وهذا لا يكون إلا بتوفيقه أيضاً. لسنا شيئاً، ينبغي علينا جميعاً أن نتوجه إلى هذه الحقيقة. فكل ما هو موجود هو الله، ولولا عناياته لكنّا عدماً. ومثلما أننا لم نكن شيئاً منذ الأزل كذلك فإننا من كل حيثية لا شيء. غاية الأمر نحن اللاشيء نتخيل أننا شيء، وهذا حجاب نسأل الله تبارك وتعالى أن يرفعه وأن نفهم من نكون "اللهم أرني الأشياء كما هو" أرى الأشياء كما هو. فهذا النص بحسب

الاحتمال القوي يعني أن الموجودات ليست إلاّ صرف التعلق به تعالى، وهي تدل عليه. فإن دلّتنا عليه فقد حصلت معرفة الله ورفع ذلك الحجاب الذي هو احتجابنا نحن، فيصير معلوماً أنه ما من أحد أو شيء غيره تعالى، وجميع الإشكالات هي من حجاب أنفسنا حيث تخيلنا أننا شيء. أسأل الله تبارك وتعالى أن يرزقنا جميعاً توفيق المعرفة.

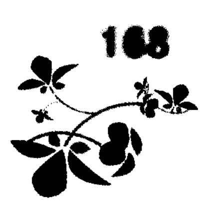
167



التفكر في الأدعية

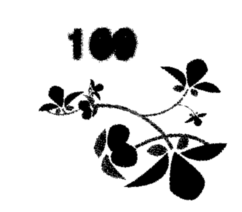
واقعاً لا أدري من أين أبدأ فيما يتعلق بأمير المؤمنين. إنها مسألة متشابكة، ليست مسألة يستطيع الإنسان أن يفهمها.. فما كل هذا الأنين الذي كان يئنه الأمير؟ كان يضع رأسه في البئر ويئن، حيثما كان يصل كان ينتحب، هذه الأدعية التي وردتنا عنه وفيها الكثير من التأوه والأنين! أكان هذا القدر من النحيب بسبب التوجه إلى الدنيا والنزول من مرتبة الوحدة إلى الكثرة؟ هل يستوجب التوجه إلى الكثرة كل هذا الصراخ؟ هل كان (الأمير) يعني هذا الأمر في كل تلك التأوهات في الليل وفي البئر وفي مناجاته مع الله تبارك وتعالى؟ ألأنه: إلهي! رددتنا من جوارك إلى عالم الكثرات، ألأنه كما نقل عن رسول الله قوله "يغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم سبعين مرة"؟ هل تعني "يغان على قلبي" أن كدورة كانت تحصل للرسول في نفس تلك الحالة أم أن نفس الرجوع إلى الكثرة كان هو الكدورة؟ لقد كان التوجه إلى عالم الطبيعة، رغم

أنه تجلٍ لله في نظرهم، سبب أنينهم بسبب منعهم من مرتبة التجلي الباطني ومن التوجه إلى تلك المرتبة من حضرة الألوهية. هذه مسألة نحن لا نستطيع إدراكها. ليس هناك من ألم أشدّ من أن يرجعوا من تلك المرتبة الغيبية، من ذلك المكان الذي هو لقاء الله حيث لا أحد سواه، ولا هم أيضاً موجودون، إلى هذا العالم. إن هذا صعب جداً عليهم. لقد كان هذا شأن جميع أولياء الله من آدم حتى رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا مطلب حتى نحن عاجزون عن إدراكه.. بالطبع هم لدى رجوعهم إلى الكثرة قد نزلت بهم وبالمسلمين مصائب تقصم الظهر.. وهم قد حملوا جميع المصائب، إلاّ أنه في نهاية الأمر طغت المصائب المعنوية على كل الأشياء الأخرى. لقد كان رجوعهم من عالم الصعق، الصحو، من عالم المحو إلى عالم الصحو صعباً ومؤلماً. ولكنهم عند رجوعهم، ولأنهم مظهر الرحمة الإلهية كانوا يريدون السعادة لكل الناس وعندما كانوا يرون الناس على حالهم، يردون جماعات جماعات إلى جهنم، ويهيئون النار لأنفسهم، كانوا يحملون الألم والحزن حتى...



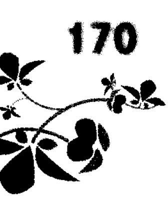
معرفة التكليف

إن المهم هو أن يخدم الإنسان بكل ما يمكنه ويؤدي تكليفه بحيث لا يكون بينه وبين نفسه مقصراً، فإن الوصول إلى المقاصد وعدمه مرتبط بالإرادة الإلهية ونحن لسنا مكلفين بها. والمسلّم هو أن هذه الصولات والجولات إلى نهاية، لكن المهم هو الامتحان الإلهي. "والله لتغربلن غربلة" نحن قد أنزلنا في قدر الطبيعة الكبير الذي باطنه جهنم وما زلنا نغربل ونعجن حتى يمتاز الجهنميون منا. انتبهوا أن لا تكونوا من الجهنميين لا سمح الله.



رمضان شهر الضيافة الربانية

نسأل الله أن يعاملنا بعنايته. نحن لم نكن ضيوفاً لائقين للضيافة الإلهية. لقد دعانا إلى الضيافة، هو المضيف العظيم ونحن الضيوف اللاشيء. ماذا نقول أمام هذه النعمة الإلهية الكبرى، هذه الضيافة الإلهية التي دعي إليها الجميع بكل الأسماء؟ وكيف نشكر هذه النعمة التي تمت، نحن الذين نعلم أننا لسنا شيئاً وأنه كل الوجود؟.. لكنه بعنايته الخاصة جعلنا ضيوفه وكان هو مضيفنا. هو إما أنه رفعنا بعنايته إلى الحد الذي صرنا فيه لائقين وإما أن عنايته قد تنزلت.. لكن ما نعلمه من أنفسنا هو أننا لم نكن ضيوفاً صالحين. وإذا كان ضيوف الله من قبيل رسوله الأكرمﷺ وأئمة الهدى عليهم السلام فماذا بوسعنا القول.. إن يدنا قاصرة عن تلك الضيافة التي هي منهم، لكننا نتكل على لطفه وعنايته ومهما كنا قاصرين ومقصرين في شهر رمضان نطلب منه في هذا اليوم المبارك عيديَّة.. أن يتعامل معنا بفضله لا بعدله.

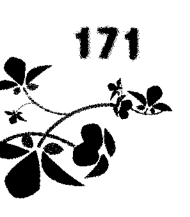


أبعاد الحج العرفانية

إن التلبيات المتكررة- من أولئك الذين سمعوا نداء الحق بأذن أرواحهم وأجابوا دعوة الله تعالى بالاسم الجامع- لها حقيقة. إنها قضية الحضور في المحضر ومشاهدة جمال المحبوب. وكأن المتكلم في هذا المحضر ذاهل عن نفسه وهو يكرر استجابة الدعوة، وبتبعها ينفي الشريك عنه بمعناه المطلق حيث أن أهل الله لا يتوقفون عند نفي الشريك في الألوهية فقط، وإن كان نفي الشريك في هذا المقام شاملاً أيضاً لكل المراتب والمقامات حتى فناء العالم في نظر أهل المعرفة. هذا المقطع (لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك) يتضمن جميع الفقرات الاستحبابية والاحتياطية مثل "الحمد لك والنعمة لك" وهو يخص الحمد بالذات المقدسة وكذلك النعمة، وينفي كل شريك، وهذا عند أهل المعرفة غاية التوحيد. وبهذا المعنى فإن كل حمد وكل نعمة تتحقق في عالم الوجود هي حمد لله ونعمة لله

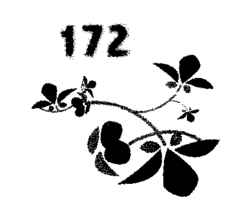
بدون شريك. وفي كل موقف ومشعر ووقوف وحركة وسكون وعمل يسري هذا الأمر والمقصد الأعلى، وفي المقابل يكون الشرك بمعناه الأعم الذي ابتلينا به نحن المحجوبون (عمي القلوب). فلتكن تلبياتكم استجابة لدعوة الحق تعالى واجعلوا أنفسكم في حالة إحرام لأجل الوصول إلى جوار محضر الحق تعالى، واجعلوا تلبياتكم للحق نفياً للشرك، في كل المراتب، وهاجروا من "النفس" التي هي المنشأ الأكبر للشرك إليه جل وعلا حيث من المؤمل أن يحصل الموت للسالكين بتبع هذه الهجرة ويقع الأجر الذي هو على الله. وإذا تم تجاوز هذه الجهات والجوانب المعنوية فلا تظنوا أنكم قد صرتم في مأمن من مكائد شيطان النفس، فما دمتم في قيد النفس والأنانية والأهواء النفسية لن تتمكنوا من الجهاد في سبيل الله والدفاع عن حريم الله.

171



في المحضر الربوبي

نحن واقعاً ينبغي أن نكون متوجهين إلى الله ونرى أنفسنا في محضر الله تعالى في كل وقت. والله تبارك وتعالى حاضر وناظر إلى أقوالنا وقلوبنا، إنه حاضر في كل شيء وفي محضره يحصل كل شيء. إن ذلك الشيء الذي هو أساس السير إلى الله هو التوجه إليه تعالى. جميع العبادات تهدف إلى هذا الأمر، وجميع جهود الأنبياء منذ آدمعليه السلام حتى الخاتمصلى الله عليه وآله كانت لأجل تحقيق هذا المعنى، بحيث يتحطم صنم النفس الذي هو أكبر الأصنام وبتبعه تتحطم الأصنام الأخرى فيكون بذلك السير إلى الله.



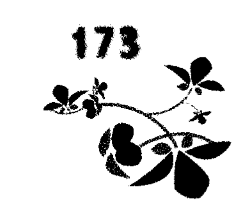
172

الأنا هي الصنم الأكبر

إن مسألة التضحية بالولد مسألة مهمة باعتبار البشر لكن ذلك الشيء الذي يكون مبدأ هذا العمل، وهو ما يجري بين الوالد وولده في ذلك الموقف، هو حالات قلبية وروحية ومعنوية فوق ما نفهمه نحن من هذا الأمر. نحن جميعاً نقول أن هذا إيثار وتضحية، وفعلاً هذا أمر جيد وهو مهم أيضاً، لكن هل هو في نظر إبراهيمعليه السلام إيثار أيضاً؟ هل كان إبراهيمعليه السلام يرى أنه يقدم فدية لله تعالى؟ هل كان الأمر بنظر اسماعيلعليه السلامتضحية بالنفس في سبيل الله أم أن المسألة شيء آخر؟ غاية الأمر أنه ما دام هناك نفسانية وذاتية ورؤية للنفس يكون مجال للإيثار. أنا أؤثر بولدي في سبيل

الله، أنا أضحي بنفسي في سبيل الله. إن هذا بالنسبة إلينا مهم ومهم جداً لكنه ليس كذلك بالنسبة لإبراهيمعليه السلام فلم تكن القضية إيثاراً. إبراهيم لم يكن يرى نفسه حتى يؤْثِر. اسماعيل لم يكن يرى نفسه حتى يؤثر. الإيثار هو عندما تكون النفس، أنا وأنت في البين وهذا عملي وهو لأجلك، فيسمى إيثاراً. وهو في نظر عظماء أهلِ المعرفة وأولياء الله شرك في نفس الوقت الذي نعتبره نحن كمالاً عظيماً وإيثاراً كبيراً.

173

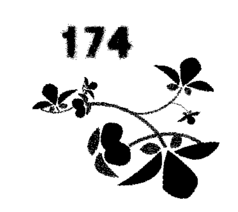


عشق الربّ

بعض كمالات الإمام عليعليه السلام والتي لعلها اختفت إلى حد ما، تعلم من الأدعية المروية عنه. من تلك الأدعية دعاء كميل، هذا الدعاء العجيب والعجيب جداً. بعض فقرات هذا الدعاء لا يمكن أن تصدر من بشر "**إلهي وسيدي ومولاي وربي هبني صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك**" من يستطيع أن يقول مثل هذا القول؟ من لديه هذا العشق لجمال الله حتى أنه لا يخاف جهنم، ولكنه يخاف إن هو ورد (جهنم) ونزل من مقامه أنه يصل إلى مرتبة يحرم فيها من حبّه تعالى؟ هو يئن من فراق حضرة الحق تعالى. هذا عشق قد صهر في باطن قلبه حتى صارت جميع أعماله وبشكل دائم صادرة من هذا العشق الإلهي. إن قيمة الأعمال توزن بميزان العشق للحق تعالى. أساسها هذا الفناء والتوحيد المتحقق في الإنسان ولهذا السبب صارت "ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين". لو فرضنا أن شخصاً آخر قد ضرب هذه الضربة

دفاعاً عن الإسلام ولكنها لم تكن انطلاقاً من العشق، وأن عمله أيضاً كان قد صار سبباً لانتشار الإسلام، لكن بما أن المنطلق لم يكن منطلق العشق فإن ضربته تلك لن تصير أفضل من عبادة الثقلين. الأعمال إنما تكون بدافعها الباطني لا بصورتها. إن ضرب السيف، إهواء يد وقتل كافر، هذا الفعل يمكن أن يصدر عن أشخاص كثيرين لكنه أحياناً لا يكون فيه أجر ولا فضيلة من الأساس.

174



أصل الأعمال

منشأ العذاب الإلهي هو أعمالنا. لكل عمل يصدر منا صورة في ذلك العالم سترد على الإنسان. وليست المسألة أن عذاب الآخرة يشبه العذابات الدنيوية، حيث يأتي المأمورون فيسحبونه ويأخذونه وتطلع النار من باطن ـ من ذات ـ الإنسان.

أساس جهنم هو الإنسان وكل عمل يصدر منه، فبحسب شدته ومدته تزيد شدة ومدة عذابه. فلو فرضنا أن كافراً ترك ليفسد على هواه حتى آخر عمره، فإن تلك الشدة وذلك العذاب الذي سيظهر له أشد بكثير من عذاب ذلك الشخص الذي يُمنع عن ظلمه وفساده ويُقتل. إنّ أخذ شخص فاسد مشغول بالفساد وقتله هو في صلاحه لأنه إن بقي حياً فإنه يفسد أكثر ـ ولأن العمل هو أصل العذاب ـ فإن عذابه في ذلك العالم يزداد... إن أولئك الذين يعرفون منشأ العذاب وماهية عذاب الآخرة يعلمون أن قطع يد إنسان جزاء لفعل قد فعله هو رحمة تظهر في ذلك العالم.

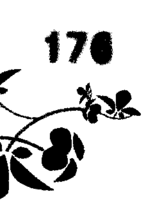
175



العجب

قبل خلق آدم قال الله للملائكة إني خالق خليفة. الملائكة نظروا إلى جهة فساد آدم وإلى جهة تقدسهم، ومن هذه الجهة قالوا لمَ تخلق أناساً يفسدون في الأرض ويسفكون الدماء ونحن نقدسَ لك؟ كانوا يرون أنفسهم بصورة التقديس ويرون آدم بصورة الفساد. لقد لاحظوا جنبتهم الصالحة وجنبة آدم السيئة. الله تبارك وتعالى قال لهم مجدداً: أنتم لا تعلمون. أنتم ناظرون إلى أنفسكم، ولا تعلمون كمالات آدم.. وبعدها ينهي الأمر بتعلّم آدم الأسماء التي هي في الواقع أسماء الله، وأسماء الله هي كل شيء، بعد ذلك قال: أعرضوا! الملائكة كانوا يرون أنهم عاجزون وتراجعوا. وبعد أن خلق آدم أمر الله الملائكة أن يسجدوا له، فسجدوا جميعاً إلا إبليس. إن النكتة في عدم سجود إبليس هي التكبر. لقد قال: خلقتني من نار وخلقته من طين؛ هو أقل مني وأنا أفضل منه. وهذه هي جنبة العجب التي منعته أن يسجد..

نحن من هنا نفهم أن قضية التكبر والغرور هي إرث الشيطان. منذ بدء العالم كانت هذه القضية.. لنعلم أن إرث الشيطان هو التكبر. كل الفساد الحاصل في العالم، كل فساد الأفراد والحكومات وكل الفساد في المجتمعات... كل الفساد هو من إرث الشيطان هذا، وكل المفاسد التي ظهرت في العالم هي من مرض التكبر، سواء جلس المرء في زاوية بيته وانشغل بالعبادة أو كان في متن المجتمع، فإن كان متكبراً فقد ورث الشيطان، ولا دواء لأوجاعه إلاّ بإخراج هذه الخاصية الشيطانية منه. من أراد أن يداوي آلامه بنفسه عليه أن يزيل هذه الرذيلة. عليه أن يرتاض ولا يعظّم قدره. فلا يقولن مثلاً إنني عالم أو إنني مقدس مثلما كان قول الملائكة، ولا يقولن إنني غني، إنني زاهد، إنني عارف، إنني موحد. ففي كل واحدة من هذه حتى لو كانت هذا العلم الأعلى كعلم الفلسفة أو العرفان، لو وُجدت هذه الخاصية الشيطانية فإن هذا العلم يصير حجاباً. العلم هو الحجاب الأكبر. من أراد إصلاح نفسه عليه أن يتوجه إلى هذه الخاصية وإنه لمن الصعب جداً مواجهتها.



رضى الحق تعالى

إن جميع تلك المشقات التي عانى منها نبي الإسلامﷺ من القريب والبعيد، ومن بعده لاقاها المسلمون وأئمتنا وأمير المؤمنين، لأنها كانت لأجل الأسلام كان طعمها حلواً لديهم. نحن علينا أن نسعى لنجعل ذائقتنا مثل ذائقتهم فيصبح كل شيء حلواً لدينا. الرضا بقضاء الله معناه التسليم في كل وقت، أن يسلّم الإنسان، أن نكون مسلّمين. ومع الرضا ليس هناك من فرق بين أن يكون المرء في بلاء أو أن يكون في نعمة، فهو يعتبر كل الحالات نعمة، ويقول إنه منه، إنه من محبوبي.

177

تسجيل الأعمال

إن جميع الانتصارات والهزائم والسلطنات والقوى العظمى إلى زوال. نحن الجالسين ها هنا بلا إشكال لن يبقى عنا خبر بعد مئة سنة. حينها يكون كل شيء قد مضى. الانتصار والهزيمة التي ذقناها مضت، قدرتنا وضعفنا كلٌ قد زال.. ما بقي هو ذلك الشيء الذي سنقدُم عليه. الذي يبقى هو نحن وما نحمله إلى ذلك العالم الآخر. نحن ينبغي أن نفكر في هذا المعنى حتى نخدم خدمة تكون رأس مال لنا في ذلك العالم. الغلبة والانتصار والفتح وغيره من هذه المعاني كلها هزائم إن كانت خالية من ذلك البعد المعنوي. بل إن أولئك الذين هم بأكثرهم في نظر الناس منتصرون هم الأكثر هزيمة. هذه القوى العظمى، التي مضت والموجودة والتي

ستكون، إن لم يكن فيها ذلك البعد الذي يوصلها إلى السعادة فهي بكلها خسارات. إنها بضعة أيام من الأكل والنوم والجناية والخيانة وبعد ذلك يغلق باب هذا العالم ويفتح باب العالم الآخر وتنشر صحيفتنا. كل هذا العالم يشهد علينا، الكل يحضرون... إن الشيء الذي ينبغي أن يعرفه الإنسان هو من أين وفي أين وإلى أين. كل هذا البساط سيطوى أما صحفنا فلا، إنها موجودة في ذلك العالم. وإن رُفع الآن الغطاء عنا سنرى أنفسنا وما فعلت وما هو موجود، وسيرى الآخرون إن رفعت ستّارية الله.

178

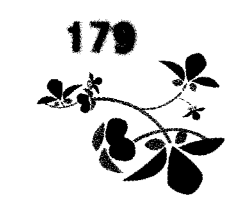


الفقر والاحتياج

نحن نقاتل طاعة لله. في السر والعلن ينبغي أن نكون طوع إرادته واختياره. علينا الطاعة في كل ما نسعى نحوه. إن وعظنا فطاعة لله وإن استمعنا إلى موعظة فطاعة لله أيضاً. حيثما قال تعالى قوموا بهذا العمل نقوم به... وإذا صرنا كذلك بحيث لا نؤدي أي شيء من أنفسنا، بل يكون كل شيء منه تعالى... نحن لا نملك شيئاً لنقدّمه. نتخيل أننا نملك شيئاً ولكن كل ما هو كائن فهو منه. كل ما نظن أنه ملكنا هو أمانة عندنا من الله وسَتُرد هذه الأمانة إليه في وقتٍ ما. إن كنا نظن أننا نملك شيئاً من أنفسنا فالأمر ليس كذلك، نحن مشتبهون. جميع العذابات في ذلك العالم هي بسبب جهل البشر. يتخيل الإنسان أنه شيء، ولأنه يتخيل أنه كذلك فهو يريد أن يتفوق على الجميع، ولأن نفسه موجودة يريد أن يحصّل كل شيء لأجل نفسه، وهذا ما يوصل الإنسان إلى الشقاوة. والسعيد هو من أراد ويريد كل شيء له تعالى أي لأجل عباد الله، لأجل

أحكام الله.. تلك القدرة التي كانت للأنبياء لم تكن من الأنبياء أيضاً. البشر من أولهم إلى آخرهم هم لا شيء. ما هو موجود هو قدرة الله تعالى. كل حركة تقومون بها إنما تقومون بها بقدرة الله.. كل رصاصة تطلقونها فبقدرة الله. يدكم بقدرة الله تضغط على الزناد، أنتم تخططون بقدرة الله وتنجزون الأعمال العسكرية وغير العسكرية كلاً بقدرته تعالى، ﴿إنّا لله﴾ كل شيء منه ﴿الحمد لله﴾ كل حمد له.

179



طلب الجاه

إذا كان السعي وراء القدرة ظاهراً في أحدنا بحيث صار يقول: علي أن أصير هكذا، يجب أن يحدث ذاك، فليعلم أن هذا من الشيطان. لقد حقن الشيطان فينا هذه الأمور منذ البداية وهو يستطيع أن يتسلل إلينا من هذا الطريق أكثر من أي مجال آخر، أي بالقول أنت فلان! أنت من! ومن هم الآخرون؟! ومن قبيل هذه المعاني. ليس هناك أي فرق بين ذلك المرء المقتدر دنيوياً والساعي وراء زيادة قدرته أيضاً وبين ذلك الزاهد الجالس في صومعته.. لا فرق بين الاثنين من جهة قولهم، أنا هكذا! إن قول الزاهد: أنا زاهد! أنا كذا! أو قول ذلك: أنا مقتدر! فإن كلا الأمرين من الشيطان بل إن فساد هذا أكثر من ذاك. إن الغرور هو سبب إيصال الإنسان إلى الفساد دائماً. كل المفاسد التي ظهرت في العالم إنما هي من الغرور والتكبر، من حب الجاه والقدرة والمال وأمثال هذه الأمور، وهي كلها مرجعها إلى حب النفس، وهذا الصنم هو أكبر من الجميع

وتحطيمه بعدُ أصعب من الجميع. إسعوا إن لم تستطيعوا أن تحطموا ذاك الصنم بشكل تام - وإن شاء الله تستطيعون - أن يكون همّكم أن تكسروا يده ورجله، وإلاّ فإنه سيجركم إلى الهلاك. ليست المسألة أنه سيدعنا وشأننا.. نعصي معصية صغيرة فيدعنا، ونعمل عملاً آخر أكبر ويتركنا. إنه شيئاً فشيئاً يوصلنا إلى حيث يخرج الإنسان من الإنسانية تماماً، وهذا أمر طبيعي، إن هذا هو عمل الشيطان.

180

المناجاة الشعبانية

المناجاة الشعبانية هي من المناجاة التي إن ثابر عليها الإنسان وتفكّر فيها، فإنها ترفعه إلى مقام آخر. إن أمير المؤمنين عليه السلام ـ الذي صدرت منه هذه المناجاة ـ وجميع الأئمة الذين كانوا يقرأونها ـ بحسب الروايات ـ كانوا معصومين من كل رجس ودنس. ومع ذلك فهم كانوا يناجون الله بهذا النحو. إن سبب ذلك هو كونهم غير متكبرين. إنهم لم يكونوا يرون وجوداً لأنفسهم رغم كل ما كانوا عليه من الحالات والمقامات. لقد كان الإمام الصادق يناجي مثل إنسان غارق في المعصية لأنه كان يرى نفسه لا شيء. كل ما

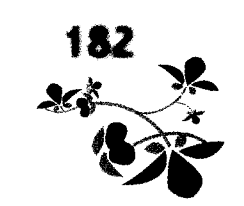
هو نقص فهو من نفسه. وكل كمال هو من الله تعالى. هو لا يملك شيئاً. لا أحد يملك شيئاً من نفسه حتى الأنبياء. الجميع لا شيء والموجود هو فقط. إن الجميع هم في طلبه ،كل فطرة تسعى إليه. غاية الأمر أننا محجوبون ولا نفهم أننا نطلبه (تعالى). أولئك الذين فهموا هذا الأمر ينعتقون ويسيرون في إثره. هذا هو كمال الانقطاع الذي طلبوه، إنه نفي ما سوى الله مطلقاً.

181

تمرّد النفس

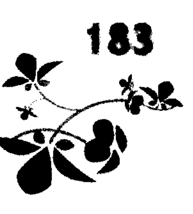
إذا أراد كل منكم أن يكون إنساناً عليه أن يتحلى بالقيم الإنسانية، أن لا يعيش لأجل إشباع بطنه. ينبغي أن تكون أعماله لأجل العزّة والإنسانية، لأجل الله تعالى. وإذا أردتم أن تحقق أعمالكم هذه هدفها، يجب أن تقلعوا عن أهوائكم النفسية. إن الشيطان ليس بمنأى عن الإنسان. لقد أقسم بالله أن لا يدع الإنسان يحقق شيئاً **﴿إلاّ عبادك منهم المخلصين﴾**. أنتم عليكم أن تحاربوا مثل هذا العدو الذي أقسم على مواجهتكم. عليكم أن تراقبوا أنفسكم من الصباح حتى آخر النهار. إن نفس الإنسان عاصية متمردة، ولو غفل الإنسان عن هذا الأمر لحظة واحدة فإن ذلك سيجره نحو

الكفر. الشيطان لا يكتفي بإضلال فكرنا، إنه يريد كفرنا. يريد أن ننتهي جميعاً إلى الكفر. غاية الأمر أن إبليس يبدأ معنا من المعاصي الصغيرة وتدريجياً يدخلنا في الأكبر ثم الأكبر وشيئاً فشيئاً يصل بالإنسان إلى الانحراف حتى عن الإسلام لا سمح الله. عليكم أن تراقبوا أنفسكم من الصباح حين تستيقظون أو أول الأذان أو عند العشاء..يجب أن تكونوا مراقبين لأنفسكم.



اغتنام العمر وفرصة الشباب

بقدر ما يهذّب الإنسان نفسه في عمر الشباب يحصل على النتيجة، فإذا لا سمح الله لم يهذّبها في الشباب تصبح المسألة صعبة جداً. ففي زمن الكهولة والشيخوخة تكون إرادة الإنسان ضعيفة والعدو ـ إبليس وجنوده ـ أقوى، فلا يمكن تهذيب النفس حينها، وإن كان الأمر ممكناً فإنه يكون صعباً جداً. إبدأوا من الآن بالتفكير! تفكروا في شبابكم، إن كل خطوة تخطونها تسير بكم نحو القبر ولا مجال للهرب من هذا الأمر. كل دقيقة تمضي من عمركم العزيز تقرّبكم بنفس المقدار من القبر، هناك حيث تُسألون وكلٌ سيكون مسؤولاً عن الإجابة. فكروا في هذا المطلب ـ وهو الاقتراب من الموت. لا أحد يمتلك الضمانة أنه سيعيش 120 سنة، فقد يموت الإنسان وهو ابن 25 سنة أو ابن 50 أو 60 سنة، لا ضمانة له في هذا الأمر. يجب أن تفكروا وتتأملوا في هذا المطلب. راقبوا أنفسكم. هذبوا أخلاقكم. كونوا أكثر تهذيباً .إن شاء الله.

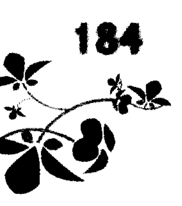


معاء المؤمن والكافر

﴿إن الذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم﴾

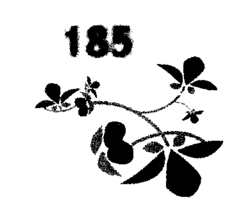
هذا ميزان، كل شخص يرى أن متعته ولذائذه واستفاداته هي في الأكل وقريبة من حد الحيوانية، لا يفكر فيما ينبغي أن يكون عليه، كالحيوان لا يفكر في الحلال والحرام أو في مشاكل الأمة وأحوالها.. إن هذا الشخص الخالي من هذا التفكير والذي يعيش دون نظام أو قانون إسلامي فأكله أكل حيواني **﴿والنار مثوى لهم﴾**. في رواية أن الكافر يكون له سبعة أمعاء وللمؤمن معاء واحد. ليس للمؤمن أكثر من معاء، وهذا المعاء هو القانون. إنه يأكل ويلتذ وفق قانون الإسلام ولا يتخلف عن هذا القانون. أما غير المؤمن فإنه يأكل للشهوة دونما تطبيق للقانون وهذا معاء واحد، وهو يأكل أيضاً للغضب دونما رعاية لذلك القانون الإسلامي وهذا معاء ثان. ويأكل بدافع هوى النفس وهذا معاء ثالث. ويمتزج أيضاً أكله لأجل هوى النفس واللذة والشهوة، ولأجل

هوى النفس والغضب، ولأجل الغضب والشهوة، فتكون هذه أمعاء ثلاثة أخر. وهو يأكل أيضاً بمعاء سابع حين يمتزج أكله للشهوة والغضب والهوى معاً. أما المؤمن فليس لديه أكثر من معاء واحد، وهو أكله مراعاة للقانون الذي هو طريق الإسلام. المؤمن لا تحرّكه شهوته أو غضبه أو هواه. إن هذه جميعاً آمنت على يد المؤمن، إن هذه القوى تكون تابعة لقوة العقل، والعقل يكون تابعاً للشرع.



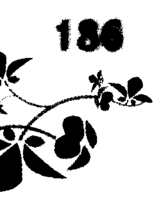
الغرور

بني ! أعثر على نفسك المعجونة بفطرة الله واستنقذها من مستنقع الضلالة وأمواج العجب والأنانية، واركب سفينة نوح التي هي ولاية الله فإن من ركبها نجا ومن تخلّف عنها هلك. ولدي! اجهد أن يكون سيرك في الصراط المستقيم ـ صراط الله ـ وإن كان ذلك بخطى وئيدة بطيئة، واصبغ حركات قلبك وسكناته وسائر جوارحك باللون الإلهي المعنوي.



تحصيل الهمّة والإرادة

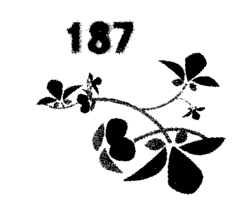
عزيزي، إن تحصيل الكمال وزاد الآخرة يستدعي طلباً وجدّاً، وكلما كان المطلوب أعظم فهو أحرى بالجد. ومن الواضح أن معراج القرب إلى حضرة الألوهية، ومقام جوار رب العزة لا يتيسر مع هذا الارتخاء والفتور والتسامح، فيلزمك القيام الرجولي حتى تصل إلى المطلوب. فهذه البرودة التي فينا إنما هي من برودة أشعة الإيمان وهذا الوهن الذي نجده إنما هو من وهن أساس الإيمان ولو كانت أخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام وبراهين الحكماء والعرفاء عليهم الرضوان أوجدت في أنفسنا مجرد الاحتمال بالصدق لكان اللازم علينا أن نقوم بالأمر ونجتهد في تحصيله بأحسن مما نحن فيه.



تعاليم عرفانية

فعلى سالك طريق الآخرة لزوماً حتماً أن يخلص معارفه ومناسكه من تصرف الشيطان والنفس الأمارة مهما بلغ من الجهد، وأن يغوص في حركاته الباطنية وأغذيته الروحية ولا يغفل عن حيل النفس والشيطان وحبائل النفس الأمارة وإبليس وأن يسيىء ظنه مطلقاً بنفسه في جميع حركاته وأفعاله، ولا يخلي نفسه على رسلها آناً ما، فربما تتغلب على الإنسان وتصرعه إذا تسامح معها وتسوقه إلى الهلاك والفناء.

إن سالك طريق الآخرة في كل مسلك من المسالك الدينية وفي كل طريق من الطرق الإلهية عليه أولاً أن يواظب بكمال المواظبة والدقة على حاله كطبيب رفيق ورقيب شفيق، ويفتش بالدقة عن عيوب سيره وسلوكه. وثانياً ألا يغفل خلال هذه المراقبة والتفتيش عن التعوذ بالذات الإلهية المقدسة في خلواته، والتضرع والاستكانة إلى جناب جلاله الأقدس .



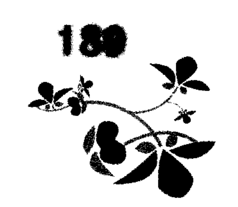
الدقة في الأعمال

يا أيها العزيز: اليوم يوم الإمهال والعمل وقد جاء الأنبياء وأتوا بالكتب ودعوا متحملين كل هذه التضحيات والآلام والشدائد كي يوقظونا من نوم الغفلة وينبهونا من سكر الطبيعة ويوصلونا إلى عالم النور ونشأة البهجة والسرور. فارحم أنت نفسك واكسب من عمرك نتيجة ودقق النظر في حال الأنبياء والأولياء والكمّل، وارم الرغبات الكاذبة والوعود الشيطانية ولا تغتر بغرور الشيطان ولا تخدع بخدع النفس الأمارة فإن تدليسات الشيطان والنفس في غاية الدقة وإنهما ليعمّيان على الإنسان كل أمر باطل فيراه بصورة الحق ويخدعان الإنسان. وبالجملة إن الوعد بالرحمة الواسعة لأرحم الراحمين هو أيضاً من غرور الشيطان ليقطع يد الإنسان عن الرحمة بطمع الرحمة.



الصراط المستقيم

الآن تفكر قليلاً واعتبر، وانظر بعين البصيرة إلى أهمية المقام وعظمة الموقف، وقم بالأمر بجد تام فإن مفتاح باب السعادة وأبواب الجنة ومفتاح باب الشقاوة وأبواب جهنم لفي جيبك في هذه الدنيا. فتستطيع أن تفتح أبواب الجنة والسعادة لنفسك، وتستطيع أن تكون على خلاف ذلك. إن زمام الأمر بيدك ولله الحجة البالغة، قد هدى سبيل السعادة والشقاوة وأعطى التوفيقات الظاهرية والباطنية. فإن ما منه تعالى ومن أوليائه قد تم، وإنما الآن فرصتنا في الإقدام. هم الهادون إلى الطريق ونحن السائرون فيه. هم قضوا ما عليهم على الوجه الأحسن ولم يتركوا لنا عذراً ولم يقصّروا ولو لمحة فانتبه أنت أيضاً من نومك واطو طريق السعادة واستفد من عمرك وقوّتك فإن الوقت إذا انقضى وفاتك العمر الحاضر والشباب الموجود وفقدت كنز القدرة والقوة فلا جبران أبداً.



وظائف السالك

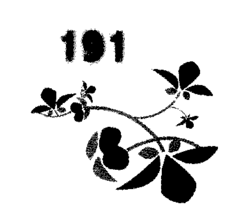
من الوظائف المهمة للسالك إلى الله والمجاهد في سبيل الله أن يرفع اليد بالكامل خلال مجاهدته وسلوكه عن الاعتماد على نفسه ويكون بجبلته متوجهاً إلى مسبّب الأسباب وبفطرته متعلقاً بمبدأ المبادىء ويطلب من ذاته المقدسة العصمة والحفظ ويمسك بذمام جنابه الأقدس ويتضرع في خلواته إلى حضرته ويطلب إصلاح حاله مع كمال الجد في الطلب منه تعالى فإنه لا ملجأ دون ذاته المقدسة.



طلب الرحمة

قم من مكانك واهجر هذا البيت المظلم للطبيعة والمعبر الضيق المعتم للدنيا واقطع سلاسل الزمان وقيوده وانج بنفسك من هذا السجن وأطر طائر القدس إلى محفل الأنس. قوِّ عزمك وأحكم إرادتك فإن أول شرط للسلوك هو العزم وبدونه لا يمكن للسالك أن يسلك طريقاً ولا ينال كمالاً، والشيخ الأجلّ شاه آبادي - روحي فداه - كان يعبّر عنه بلب الإنسانية. إن القرآن هو أعظم مظاهر الرحمة الإلهية، فإن كنت تطمع في رحمة أرحم الراحمين فتأمّل رحمته الواسعة واستفد من هذه الرحمة فإنه قد فتح طريق الوصول إلى السعادة وبيّن طريق الهداية من الضلالة، وأنت تلقي نفسك في الهلاك وتنحرف عن الطريق المستقيم. فليس في الرحمة إذاً أي نقصان ولو كان من الممكن أن يُري الله الإنسان طريق الخير والسعادة في طور آخر لكان سبحانه أراه إياه.

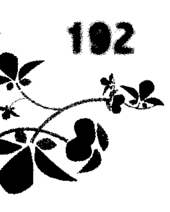
191



عدم الاتكال على النفس

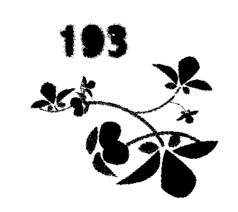
حريّ بالسالك إلى الله أن يكسر رجل سلوكه وأن يتبرّأ من الاعتماد على نفسه وارتياضه وعمله بالكلية، ويفنى عن نفسه وقدرته وقوته، ويجعل فناءه واضطراره دائماً نصب عينيه حتى يقع دائماً مورداً للعناية، فربما يسلك حينئذٍ بالجذبة الربوبية في ليلة واحدة طريقاً يطول سيره مئة سنة. ويردد بلسان حاله وباطنه مع العجز والافتقار في محضر القدس الربوبي **﴿أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء﴾**.

192



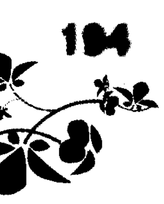
الانتباه إلى أوقات الصلاة

أيها العزيز إغتنم وقت المناجاة هذا بالقدر الميسور والمقدار المقدور وقم بآدابه القلبية وفهّم قلبك أن وسيلة الحياة الأبدية الأخروية ومنبع الفضائل النفسانية ورأس مال الكرامات غير المتناهية هو المراودة والمؤانسة مع الحق ومناجاته وخصوصاً الصلاة، فإنها معجون روحاني قد هيىء بيدي الجمال والجلال الإلهيين وهي أجمع وأكمل من جميع العبادات. فبقدر ما يمكنك حافظ على أوقاتها وانتخب أوقات فضيلتها فإن فيها نوراً ليس في غيرها من الأوقات، واقلل فيها من الاشتغالات القلبية بل اقطعها، وهذا يحصل بأن تقسّم وتعيّن أوقاتك، وتعيّن للصلاة المتكفلة لحياتك الأبدية وقتاً خاصاً لا يكون لك فيه أشغال أخرى ولا تكون للقلب فيه تعلقات، ولا تجعل الصلاة تزاحم أموراً أخرى كي تستطيع أن تريح القلب وتحضره.



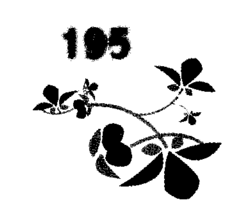
الإعراض عما سوى الله

أيها العزيز إن قلوبنا المسكينة محرومة من حلاوة ذكر الحق تعالى وإن لذة مناجاة تلك الذات المقدسة لم ترد في ذائقة أرواحنا، ونحن محتجبون عن الوصول إلى قرب الجناب ومحرومون من تجليات الجمال والجلال لأن قلوبنا عليلة ومريضة وقد حجبنا الإخلاد إلى الأرض والاحتجاب بحجب الطبيعة المظلمة عن معرفة كبرياء الحق وأنوار الجمال والجلال، فما دام نظرنا إلى الموجودات نظراً إبليسياً استقلالياً فلا نذوق من شراب الوصال ولا ننال لذة المناجاة، وما دمنا نرى لأحد في عالم الوجود العزة والكبرياء والعظمة والجلال ونحن في حجاب أصنام التعينات الخلقية فلا يتجلى سلطان كبرياء الحق جل وعلا في قلوبنا.



تنبيه عرفاني

واأسفاه، إننا نحن أهل الغفلة وسكر الطبيعة والمغرورون بالآمال خلفاء الشيطان الخبيث في جميع الأمور ولا نستيقظ أبداً من النوم الثقيل ولا نخرج عن النسيان الكثير، وإن استفادتنا من مقامات أئمة الهدى ومعارفهم قليلة بل لا شيء يذكر أصلاً. لقد اكتفينا من تاريخ حياتهم بالقشر والصورة... فلا بد للسالك أن يوصل الشهادة بالألوهية إلى القلب بكل رياضة ويكسر الأصنام الصغيرة والكبيرة المنحوتة بيد تصرف الشيطان والنفس الأمارة في كعبة القلب ويحطّمها حتى يصير لائقاً لحضور حضرة القدس، فما دامت أصنام حب الدنيا والشؤون الدنيوية موجودة في كعبة القلب لا يجد السالك طريقاً إلى المقصد.



الموعظة الحسنة

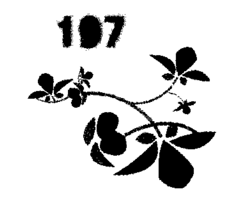
يا أيها العزيز، الآن لديك الفرصة، والعمر العزيز الذي هو رأس مالك موجود. وطريق السلوك إلى الله مفتوح وأبواب رحمة الحق مشرعة والسلامة وقوة الأعضاء والأجهزة البدنية متحققة ودار الزرع التي هي عالم الملك قائمة، فاشحذ همتك واعرف قدر هذه النعم الإلهية واستفد منها وحصّل الكمالات الروحانية والسعادات الأزلية والأبدية، وخذ نصيباً من هذه المعارف الكثيرة التي بسطها القرآن الكريم السماوي وأهل بيت العصمة عليهم السلام على البسيطة المظلمة التي هي أرض الطبيعة ونوّروا العالم بالأنوار الإلهية الساطعة.اغتنم أنت ونوّر أرض طبيعتك المظلمة بالنور الإلهي ونوّر بنور الحق تعالى بصرك وسمعك ولسانك وسائر القوى الظاهرة والباطنة، وبدّل هذه الأرض الظلمانية إلى أرض نورانية بل إلى سماء عقلانية يوم تبدل الأرض غير الأرض وأشرقت الأرض بنور ربها.



في التوحيد الأفعالي

أيها العزيز إن جميع العلوم عملية حتى علم التوحيد فله أيضاً أعمال قلبية وقالبية. إن التوحيد هو من باب التفعيل وهو عبارة عن إعادة الكثرة إلى الوحدة وهذا من الأعمال الروحية والقلبية، فما دمت واقعاً في الكثرات الأفعالية ولم تعرف السبب الحقيقي ولم تجد عين البصيرة ولم تشهد الحق في الطبيعة، وترى فناء الجهات والكثرات الطبيعية في الحق ولم ترفرف على قلبك راية سلطان وحدة فاعلية الحق فأنت بعيد بالكلية عن الخلوص والإخلاص والصفاء والتصفية، ومهجور عن التوحيد، فكل الرياءات الأفعالية وأكثر الرياءات القلبية هي من نقصان التوحيد الأفعالي.

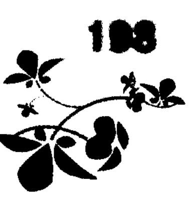
197



التطبيق

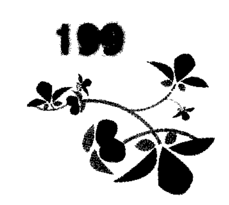
من الآداب المهمة لقراءة القرآن والتي تنيل الإنسان ثمرات كثيرة واستفادات غير معدودة التطبيق. وكيفيته إن الإنسان حينما يتفكر في كل آية من الآيات الشريفة يطبق مفادها في حاله ويرفع نقصانه بواسطة هذا التطبيق ويشفي أمراضه به، مثلاً في القصة الشريفة لآدم عليه السلام يتفكّر في سبب مطرودية الشيطان عن جناب القدس رغم كل تلك السجدات والعبادات الطويلة، فيطهر نفسه منه لأن مقام القرب الإلهي مقام المطهرين.

198



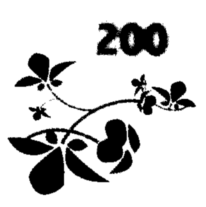
الأنس بذكر الله

أيها العزيز آنس قلبك بآداب العبودية وأوصل إلى ذائقة الروح حلاوة ذكر الله. هذه اللطيفة الإلهية تحصل في بادىء الأمر بشدة التذكر والأنس بذكر الحق، ولكن في حال الذكر لا يكون القلب ميتاً ولا تستولي عليه الغفلة، فإذا آنست قلبك بالتذكر تشملك العنايات الأزلية بالتدريج ويفتح على قلبك أبواب الملكوت.



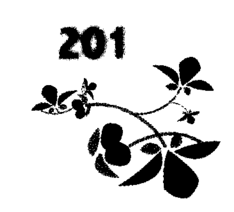
معرفة تصرفات الشيطان

وبشكل إجمالي، ما منعك عن الحق وحجبك عن جمال المحبوب الجميل هو شيطانك سواء أكان في صورة الإنسان أم الجن، وكل ما يمنعك به الشياطين عن هذا المقصد والمقصود فهو حبائل الشيطان سواء كان من سنخ المقامات والمدارج أو العلوم والكمالات أو الحرف والصنائع أو العيش والراحة أو المشقة والمذلة أو غيرها، وهذه عبارة عن الدنيا المذمومة وحبائل الشيطان لا بد من الاستعاذة منها.



علو الهمة وقوة الإرادة

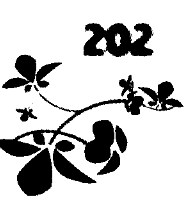
واعلم أن السالك إلى الله والمجاهد في سبيل الله لا بد له أن لا يقتنع بالحد العلمي لهذه المعارف ولا يصرف جميع عمره في الاستدلال الذي هو حجاب، بل الحجاب الأعظم، لأن هذه المرحلة لا يمكن طيها بالرجل الخشبية، بل ولا بطائر سليمان. إن هذا الوادي هو وادي المقدسين وهذه المرحلة هي مرحلة الأحرار فما لم يخلع نعلي حب الجاه والشرف والأهل والولد وما لم يلق عصا الاعتماد والتوجه إلى الغير من يده لا يمكن أن يخطو إلى الوادي المقدس الذي هو مقام المخلصين ومنزلة المقدسين.



عرض النفس على القرآن

وظيفة السالك إلى الله هي أن يعرض نفسه على القرآن الشريف. فكما أن الميزان في صحة الحديث وعدم صحته واعتباره وعدم اعتباره أن يعرض على كتاب الله فما خالف كتاب الله فهو باطل وزخرف، كذلك الميزان في الاستقامة والإعوجاج والسعادة والشقاوة هو أن يكون الإنسان مستقيماً وصحيحاً في ميزان كتاب الله. وكما أن خلق رسول الله هو القرآن، فاللازم له أن يجعل خلقه موافقاً للقرآن حتى يكون مطابقاً لخلق الولي الكامل أيضاً، والخلق الذي يكون مخالفاً لكتاب الله فهو زخرف وباطل.

وكذلك جميع معارفه وأحوال قلبه وأعماله الباطنية والظاهرية لا بد أن يطبّقها على كتاب الله ويعرضها عليه حتى يتحقق بحقيقة القرآن ويكون القرآن صورة باطنية له.



اللجوء إلى الحق تعالى

أيها العزيز.. إن القنوت هو قطع اليد عن غير الحق والإقبال التام على عز الربوبية، ومدّ يد السؤال خالية الكف إلى الغني المطلق، وفي حال الإنقطاع هذه يكون الكلام عن البطن والفرج وذكر الدنيا هو كمال النقصان وتمام الخسران.

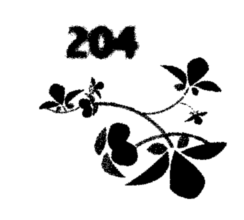
أيا روحي.. حيث أنك الآن بعدت عن وطنك وبتّ محجوراً عن مجاورة الأحرار وابتليت بهذه الدار المظلمة الشاقة فقد نسجت كدود القز على نفسك.

أيها العزيز.. إن الله الرحمن قد خمَّر فطرتك بنور المعرفة ونار العشق، وأيّدها بأنوار كالأنبياء وعشّاق كالأولياء فلا تطفىء هذه النار بتراب الدنيا الدنية ورمادها، ولا تكدّر ذاك النور بكدورة التوجه إلى الدنيا وظلمتها وهي دار الغربة، فإنك إذا توجهت إلى الوطن الأصلي وطلبت الانقطاع إلى الحق من الحق، وعرضت عليه حالة هجرانك وحرمانك بقلب موجع، وأظهرت حال مسكنتك واضطرارك ووجعك يدركك مدد غيبي وتنل معونة باطنية وتجبر النقائص، "إذ من عادته الإحسان ومن شيمته التفضل".

203

معرفة النفس

إن المرقاة لكل الحقائق بالنسبة للسالك العارف هي معرفة النفس. فعليك بتحصيل هذه المعرفة فإنها مفتاح المفاتيح ومصباح المصابيح: من عرفها فقد عرف ربه.



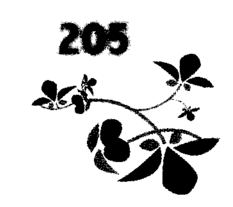
خدمة الدين

وبالمجاهدة وتثبيت مباني التقوى، يخرج حب الدنيا والنفس اللذين هما رأس جميع الخطايا، من القلب، حتى تصير مصاعب الحياة سهلة يسيرة، والشدائد في طريق خدمة الحق تعالى وأحكام الإسلام المقدسة حلوة المذاق.

... هذه الدنيا ستمضي بحلوها ومرها، والكل إلى دار الجزاء راحلون. فما أحلى أن نصرف هذا العمر القصير في طريق خدمة الإسلام والمسلمين حتى نفتخر في المحضر المقدس للحق تبارك وتعالى وندخل في سلك العاملين في الخدمة.

... هذه الدنيا ستمضي بكل مكرها وغدرها، فما أحلى أن نبذل هذه الأعمار القصيرة والأوقات القليلة في خدمة الإسلام والمسلمين وتخليص البلدان الإسلامية من نير الظلم والاستعمار والاستبداد... إذا وفّق الإنسان لأداء تكليفه الإلهي تحصل النتيجة أكان هو ناظراً إلى النتيجة أم لا.. فما أكثر ما يبتلى الإنسان، بواسطة العنايات الإلهية الخاصة، بأمور توجهه بالقهر ورغماً عنه وتجلبه إلى الذات الأقدس، وما أكثر ما تجري علينا الرحمة بصورة القهر والغضب.

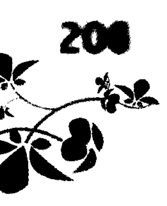
205



ظهور باطن الأعمال

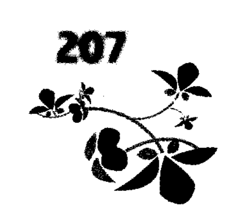
يجب أن تنظروا ما قدمتم لغد. إذا كانت نفوسنا متوجهة إلى الدنيا إلى هذه الدرجة، ونحن منكوسون ولا استقامة لدينا، إذا كنا كذلك ولا نسعى في إصلاح أنفسنا، فإن هذا هو الإخلاد إلى الأرض والتوجه إليها والركون إلى أسفل المراتب. وإن الإعراض عن المعاني والمعنويات يؤدي بالإنسان إلى أن يكون في ذلك العالم حيواناً منكوساً لأن كل ما فعله في هذا العالم تكون له صورة هناك. كل الأمور التي تقع هنا لها صورة هناك. الإنسان المستقيم القامة الذي يكون كل توجهه إلى الطبيعة يفقد استقامة قامته في ذلك العالم ويصير مثل الحيوانات وجهه إلى الأرض. إن جميع عذابات ذلك العالم هي من أنفسنا. إن الله تبارك وتعالى لم يهيئ لنا شيئاً ما وراء الذي أعددناه لأنفسنا ، فكل ما نلقاه في الآخرة نحن أعددناه بأنفسنا لأنفسنا. إن أعمالنا تردّ إلينا.

206



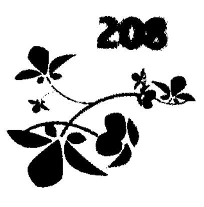
في بيان قابليات الإنسان

كل ما يحصل للإنسان من خير وشر هو من نفسه. فما يوصل الإنسان إلى مراتب الإنسانية العالية هو سعيه، وما يؤدي به إلى الهلاك في الدنيا والآخرة هو نفس الإنسان وأعماله. إنه الإنسان الذي مكنه الله تبارك وتعالى حين خلقه:من اختيار أحد طريقين، إما السويّ وإما المنحرف. وجميع الأنبياء منذ بدء الخليقة إلى آخرها قد جاؤوا لأجل هداية الإنسان من الطريق المنحرف والسبل الباطلة إلى صراط الإنسانية المستقيم الذي أحد طرفيه هنا والآخر عند الله. نحن إن استطعنا أن نصلح أنفسنا، أن نسيطر عليها ونربّيها، أن نراقبها، سنوفّق في جميع الأمور.



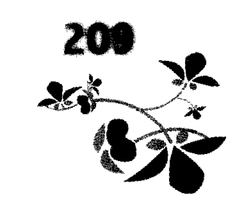
وساوس الشيطان

يجب علينا أن ننتبه إلى وساوس النفس الأمارة وشيطناتها، إلى تلك الأمور الدقيقة التي توجدها في الإنسان. فما أكثر ما يُعرف إنسان ما طوال عمره بالزهد والتقوى وغيرها ويكون الشيطان قد أمسكه من زاوية في قلبه حتى تصير جميع أعماله وزهده وتقواه فاسدة.. ما أكثر ما يكون ذلك.. يجب أن تراقبوا أنفسكم، واطلبوا من الآخرين أن يراقبوكم.. ينبغي أن يراقب الإنسان نفسه دائماً. إذا قام للصلاة فليراقب صلاته، هل أن للنفس الأمارة لا سمح الله يداً فيها؟



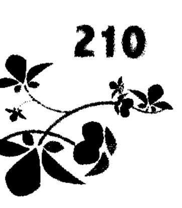
حب النفس في الإنسان

أساس هذه المحن والشدائد التي يبتلى بها البشر، منذ زمن آدم صفي الله حتى يومنا هذا وإلى يوم الحشر، والتي تتمحور حولها كل المفاسد والحروب والظلامات والتعديات والتجاوزات في هذا العالم، أساسها حب النفس الذي يجر الإنسان إلى الهلاك. إن حب النفس له تشعبات ومظاهر منها حب الرئاسة وحب الجاه وحب السيطرة. إن جميع التعلقات هي تعلقات يوجدها الإنسان وترجع إلى تعلقه بنفسه.



التوجه إلى الذات الربوبية

واجهوا ميول أنفسكم قدر الإمكان. هذه المبارزة الباطنية لازمة في كل وقت وينبغي على الإنسان أن يكون منتبهاً دائماً فللشيطان حيل دقيقة ومسارب خفية لا يستطيع الإنسان إدراكها، وبعد إدراكها فإنها تزداد، وتزداد وسوسات إبليس، وعلى الإنسان أن يقف بوجهها، وعليه أن يحارب الأهواء النفسانية عند مواجهتها. إن كل الجمال والجلال والحسن منه وبيد قدرته تعالى، وأما الإنكسار والغرور والعصيان فهي من شيطان النفس الذي يجب أن نستعيذ بالله منه. كونوا دائماً ملتفتين إلى أن أعمالكم هي في محضر الله، وغداً علينا أن نقدم جواباً، فإن كنا قد هيأنا الجواب فلا خوف علينا من أي شيء. نحن حيث أننا لله علينا أن نبذل أوقاتنا وقوانا في سبيله تعالى شأنه.



حب النفس وحب الدنيا

ما ورد في رواياتنا من أن "حب الدنيا رأس كل خطيئة" هو حقيقة. وأساس حب الدنيا وأصله هو حب النفس الذي يتجلى في حب الدنيا. إن كل الفساد الذي ظهر في البشرية من أول وجودها إلى الآن، وسيبقى حتى نهاية هذا العالم منشأه هو حب النفس، ومن حب النفس يظهر حب الجاه وحب السلطة وحب المقام وحب المال وحب جميع البواعث الشهوانية. إن أساس عمل الأنبياء كان القضاء على حب النفس قدر الإمكان والسيطرة على النفوس.



الصراط المستقيم

إن كنتم قد خطوتم في الصراط المستقيم، صراط الإسلام، وكنتم يومياً تطلبون من الله عدة مرات في صلاتكم ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾ فمن المسلّم به أنكم ستصلون في النهاية. والعمدة هي أن يرد الإنسان هذا الصراط الذي يصعب إيجاده، ولكن بعد إيجاده فإن السير فيه هو أمر يسير. أولئك الذين تاهوا في الصحراء ويسيرون خبط عشواء قد لا يصلون في هذه الحال إلى المقصد، أمّا من عزم على سلوك الصراط المستقيم فإنه يصل إلى المقصد أكان ذلك سيراً معنوياً أم مادياً.



الإعراض عن الغير

إن ذلك الشيء الذي يمكّن الإنسان من ورود ضيافة الله تعالى هو ترك ما سوى الله، وهذا أمر غير ميسور لأي كان. لقد تيسّر لأفراد نادرين كان على رأسهم الرسول الأكرمﷺ. إن ذلك التوجه القلبي إلى مبدأ النور والإعراض عما سواه جعل رسول اللهﷺ لائقاً لنيل الضيافة الإلهية ولنزول القرآن على قلبه دفعة واحدة وبشكل بسيط. من المهم أن ندرك أن مراتب كمالات الإنسان لأجل الورود إلى الضيافة الإلهية هي كثيرة، وينبغي البدء من المقدمات. والمقدمات هي نفس عدم التوجه إلى الغير وعدم رؤية الأغيار. إنها رؤية الله فقط ونفي ما سواه.. لا يمكن أن تجيبوا دعوة الله إلى ضيافته وتردوا هذه الضيافة بدون أن تنسلخ قلوبكم من الدنيا.

إن أساس حركة الأولياء هو تهذيب النفس والتوجه إلى الله وإعراض القلب عما سواه تعالى. كل المفاسد التي تحصل في هذا العالم سببها التوجه إلى النفس في مقابل التوجه إلى الله. وكل الكمالات التي حصلت لأنبياء الله وأوليائه إنما كانت من إعراض القلب عما سواه تعالى وربطه به فقط. وعلائم هذه الأمور ظاهرة في أعمالنا.

213



عجز الإنسان في العبودية

لو لم يكن أمر الله تبارك وتعالى لا أعلم كيف كنا تجرأنا أن نمدح الله تعالى ونثني عليه. أنتم لاحظوا كيف أن الصلاة التي تقع على رأس جميع العبادات تبدأ بالتكبير وتنتهي أيضاً بالتكبير ثلاث مرات. ومضمونها هو التكبير والتسبيح والتحميد. ولعل هذا لأجل أن نفهم، وليفهم الجميع أننا منذ لحظة دخولنا في الصلاة التي هي أعظم العبادات علينا أن نتوجّه إلى أن الله تبارك وتعالى أكبر من أن نعبده ففي كل ركعة من ركعاتها هناك إما تسبيح أو تكبير.

والتسبيح هو إعلان أن الله منزه عن عبادتنا. في نفس الحال الذي تحمدون فيه الله تعالى، وقد أُجيز لكم الحمد، فإنكم تسبّحون الله وتكبّرونه. إذا أردتم دخول الصلاة فإنكم تكبّرون وتقرأون الفاتحة وأنتم تعلمون أن الحمد مختص به تعالى. لا أظن أن إدراك

هذا المطلب يتضح لأحد سوى من أراده الله تعالى، وهو أن أصل التحميد ليس إلا لله. الإنسان ليس شيئاً، حتى الأنبياء. وغاية كمال البشر هي أن يفهموا عجزهم، أن يدركوا عجزهم عن عبادة الله. ولو لم يكن هناك إجازة في ورود الإنسان إلى العبادات جميعها لخجل من الوقوف بين يدي الله تعالى وتمجيده. إن الإنسان أقل وأصغر من أن يقف أمام الباري جل شأنه ويحمده ويمجده.

214



الجهاد الباطني

جاهدوا الشيطان الباطني فإن هذا الجهاد هو منشأ كل جهاد يقع فيما بعد. إن الإنسان ما لم يبنِ نفسه فإنه لن يقدر على بناء الآخرين. جهاد النفس هو الجهاد الأكبر. ولذلك فإذا ما أراد الإنسان تحصيل النتيجة من كل جهاد آخر والانتصار في كل جهاد يقوم به فإن ذلك موكول إلى الانتصار في جهاد النفس. لو دار الناس حول محور نفوسهم ولم يجاهدوا شيطان النفس فإنهم علاوة على أنهم لن يتمكنوا من إصلاح المجتمع سيفسدون فيه. إن كل مفاسد العالم تقع لأن الجهاد الأكبر لم يتم. كل المصائب التي حلّت بالبشر إنما كانت من أيديهم، أما سائر الموجودات، وسائر الحيوانات ولو كانت من السباع والوحوش فإنها لن ترتكب تلك الجنايات التي يقترفها الإنسان، هذا الإنسان الذي لأنه لم يصلح نفسه ولم يجاهدها، هو أكثر سبعية من جميع الحيوانات. فلا يوجد سبع مثل الإنسان ولا يصل أي حيوان إلى

ما يصل إليه الإنسان في الفساد والفتنة. وليس هناك من حيوان محتاج إلى التربية والإصلاح أكثر من الإنسان. إن جميع الأنبياء منذ آدم عليه السلام حتى الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله إنما جاؤوا لأجل مقصد واحد وهو جعل كل من هذه الحيوانات البشرية إنساناً. وجميع الكتب السماوية وأعظمها القرآن الكريم تهدف إلى هداية الإنسان الغارق في الظلمات وحب الدنيا والمستغرق في ذاته لا يرى شيئاً سواها، وإخراجه من هذه الظلمات وإيصاله إلى عالم النور.

جميع الظلمات المبتلى بها البشر، سواء أكانت ظلمات في باطن النفس أم ظلمات في المجتمع، إذا ما تخلّص الإنسان منها، فإنها ترجع جميعاً إلى مبدأ النور الواحد. فيصير المطلوب الوحيد هو الله ولا شيء سواه.



الإيمان الحقيقي

ليس الإيمان أن نعتقد بوجود الله وبالنبوة وأمثالها، كلا فالإيمان مسألة أعلى من هذه المعاني التي يدركها الإنسان بعقله. عليه بالمجاهدات أن يوصلها إلى قلبه ليصير واعياً. كثيرة هي الأمور التي يعلمها الإنسان بالبرهان من قبيل القضية الفلانية كذا وليست كذلك، لكن لأنه لم يؤمن بها فإنها لا تؤثر. مثلاً لو أن إنساناً تواجد في مكان مظلم مع رجل ميت فإنه سيخاف أن ينام قربه رغم قناعته بأن الميت لا تأثير له ولا يمكنه القيام بشيء. عقله يقرّ بموته لكن هذا الأمر لم يصل إلى قلبه. أما ذلك الرجل الذي يغسّل الموتى، ويقوم

بهذا العمل دوماً فإنه ينام بين الأموات دون أي تردد. ليست المسألة شيئاً بالنسبة له. هذا هو الفرق بين الإدراك العقلي والإيمان. فما لم يصبح الإدراك العقلي إيماناً عند الإنسان فإنه لن يكون مؤثراً. المسألة العقلية التي لم يصدق بها القلب ولم يفهمها تكون ضعيفة التأثير، وإيصال معارف العقل إلى القلب يحتاج إلى مجاهدات.

210



الحضور في محضر الحق

لو أن قلوبنا أدركت أننا الآن في محضر الله فإنها ستتجنب المعصية. إن جميع المعاصي ترتكب لأن هذه الحقائق لم تصل إلى القلب بالرغم من أن البرهان العقلي قائم عليها. فالبرهان العقلي يثبت أن الله حاضر في كل مكان والأنبياء أيضاً قالوا لنا كما في القرآن ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ لكن قلوبنا لم تدرك هذه المعاني بعد. لو كان أحدنا في محضر عظيم لاحترم هذا المحضر ولم يقم بمخالفة في محضر من يعدّه عظيماً. إذا كنتم على وشك الاستغابة أو الاتهام أو القيام بعمل سيىء فالتفتوا إلى محضر الله تعالى. إن العالم بأكمله هو محضر الله فلا تعصوا الله في محضره.



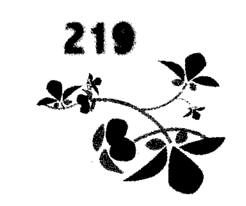
الخروج من الظلمات

لقد جاء الأنبياء لإنقاذنا نحن الغارقين في الظلمات الذين لا حظّ لنا من النور، وإيصالنا إلى عالم النور حيث يصير من يصل إلى ذلك العالم نورانياً بكلٍ وجوده. ويصير نوراً. كل كلام ينطق به أو يسمعه يكون نورانياً، ويتبدل سمعه وبصره الظلماني إلى سمع وبصر نوراني متوجه بالتمام إلى الحق تعالى. علينا أن نبني أنفسنا، إن كنتم تبنون أنفسكم فجميع أعمالكم تكون جهاداً. كل عمل تقومون به في هذه الحال يصير مصداقاً للجهاد وتكونون أنتم في النهاية مجاهدين.



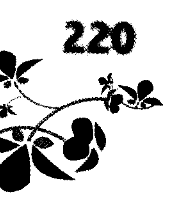
قلع جذور المعاصي

إن كل عمل يقوم به الإنسان يغرس في النفس جذراً ما. في البداية الأمر سهل. يعصي الإنسان ويستطيع أن يرجع بسرعة، ولكن إذا أضاف قدراً (من المعاصي) تصبح المسألة أصعب. وكلما اتجه نحو الشيخوخة تقوى هذه الجذور ويضعف الإنسان أكثر، تصبح إرادته أضعف فلا يتمكن من التوبة في زمن الشيخوخة، وفي نفس هذه الحال فإن الشيطان يوسوس لنا ولا يتركنا حتى نرد ذلك العالم بدون إيمان. إن جميع وساوس إبليس تقف مقابل دعوات الأنبياء لتمنعنا من الوصول إلى ذلك النور. يجب أن تعرفوا مكائد الشياطين، فإن لم تعرفوها لن تتمكنوا من أن تدفعوا عن أنفسكم. إعرفوا شيطان أنفسكم، شيطان باطنكم، واعرفوا أيضاً الشياطين الخارجية حتى تتمكنوا من مجاهدتها. إن شيطان الإنسان الباطني هو الإنسان نفسه، هو أهواء الإنسان ونفسيته.



جموح النفس

الإنسان في بادىء الأمر يكون حيواناً أسوأ من الحيوانات، إذ ليس هناك حيوان كالإنسان في الشهوة والافتراس والشيطنة. إن شهوات الحيوانات الأخرى وسبعيتها وشيطنتها كلها محدودة، ولكن الإنسان الذي هو بحسب الخلقة أعلى من سائر الموجودات بلحاظ، فإنه بلحاظ آخر، من حيث الشهوة والغضب والشيطنة قد يصل إلى ما لا نهاية، لا حدّ له في هذه الأمور. إن الإنسان لو حاز على منزل، على سبيل الفرض، لسعى نحو امتلاك منزل آخر ولو سيطر على بلد فإنه يعمل للسيطرة على آخر، وهكذا فلو صارت كل الدنيا تحت سيطرته فإنه يفكر في القمر والمريخ ويسعى للوصول إليهما. لا حدّ لشهواته ولا حدّ لطمعه.. لقد جاء الأنبياء ليحدّوا من هذه الأمور ويروّضوا هذا الحيوان المطلق العنان الذي لا يقف عند حدّ.



كيفية محاسبة النفس

ينبغي أن يحاسب الإنسان نفسه، فمحاسبة النفس هي أحد شروط السفر إلى الله حيث يجبر الإنسان نفسه على المحاسبة في وقت معين ويسأل نفسه ما فعلت اليوم؟ حاسبوا أنفسكم. علينا جميعاً أن نحاسب أنفسنا، إسألوا الله أن نكون في مأمن من الانحراف والسقوط.



الاستعداد للموت

نحن جميعاً إلى زوال، وهذا أمر واضح، فكلنا سنزول وقد نودي فينا بالرحيل. النهاية قريبة مني، وأنتم الشباب تعقبونني بعد حين، بل إن هذا ليس معلوماً، فالموت لا يفرّق بين شيخ وشاب، لكل أمد معين والجميع راحلون. اسعوا حين يأتي ملك الموت وتشاهدونه أن يعاملكم بصورة رحمانية ويرفعكم بهيئة حسنة. إجهدوا أن لا يكون باب الرحمة مغلقاً عليكم هناك وباب الغضب مفتوحاً. إسألوا الله أن لا يكون الأمر كذلك.



إدراك مراقبة الحق تعالى

إن الله موجود وحاضر، لا تغفلوا عنه فجميعنا تحت مراقبته ﴿والله من ورائكم محيط﴾ إن خطرات قلوبكم ولحظات عيونكم وحركات ألسنتكم كلها تحت نظره وفي محضره تعالى. تذكروا أن دنياكم إلى زوال وأن حسابكم مع من كان كل شيء تحت نظره.



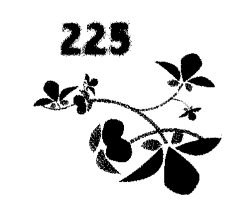
الغفلة

إن جميع الأخطاء التي تصدر من الإنسان هي بسبب حبه لنفسه وغفلته عن الله تعالى. على الإنسان أن يسعى للتقليل من حب النفس إن لم يستطع إزالته بشكل تام. وبالطبع فالمسألة صعبة وتحتاج إلى رياضة لكنها ليست مستحيلة. إذا استطاع الإنسان في كل أمر يرد فيه أن يبتعد عن حب النفس ويلاحظ المصلحة ويتوجه إلى الله فإنه سينال التوفيق ويأمن من مخاطر حب النفس هذا... وسينجو من أفخاخ إبليس والتي أكبرها فخ حب الإنسان لنفسه، ويسير في الصراط الإلهي المستقيم.



مكائد الشيطان

إن أكثر إغواءات الشيطان للإنسان هي إلهاؤه والوسوسة في نفسه. إن وسوسات الشيطان تحيط بالإنسان من كل جانب فيقول له أنت إنسان مقتدر.. أنت الآن صاحب كذا فأين من سواك؟.. هذه كلها من مكائد الشيطان، مكائد النفس الأمارة التي هي أكبر من كل الشياطين حتى ذلك الشيطان الكبير المعروف.. لا تشكوا في أنكم كلما قلتم أنا فهذه الأنا هي الشيطان، وكلما قلتم يجب أن أطاع فهذا أيضاً هو الشيطان. نحن نجلس إلى سُفرة الشيطان حيث يقول فلان أنا، وأنت تقول أنا وذلك يقول أنا، ونتسابق مع بعضنا إلى ذلك الطُعم الشيطاني الذي يزيّن لنا تقوية حب النفس.



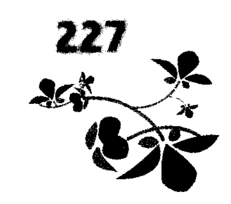
في بيان معنى رؤية الحق تعالى

نحن من الله. نحن لا حول لنا ولا قوة. إن كل ما لدينا هو من الله. سواء افترضتم أننا كالأنبياء أو في طريقهم فإنه من عمى القلب أن يظن الإنسان أنه يقوم بشيء. أنت غارق في نعم الله، عينك وأذنك وقدرتك ويدك ورجلك جميعها من الله. أنا لا أستطيع أن أُسَمِّي هذه أمانة فإن في البين نفسانية. عندما يكون كل شيء منه، لا يكون في طريقه تعالى أداء لعمل. كل ما هنالك منه وفي سبيله.



في بيان النعم الإلهية

أنا أخشى أن نكفر بنعمة الله التي أعطاناها، وكل النعم منه تبارك وتعالى، فتصرف عنا عنايته ونكون نحن سبباً لذلك، ويصبح حالنا أسوأ مما كنا عليه. لا تغفلوا عن الله. لا تغفلوا عن ذلك اليوم الذي سنكون فيه جميعاً محتاجين.



الأثر العظيم للتلقين

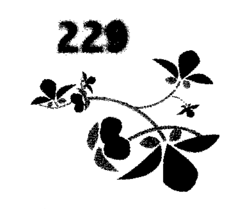
من الأمور المفيدة في بناء الإنسان التلقين. فلو أراد الإنسان أن يبني نفسه عليه أن يلقّنها تلك المسائل المرتبطة ببناء الذات، ويكررها أيضاً. كل ما يمكن أن يؤثر في نفس الإنسان فإنه بالتلقين والتكرار يزداد أثراً وينتقش في النفس. إن سر تكرار الأدعية والصلاة عدة مرات كل يوم هو هذا. ومن المناسب أن يلقّن الإنسان نفسه هذه الآيات المربية في سورة الحمد المباركة ويكررها وتكون نفسه مستعدة للاستماع، بل يجب عليه ذلك.



معرفة الإنسان

لعل ما جاء في الحديث أن "من عرف نفسه فقد عرف ربه" هو نوع من تعليق أمر على أمر يعدّ مستحيلاً بالنسبة لنوع الإنسان. إن معرفة الإنسان لنفسه ومعرفة صفاتها وغرائزها هو إما من الأمور المستحيلة وإما قريبة من المستحيل إلاّ لمن عصمه الله تعالى. فبسبب حب الإنسان لنفسه، فإن كل ما يطلبه إنما يطلبه لأجل نفسه. وبسبب ذلك فإنه يغفل عن كثير من الأمور. إن حب النفس هو الذي يمنع الإنسان من معرفة نفسه كما هي في الحقيقة.

229

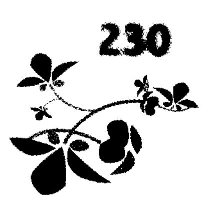


منشأ المصائب

هناك ثلاث رؤى في العالم. رؤية ترى جميع الموجودات أو بعضها من جهة الحب، ورؤية تنظر إلى كل شيء من جهة البغض ورؤية ثالثة ليس فيها حب ولا بغض. إن الرؤيتين الأوليين ليستا رؤية الأحرار. إن أعظم المصائب التي حلّت بنا وبالبشر هي منّا وفينا.

الشخص الذي ينظر إلى الناس والأشياء بمنظار حب النفس لا يستطيع أن يكون حراً وهو مبتلى في آرائه، والشخص الذي ينظر إلى الموجودات والأشخاص والتيارات بمنظار البغض والعداوة ليس حراً أيضاً ولا يستطيع أن يحكم بشكل صحيح على الأمور. يظن الإنسان أن كل ما يقوله هو من زاوية التحرر وعدم الانقياد لرؤية معينة، لكن لا تصدقوا هذا المدّعى. هذا الإنسان لا يستطيع أن يتحرر من الأهواء النفسانية وحب النفس الذي هو منشأ كل المصائب. إن الذين يدّعون التحرر من هذه الأمور كثيرون لكنهم في الواقع قلّة.

230



عبودية النفس

من الممكن أن يكون كثير من الأشخاص عبيداً لأنفسهم، وليس لله، حتى وهم غافلون عن هذا الأمر، يعتبرون أنفسهم منزهين ومبرّئين، وكل ذلك بسبب حب النفس. إن حب النفس هذا يغطّي على الإنسان جميع عيوبه، فلا يعود يرى، بسببه ذلك العيب بل قد يعتبره في بعض الأحيان حُسناً. فما لم يدخل الإنسان في المجاهدات ويتبع تعاليم الأنبياء فإنه لن يتمكن من الخروج من هذه البلاءات ومن عبوديته لنفسه، ولن يصلح نفسه ولن تكون أحكامه وآراؤه التي يعطيها صحيحة مطابقة للواقع.



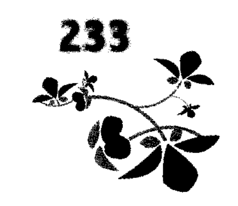
محاسبة النفس

إذا أراد الإنسان أن يختبر نفسه فليختر وقت الخلوة لينفرد بذاته. وليتخيل أنه يقف أمام اثنين، الأول من أصدقائه ومحبّيه والثاني من أعدائه ومخالفيه. وليفكر الإنسان حينها أن هذا العمل الذي صدر من صديقي وعدوي ما هو. أنا حين أنسب هذا العمل الفلاني إلى صديقي فإنني أمجده، أو أقلّه، أحتال لأغطّي عيوبه. وذلك العمل لو صدر من عدوي فإنني أضخمه وأثير الأجواء من حوله. لو أراد الإنسان واقعاً أن يفهم ماذا تعمل نفسه يجب أن يلاحظ هذه الموازين... إن ابتلاء الإنسان بنفسه أشد من جميع الابتلاءات.



أسرى أهواء النفس

إن كل هذه البلايا هي من نفسي أنا، ولا علاقة لها بالخارج أبداً. الدنيا هي أنا، أما عالم الملك، عالم الطبيعة هذا فهو أحد مخلوقات الله وأحد تجلياته، والتعلق به، أي التعلق بهذه الدنيا هو سبب انحطاط الإنسان. من الممكن أن نجد شخصاً لديه من التعلق بسبّحة حقيرة ما لا نجده في شخص آخر لديه مملكة عظيمة. فالأول يكون أشد تعلقاً بالدنيا من الثاني. لقد كان سليمان بن داوود سلطاناً، سلطاناً حاكماً على كل شيء لكن تلك السلطنة لم تجذب قلب السلطان أي قلب سليمان إليها.



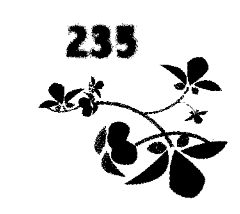
الانعتاق من فخ النفس

هناك مثل معروف يقول: ما أسهل أن تصبح عالماً وما أصعب أن تصبح إنساناً. كان شيخنا رحمه الله يقول: من الصعب أن يصير المرء عالماً ومن المستحيل أن يصير إنساناً. لو أراد الإنسان أن يحكم على أمر ما، أن يصدّق بأمر في باطنه فليرجع إلى نفسه أولاً ويفكر ماذا تفعل نفسه.. إن من السهل أن يلاحظ المرء عيوب الناس أو يشاهد الثغرات في حسناتهم أو يحسّن من مساوئهم، لكن لو نظر الإنسان إلى نفسه أولاً وجال في أفكاره وحاسب نفسه وامتحنها.. فإن أرقى الحريات هي التحرر من النفس مما تحب وتبغض، وإن أكبر مصائبنا هي هذه المصيبة، مصيبة حب النفس والجاه والشهرة.



ثمرة حب النفس

إن التوفيق الحقيقي هو عندما يتحرر الإنسان من أسر النفس والأهواء التي سيطرت عليه. من الأمور التي تحدث للإنسان بسبب هذه الأنانية هو أنه إذا تعلّق بشكل شديد بالدنيا، بالنساء والأولاد والأموال والجاه والرياسة وأمثال ذلك، فإن من المصائب القاصمة للظهر التي تقع هنا ويصعب كثيراً تحملها هي أن الإنسان عندما يقترب أجله ويراد نقله إلى العالم الآخر ينكشف له أن هذا بيد الله تعالى.. هذا الإنسان عندما يرى أن الله يريد أن يفصله عن هذه الأشياء التي تعلّق بها فإنه يصبح عدواً لله.



235

حب الدنيا وآثاره

يروي أحد المتعبدين الثقاة قائلاً: ذهبت لزيارة أحدهم وكان يحتضر ـ فقال وهو على فراش الموت: إن الظلم الذي لحقني من الله لم يلحق أحداً من الناس، فهو يريد أن يأخذني من أبنائي الذين صرفت دم القلب في تربيتهم ورعايتهم! إن ما يجر الإنسان إلى هذا الأمر هو حب الإنسان لنفسه وللرياسة ولكل لوازم هذا الحب للنفس، فيصل الإنسان إلى حيث أنه يصبح عدواً للنبي الأكرم لو أنّه صلوات الله عليه وآله تعرَّض له وعندما يدرك أن الله هو الذي يتعرَّض له فإنه يصير عدواً لله.



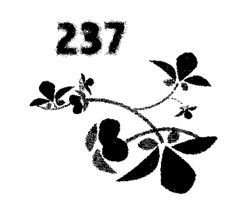
236

عدم الإعتناء بالدنيا

عليكم أن تجتنبوا تلك الأمور الناشئة من الطبيعة المنحطة التي تجرّ الإنسان إلى التسافل، اجتنبوا حب الجاه والمال والمنصب، فهذه الأمور هي أشواك طريق الإنسانية وموانع الرقي.

أفهموهم أن الإنسان ليس بإنسان ما دام منكباً على معتلف الطبيعة. أولئك الذين لا همَّ لهم إلا ما يحصلون عليه من هذه الدنيا وهم منصرفون لتوفير حياة مرفهة إن أولئك غارقون في معتلف الطبيعة تماماً كذلك الحيوان الواضع رأسه في معتلفه، لا يرى شيئاً سواه.

237



في بيان عبودية اللّه تعالى

لو أقرَّ الإنسان بعبودية الله فقط، واجتنب العبودية لسائر الأشياء والأفراد، ودخل في الدنيا من طريق عبودية الله ومن خلال هذه العبودية انطلق نحو المدرسة والمجتمع والوظيفة فإن كل عمل يؤديه يكون عبادة. وذلك لأن المبدأ هو العبودية لله تعالى. لاحظوا أن عبارة ﴿**عبده ورسوله**﴾ في القرآن الكريم وكما نذكرها دائماً في صلواتنا قد تقدّم فيها ذكر العبد على ذكر الرسول، وكأن في الأمر إشارة إلى أن الوصول إلى الرسالة طريقه العبودية، التحرر من كل شيء والصيرورة عبداً لله لا عبداً للأشياء الأخرى. هناك طريقان لا أكثر: إما عبودية الله وإما العبودية للنفس الأمارة.

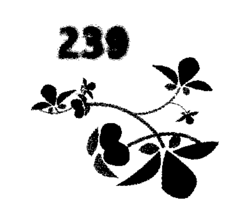
238



مناجاة

... فأخرج نفسك أيها المطرود غير المجاهد والملعون المعاند (يخاطب الإمام نفسه) من هذا السجن المظلم وابعثها عن ذاك القبر الموحش. وقل: اللهم يا باعث من في القبور، ويا ناشر يوم النشور، ابعث قلوبنا عن هذه القبور الداثرة، وارحل راحلتنا عن تلك القرية الظالمة، لنشاهد من أنوار معرفتك، وتسمع قلوبنا أنباء نبيك في النشأة القلبية، لئلا يكون حظنا من نبوّته ﷺ فقط حفظ دمائنا وأموالنا بإجراء الكلمة على اللسان ولا من أحكامه الإجزاء الفقهي والوفاق الصوري، ولا من كتابه جودة القراءة وتعلم تجويده، فنكون ممن قال تعالى فيهم: ﴿**وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة..**﴾ وقال تعالى: ﴿**في قلوبهم مرض..**﴾ وقال تعالى: ﴿**وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب..**﴾.

239



كيفية السيطرة على النفس

إن الإنسان موجود عجيب وغريب، لا يستطيع حتى آخر عمره أن يعرف نفسه.. لا تظنوا أن التصفية والتحقق بمقام الإنسانية أمر يسير، كان شيخنا يقول أن هذا أمر مستحيل، وهو إن لم يكن بهذه الشدة فإنه صعبٍ ومن أصعب الصعوبات. كثيراً ما يظن الإنسان أنه يعمل أعمالاً صالحة ولكنه يفعل العكس.. إن الإنسان لا يستطيع أن يتخلص بهذه السرعة من شر نفسه الذي هو أشد من شر الشيطان.. انتبهوا إلى أن الشيطان الباطني يبقى مع الإنسان إلى آخر عمره، وقد يوصل الإنسان إلى الهلاك.. الإنسان موجود إذا لم يُلجم وتُرك على رسله لا يهمه إلاّ بطنه ولم يربّ، فإنه كلما

طال عليه العمر وارتفع في المناصب فإن الأبعاد المعنوية فيه تتسافل وتصير تلك المعنويات تحت سلطة الشيطان الأكبر الذي هو شيطان النفس.. إن الإنسان غير المهذب يكون مضراً بالمجتمعات بما لا يضاهيه شيطان أو حيوان أو أي موجود آخر. وإن فائدة الإنسان المهذب للمجتمعات البشرية لا تضاهيها الفائدة الحاصلة من الملائكة أو موجود آخر.

240

في بيان مكائد النفس المضلّة

إن شيطان الإنسان الباطني أستاذ متمرس، وهو لا يجرّ الإنسان إلى الفساد دفعة واحدة. هو في البداية يحمل الإنسان على أن يخطو خطوة صغيرة، فإذا قام بها يحمله في غده على خطوة أكبر. وهكذا شيئاً فشيئا حتى يوصله إلى جهنم والفساد. إن شيطان الباطن يجر الإنسان بكل حذاقة إلى الهلاك. فلو قال لك منذ البداية أقتل فلاناً من الناس، فإنك لن تفعل أبداً. إنه يحمل الإنسان على التعرض لذلك الشخص أولاً ثم يطلب منه أن يؤذيه، وبعد ذلك يزداد إساءة حتى يصير تدريجياً مستعداً لأن يقتل ذلك الإنسان. إن كل هؤلاء الفاسدين إنما صاروا فاسدين تدريجياً. فلا يأمن أحد منا جميعاً من

أن يصير فاسداً. كلنا معرضون للفساد، إن الشيطان ممسك برقابنا جميعاً وخصوصاً شيطان النفس، إننا رهائن يده. لم يكن أحد فاسداً منذ البداية، وما من أحد في مأمن من الفساد أو الوقوع في شرك إبليس. إن الإنسان حتى آخر عمره، حتى ذلك الوقت الذي يغادر فيه هذه الدنيا سيبقى مبتلياً بتلك الأمور الموجودة في باطن نفسه والتي هو نفسه لا يستطيع فهمها، وعليه أن يلجأ إلى أهل المعرفة في هذا المجال ليعرض نفسه عليهم.



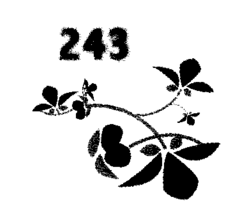
محاسبة النفس

لو أن الإنسان راقب نفسه، وكان متوجهاً إلى المسائل المعنوية بالمراقبة .. كأن يكون فرضاً قد تكلّم بمسائل في مجلس أو مكان ما يوماً، فيجلس مع نفسه ليلاً ويسألها أن هذه الأمور التي تحدّث بها اليوم ماذا كانت؟ هل تفوهت بها من منطلق شيطاني أم إلهي؟ لو حاسب الإنسان نفسه وخلص إلى أن ما تكلم به كان أساسه شيطانياً لا إنسانياً أو إلهياً فمن الممكن إن هو اقتفى هذا الأثر تدريجياً أن يتمكن من إصلاح نفسه، وإن لم يفعل ذلك وتابع على هذا المنوال فلا تستبعدوا أن إنساناً زاهداً عابداً مسلماً يصير فاسداً وشقياً. ما من أحد في مأمن.



غفلة الإنسان

إن الإنسان غافل عن نفسه دائماً، لا يستطيع أن يدرك ما الذي يجري. فمن الممكن أن يعتقد أن أعمال أربعين أو خمسين سنة كانت لله، وتكون هي من إلقاءات إبليس. إنها تلبيسات إبليس التي تسيطر علينا، وإن تغافلنا عنها ستوصلنا إلى جهنم، وستهلكنا في هذه الدنيا أيضاً. إن شيطان النفس والوساوس النفسانية تقف لنا بالمرصاد وستظل كذلك حتى تفني كل ما في الدنيا.. لقد كان هتلر مستعداً أن يبيد كل البشر ليبقى زعيماً على ألمانيا... إن دافع البعثة النبوية الشريفة هو إنقاذنا من هذا الطغيان وتزكية أنفسنا وتصفيتها وإخراجها من الظلمات.



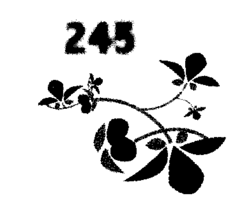
أثر التلقين في النفس

من الأمور المؤثرة ـ حتى في الأمراض ـ التلقين، حيث يلقّن المريض نفسه أو يلقّنه الآخرون أنه سيتعافى. عندما يتكرر هذا في نفس الإنسان فإنه يعطي أثراً. وهكذا في الموعظة، على الإنسان أن يعظ نفسه ويعدّها لتقبّل المواعظ. ما من أحد إلاّ وهو محتاج للموعظة. غاية الأمر أن الكمّل من الخلق يكون واعظهم الله سبحانه وتعالى، وهؤلاء يكونون وعاظ من يليهم مرتبة وهكذا حتى نصل في آخر الأمر إلى أنفسنا. نحن محتاجون إلى الموعظة، لكن مواعظ سنوات عديدة لم تترك أثراً يذكر في أنفسنا.. هذا بسبب الشيطان الأكبر الموجود في باطن الإنسان والذي يترصده ليهلكه. إن كل همّه هو هذا، أن يخرج الإنسان من هذا العالم بدون إيمان.. نعوذ بالله من أن نبتلى بهذه العاقبة السيئة.



عباد أصنام النفس

.. وأما أصحاب الطلسمات والنيزنجات وأرباب السحر والشعبذة والرياضات التي أصولها الاتصال بعالم الجن والشياطين الكفرة، وهو الملكوت السفلي التي هي الظل الظلماني لعالم الملك، مقابل الظل النوراني الذي هو الملكوت العليا، عالم الملائكة، تراهم لا زالوا في مقام إظهار سلطنتهم وإبراز تصرفهم، لفرط العشق بأنانياتهم وزيادة الشوق بحيثية نفوسهم. فهم عباد أصنام النفس وتابعو الجبت والطاغوت، غافلون عن رب العالمين، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين.



العجز في العبودية

إن التحميد والتمجيد هو ادعاء للمعرفة، والإنسان عاجز عن معرفته تعالى.. لكن ما باليد حيلة لأنه هو أمرنا ، وعلى الجميع ان يطيعوا ولو كانوا قاصرين عن تحميده وتمجيده جلّ شأنه. حيثما كان التكبير كان التسبيح، الامر كذلك في الصلاة، "سبحان الله" يأتي بعدها "الله أكبر". نحن ننزه الله أولاً ثم نحمده ثم نكبّره فيقع حمد الله بين تنزيه وتكبير. إذا أردتم أن تركعوا تكبّرون وإذا قمتم من الركوع تكبّرون، وفي الركوع تنزهون. وعندما تريدون السجود أيضاً تكبّرون، وفي السجود تنزهون وبعد السجود تكبّرون ثم تكبّرون أخرى وتسجدون لتنزهوا الله تعالى. كل ذلك ليُفهَم أن المسألة أعلى من هذه الأمور. أنت تكبّر الله من تنزيهك له وتنزهه عن تكبيرك. هكذا هي الصلاة وسائر العبادات. ولو لم يكن أمر الله ولزوم طاعته، لوجب القول إن الإنسان ذا الحظ الضعيف من المعرفة لا جرأة لديه ليقف ويعبد الله تعالى.



الحد بين المؤمن والكافر

لقد وضع الله تبارك وتعالى ميزاناً في القرآن به نعرف أنفسنا والآخرين. قال سبحانه: ﴿**والله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور، والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات**﴾ إن الميزان بين المؤمن الحقيقي وغيره هو أن المؤمن يكون وليه الله، والله يخرج المؤمنين من جميع الظلمات والحجب ويدخلهم في النور.



دخول الإيمان إلى القلب

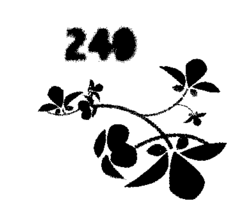
إذا أردنا أن نزن أنفسنا والآخرين ممن هم مدّعون، يجب علينا أن ننظر إلى الميزان الذي وضعه الله لنا لتمييز المؤمنين عن غيرهم ،هل هو موجود في أنفسنا أم لا.. بمجرد أن أدّعي أنا أو أنتم أننا مؤمنون بالله، فما لم يكن الله موجوداً فينا فإن هذا الادعاء أجوف. فلننظر إن كنا من أولياء الله والله هو ولينا أو من أولياء الطاغوت والطاغوت هو ولينا. فإذا رأيتم أنكم خرجتم من بلاءات عالم الطبيعة وظلماته وقطعتم علائقكم بهذا العالم، أو أنكم قلّلتم منها، إذا وجدتم أنكم تقومون بكل عمل في سبيل الله وكانت حكومته سبحانه نافذة فيكم وفي قواكم، إن كان كل شيء فيكم، أعضاؤكم وقواكم، خاضعة لله وقد غضضتم أبصاركم عن كل ما يؤدي إلى ظلمة القلب، فالله هو وليكم. إن المحكّ الكبير هو في معرفة الإنسان نفسه، أن يستطيع أن يفهم أن هذا الإيمان الذي يدعيه هو مجرد ادعاء أو أن نور الإيمان قد حلَّ في قلبه وطرد جميع الظلمات؟



محاسبة النفس

فلنجلس مع أنفسنا في ليل الخلوة ووقت الفراغ ولنفكر، هل أن قلب الواحد منا قلب نوراني متوجه إلى النور أم هو قلب ظلماني متوجه إلى الآمال الشيطانية؟ هل هو إلى الله أم إلى الطاغوت؟ فلا ثالث لهذين الحالين.. إذا كان توجهنا إلى الدنيا وملذاتها فإن كل ما نطلبه هو لأجل أنفسنا، وكل عمل نؤديه لا يكون لله. نحن نكون من الطاغوت والطاغوت ولينا. وأما إذا هذبنا نفوسنا وربيناها وخرجنا من تلك القشور وتوجهنا إلى مبدأ النور المطلق، إلى الحق تعالى، وكنا في خدمته وبذلنا كل نعمة أعطاناها في خدمته أيضاً فإن هذه علامة على خروجنا من الظلمات أو من بعضها، ودخولنا في النور أو في بعض مراتبه.

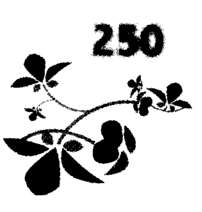
240



الرأسمال الذي لا يعوَّض

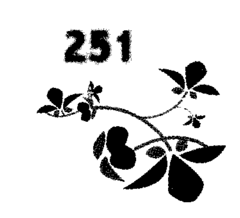
حذار من أن ينقضي تمام عمر الإنسان في خدمة الطاغوت وهو لمّا يفهم. وهذا أمر دقيق جداً بحيث أن الإنسان نفسه لا يستطيع أن يفهم نفسه. قد يكون من أول عمره حتى آخره متجهاً إلى جهنم وهو لا يدري. يسعى من أول عمره حتى آخره وراء أهوائه النفسانية. علينا أن نمتحن أنفسنا.. أن نفهم من هو ولينا، الله أم الطاغوت، نحن في خدمة الشيطان أم في خدمة الحق.. ندرس في سبيل الله أم في سبيل الأهواء النفسانية التي هي شيطان أيضاً.. عندما نفتي، لله يكون إفتاؤنا أو لأجل الأهواء النفسانية، لأجل الشيطان؟

250



فطرة الله

إن فطرة جميع الناس مبنية على النورانية. إن فطرتكم فطرة نورانية. هي فطرة التوحيد ونحن بيدنا قد حرفناها نحو الجهالات والظلمات. علينا أن نراقب أنفسنا ونجاهدها ونجبرها على المحاسبة قبل أن يأتي ذلك اليوم الذي سنحاسب فيه. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا. كل لحظات عيونكم وخطرات أذهانكم وتفكرات باطنكم هي في محضر الله ومدوّنة في كتاب أعمالكم. كل ما يصدر عنا خلاف الشرع يكون في حضور الله ومدوّناً أيضاً. ورد في الروايات أن الأعمال تعرض في كل أسبوع مرتين على إمام الزمان، فلا يكونن عملكم سبباً لأذية إمام الزمان إذا عُرض عليه فيجعله لا سمح الله يطأطىء رأسه أمام ملائكة الله لأن شيعته على هذا الحال: هؤلاء أحبائي وهم قد خالفوا أوامر الله. إن رئيس القوم يتأثر بمعاصي قومه.



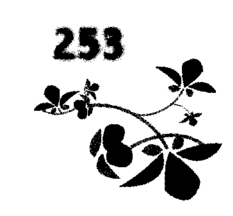
معرفة الصراط المستقيم

أطووا طريق الله والإسلام الذي هو طريق الإنسانية. والطريق المستقيم هو هذا الذي تقرأونه في سورة الحمد المباركة **﴿إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾**. هناك ثلاث طرق: الطريق المستقيم، وطريق المغضوب عليهم الشرقي وطريق الضالين الغربي.. الطريق المستقيم الموصل إلى الله هو نفسه يصير ذلك الصراط الذي يمتد إلى جهنم. فلو سرتم في هذا العالم بشكل مستقيم فإنكم تعبرون ذلك الصراط باستقامة. إن جهنم هي باطن الدنيا. إن سرتم بنحو مستقيم في هذا العالم ولم تنحرفوا يميناً (شرقاً) أو يساراً (غرباً) ـ حيث إن الانحراف إلى أية جهة هو جهنم ـ فإنكم تعبرون صراط الله المستقيم. هداكم الله إلى الصراط المستقيم.



تحقق العدالة

لو أن الإنسان أرجع كل انحراف، علمياً كان أو روحياً أو عقلياً، إلى معناه فإنه يوجِد العدالة في نفسه. لو كانت أخلاق الإنسان أخلاقاً منحرفة فإنه عندما يرجع عن هذا الانحراف إلى الاعتدال تتحقق العدالة. لو كان في عقائده انحرافات فإن إرجاع تلك العقائد المعوجّة إلى العقيدة الصحيحة والصراط المستقيم هو إيجاد العدالة في عقل الإنسان.



محاسبة النفس

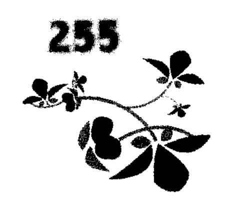
ينبغي أن تكونوا ملتفتين إلى أنفسكم.. على كل واحد أن يحاسب نفسه، فمحاسبة النفس هي إحدى منازل السير والسلوك إلى الله. فليراقب الإنسان نفسه في النهار حيث يكون مشغولاً لكي لا تصدر منه مخالفة. وفي الليل أيضاً حيث يعود إلى المنزل فليحاسب نفسه، يفعل ذلك كمن يريد استنطاق شخص واستجوابه حول ما قام به خلال النهار. حاسبوا أنفسكم كل ليلة.

حذار أيها المتصدون لخدمة الناس، من المراتب العليا إلى أدناها! انتبهوا إلى أن أمامكم طريقين، الطريق المنحرف هو الشيطان والطريق المستقيم هو الله. التفتوا، وانتبهوا بشدة إلى أن الجميع هم في محضر الحق وكل الأعمال القلبية والقالبية والخواطر الروحية والمزالق العملية هي في حضوره تعالى شأنه.



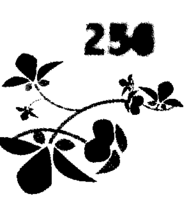
طبع الإنسان

الحيوان المفترس يبحث عن فريسته فإذا صار بمتناول يده وشبع تركها لغيره. الإنسان هو الذي لا يشبع. الإنسان هو الذي لا حدّ لأهوائه النفسانية، فلو أنه أعطي بلداً فهو يسعى وراء بلد آخر، وبعدُ يسعى وراء آخر وآخر إلى ما لا نهاية. وكلما نال شيئاً من أمانيه فإنه يسعى وراء تلك التي لم يجدها بعد. إن الإنسان لو تُرك ونفسه فإن آماله في الشهوة لن يكون لها حد. وكذلك في الغضب وطلب القدرة. هكذا خلق الإنسان لا حدّ لشهوته وغضبه وحبه لنفسه. لا شيء يشبعه إلاّ إذا تربّى، وبهذه التربية تكون نهاية سيره هي وصوله إلى كل ما يريد أي الوصول إلى الكمال المطلق. فإذا وصل إليه تحصل له الطمأنينة. إن اطمئنان القلوب هو في الوصول إلى الله ولن تهدأ القلوب بغيره سبحانه.



الوصول إلى الكمال المطلق

لقد جاء الإسلام لهداية قلوب البشر الحائرة التي تطلب الكمال المطلق ولا تعرف أين هو. جاء الإسلام ليقودها للوصول إليه. أنتم تقرأون في القرآن وفي الصلاة **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾** هناك طريق مستقيم واحد يوصل الإنسان إلى الكمال المطلق ويزيل عنه تلك الحيرة، وإذا أراد البشر أن يطووا هذا الطريق بأنفسهم فإنهم لن يتمكنوا لأنه لا معرفة لهم به. إن الله هو الذي يعرف هذا الطريق الذي يخرج الإنسان من ضلالاته ويرسله إلى نهاية الطريق حيث الله تعالى. نحن نسأل الله في صلواتنا أن يهدينا الصراط المستقيم، لا الطريق المنحرف يميناً ويساراً **﴿غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾** فهذان الطريقان منحرفان وكلما ازداد السير فيهما ازداد البعد عن المقصد.



دين الهداية

لقد كان بعث الأنبياء لأجل هداية الناس إلى الطريق الموصل إلى الكمال المطلق وإنقاذهم من الحيرة والضياع.. إنقاذهم من ظلمات الطبيعة إلى النور، بل من حجب النور والظلمة وإيصالهم إلى ما ورائها. أنتم تقرأون في المناجاة الشعبانية "إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النور". لقد جاء الإسلام لأجل إخراج الإنسان من تلك الضلالات والحجب الموجودة فيه والتي أكبرها حجاب رؤية النفس وتعظيمها. وما دام الإنسان يرى نفسه فهو لن يستطيع أن يطأ طريق الهداية. إن بداية الأمر هو أن يدوس الإنسان على شهواته وأهوائه النفسانية.



سبيل الوصول إلى السعادة

دعوا تلك الطرق التي عليها تسيرون. إن الطريق هو **﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾** و **﴿إن ربي على صراط مستقيم﴾**. تلك الطرق ليس وراءها مقصد، إنما هي تنتهي إلى الدنيا وما ورائها من شهوات الإنسان ونفسانيته وآماله. وهذه الدنيا ليست إلاّ وهماً. إن عالم الطبيعة نور ولكن التعلق بهذا العالم يجعل الإنسان خاسراً. إن ظلمتنا ناشئة من هذه التعلقات التي لدينا بهذه الدنيا، بهذه المقامات والأوهام والخرافات. لقد جاء جميع الأنبياء ليأخذوا بأيديكم وينقذوكم من تلك العلائق، التي هي خلاف مقتضى الفطرة الإنسانية، ويوصلوكم إلى عالم النور.



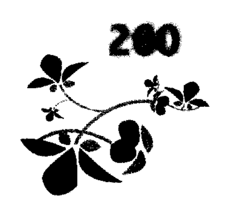
أثر الدعاء في الروح

إن الذي يخرج الإنسان من دار الظلمة ويخلِّص نفسه من تلك الحيرة والبلاءات، ويجعله خفيفاً سريع اللحاق هو تلك الأدعية الـواردة عن أئمتنا عليهم السلام.. هذه الأدعية تهيئ النفوس الحائرة للتخلص من تلك العلائق المهلكة، وتنقذها من تلك المصائب التي تحلّ بها في عالم الطبيعة وتضعها على صراط الإنسانية. إن الطرق الأخرى ليست طريق الإنسان. الصراط المستقيم هو صراط الإنسانية.



الصائم الحقيقي

هذه الأدعية هي التي تعطي من يقرأها القوّة الروحية وتجعلهم خفافاً وتسهّل عليهم الشهادة. هذه الأدعية الخاصة بشهر رجب وشهر شعبان بالخصوص هي مقبّلات ومقدّمات تهيّئ قلوب الناس لورود ضيافة الله حيث تبسط سُفرته، القرآن الكريم، للجميع. وأهم محلّ لتلك الضيافة "ليلة القدر" حيث الضيافة تنزيهية وإثباتية وتعليمية. إن النفوس من أول يوم صيام في شهر رمضان المبارك تتهيأ بالمجاهدة والأدعية للوصول إلى تلك السفرة التي ينبغي الاستفادة منها خاصة في "ليلة القدر" التي نزل فيها القرآن. هذه الضيافة الإلهية ينبغي أن تخرج الإنسان من جهة الحيوانية إلى جهة الإنسانية الواقعية. ينقلب الإنسان بهذه الأدعية من تلك الظلمات التي نعرفها إلى تلك الأنوار والنور المطلق الذي يسير بتبعه كل العالم.



التفكر الركن الأول في السير والسلوك

كل عمل أوله التفكر. إن كان في أرواحنا ضعف لن نستطيع أن نعمل. قووا أرواحكم، قووا قلوبكم وانقطعوا إلى الله. إن جميع الأدعية الواردة قد دعت إلى هذا الأمر وهو الرجوع إلى الله لأنه مركز القدرة. جميع الأدعية دعت إلى ترك التشبث بما سوى الله فمصدر القوة والحصن المنيع لديكم وهو الله. ومن كان لديه الله فممَّ يخاف؟.. لا تخافوا من أحد غير الله تبارك وتعالى، ولا تعتبروا لأحد قدرة أبداً، فإن القدرة كلها منه. كل شيء منه ونحن جميعاً لا شيء.



تحصيل المعرفة الإلهية

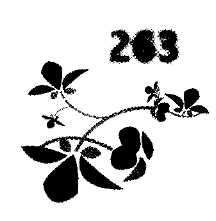
يا أيها العزيز، إن جميع العلوم الشرعية مقدمة لمعرفة الله تبارك وتعالى ولحصول حقيقة التوحيد في القلب التي هي صبغة الله ﴿ومن أحسن من الله صبغة﴾ غاية الأمر أن بعضها مقدمة قريبة وبعضها مقدمة بعيدة وبعضها بواسطة وبعضها بلا واسطة.



المراحل والمنازل الأولية للسير والسلوك

الإنسان السالك بعد أن يستنّ بالسنن الإلهية ويتلبّس بلباس الشريعة ويشتغل بتهذيب باطنه وصقل سره وتطهير روحه وتنزيه قلبه، تتجلى شيئا فشيئاً في مرآة قلبه أنوار غيبية إلهية، وتحصل له جذبات باطنية وعشق فطري جبلي، فينجذب إلى عالم الغيب. وبعد طي هذه المراحل يشرع في السلوك إلى الله بالمدد الباطني الغيبي ويكون القلب طالباً للحق وفاحصاً عنه ويكون توجهه منسلخاً عن الطبيعة، ويسلك طريق الحقيقة مهتدياً بجذوة نار المحبة ونور الهداية اللذين يمثل أحدهما رفرف العشق والآخر براق السير إلى جناب المحبوب وجمال الجميل الأزلي. ويغسل

اليد والوجه من قذارات الالتفات إلى الغير، ويتوجه إلى المقصد والمقصود بقلب مطهر من الدنس ومن رجس الشيطان الذي هو حقيقة السوائية، وأصل أصول الشجرة المنحوسة الخبيثة شجرة الغيرية والكثرة، ويترنم بـ **﴿وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض﴾**، ويكون كالخليل إذ تنفَّر من الآفلين الذين هم مواضع النقص والرجز، وتكون وجهة قلبه الكمال المطلق.

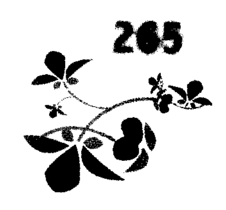


التوجه إلى الألطاف الإلهية

إذاً لا بد للإنسان أن لا يغتر بكماله ولا يغفل عن نفسه ولا يهمل مراعاة أحوالها ولا يغفل في جميع الأحوال عن التمسك بالعنايات الخفية للحق تعالى، ولا يعتمد أبداً على نفسه وسلوكه ورياضته وعلمه وتقواه حيث أنها من أكبر المهالك الإنسانية والوساوس الشيطانية التي تنسي السالك حتى نفسه كما قال الحق تعالى: **﴿ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون﴾** ولو أحسّ بأن جنود الجهل وحزب الشيطان هم الغالبون في باطن ذاته ومملكة روحه فلا بد أن يخرجهم بالجد والرياضة ويفرغ نفسه منهم، ويقطع يد الشيطان اللعين عن التصرف بها.

اغتنام الوقت

يا أيها العزيز: ما دامت هذه النعمة الإلهية العظيمة والعمر الذي أعطاكه الله تعالى موجودين فابذل همتك واستعد لأيام الابتلاء والضر، ونجّ نفسك من المشقات والشقاوات التي تعترضك فأنت اليوم في دار التغير والتبدل والزرع، وتستطيع أن تحصل على النتيجة المطلوبة. فإذا كان لا سمح الله الحزب الشيطاني غالباً فيك وانقضت أيامك على هذه الحال وانقطعت يدك عن هذا العالم فلن يكون هناك جبران بعدها ولن تفيد الحسرة والندامة.



زوال الدنيا

إعلم أن للقلب ـ وهو مركز حقيقة الفطرة ـ وجهتين: إحداهما إلى عالم الغيب والروحانية، والثانية إلى عالم الشهادة والطبيعة. وبما أن الإنسان هو وليد عالم الطبيعة والنشأة الدنيوية كما تشير إليه الآية الشريفة **﴿وأمه هاوية﴾** فلو تربّى من مبدأ الخلقة في غلاف الطبيعة وحجب عن الروحانية والفطرة وأحاطت به أحكام الطبيعة شيئاً فشيئاً، وانغمس في عالمها ونمت غريزته، لتغلبت عليه أحكام الطبيعة. ففي مرتبة الطفولة يجاور ثلاث قوى وهي القوة الشيطانية ـ التي هي وليدة الواهمة ـ والقوة الغضبية والقوة الشهوية. وكلما نمت حيوانيته تكمل فيه هذه القوى وتنمو. وتغلب عليه أحكام الطبيعة والحيوانية، ولعل الآية الكريمة **﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين﴾** تشير إلى نور الفطرة الأصلي الذي خمِّر بيد قدرة الحق تعالى، وهو **﴿أحسن تقويم﴾** لأنه على صورة الكمال المطلق والجمال التام، والرد إلى أسفل سافلين إشارة إلى

الاحتجاب بالطبيعة التي هي أسفل سافلين. ولأن هذه الاحتجابات والظلمات والكدورات تغلب على النفس، فقلّما ينجو منها أحد بنفسه ويسير في عالمه الأصلي بفطرته الأصلية ويصل إلى الكمال المطلق والنور والجمال والجلال المطلق، أرسل الله تبارك وتعالى ـ بعنايته الأزلية ورحمته الواسعة ـ أنبياءه العظام لتربية البشر وأنزل الكتب السماوية لتعينهم من الخارج على فطرتهم الداخلية وتنجو النفس من هذا الغلاف الغليظ.

206



المراقبة

لا بد أن يُعلم أن الإنسان لو غفل عن نفسه ولم يكن في صدد إصلاحها وتزكيتها، بل أطلق عنانها فهو يزيد في كل يوم بل في كل ساعة حجاباً على حجبها، ووراء كل حجاب حجاب بل حجب إلى أن ينطفيء نور الفطرة كلياً، ولا يبقى من المحبة الإلهية أثر. بل ينفر من الحق تعالى وكل ما يرتبط به من القرآن الكريم والملائكة والأنبياء العظام والأولياء الكرام وجميع الفضائل، ويستحكم في قلبه جذر العداوة للحق جل وعلا والمقربين منه إلى أن تغلق في وجهه جميع أبواب السعادات وتنسد طريق الارتباط مع الحق تعالى والشفعاء ويخلد في عالم الطبيعة الذي يكشف عن باطنه في ذلك العالم، فيكون ذلك الخلود في عذاب جهنم.

267



رأسمال الوصول

الخسران والحسرة بل العَجَب والحيرة في أن الفطرة التي هي براق عروج الأولياء إلى قرب الحضرة الإلهية ورأس مال وصولهم إلى الكمال المطلق هي ذاتها توصل الإنسان اللامبالي إلى عاقبة الشقاوة والبعد عن ساحة قدس الكبرياء، وهذا أعلى مراتب الخسران كما قال الحق تعالى: ﴿**والعصر إن الإنسان لفي خسر**﴾ وأي خسران أكبر من أن يصرف الإنسان رأس مال السعادة الأبدية في سبيل تحصيل الشقاوة الأبدية، وما أعطاه الحق ليوصله إلى أوج الكمال يجره إلى حضيض النقص.

268



حسرة الإنسان

أيها الإنسان المسكين كم ستكون حسرتك يوم يرفع حجاب الطبيعة عن بصرك، وتعاين أن كل ما خطوت نحوه وسعيت لأجله في هذا العالم كان في سبيل مسكنتك وشقاوتك وحرمانك، وقد انسد طريق الجبران والتعويض وانقطعت يدك عن كل شيء.. لا سبيل فرار من السلطة الإلهية القاهرة ﴿**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا**﴾ ولا سبيل جبران للنقائص الماضية أو اعتذار عن المعاصي ﴿**الآن وقد عصيت قبل..**﴾.

260

التوبة والرجوع

أيها العزيز، حتى الآن لم تُزِل حجب الطبيعة الغليظة نور الفطرة بالكامل ،ولم تذهب كدورات المعاصي بصفاء القلب الباطني، ولم تنقطع يدك عن دار الدنيا التي هي مزرعة الآخرة وفيها يستطيع الإنسان أن يجبر كل نقص، ويستغفر من كل ذنب، فشمّر ذيل الهمة وافتح أمامك باباً إلى طريق السعادة. واعلم أنك لو خطوت فيه خطوة واحدة وتصالحت مع الحق تعالى مجده، واعتذرت عما سبق، فستفتح لك أبواب السعادة وتأتيك الإمدادات من عالم الغيب، وتحترق حجب الطبيعة واحداً بعد آخر، ويغلب نور الفطرة على الظلمات المكتسبة ويبرز صفاء

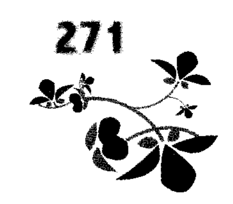
القلب وجلاء الباطن، وتنفتح أبواب رحمة الله تعالى في وجهك، وتجذبك الجاذبة الإلهية إلى عالم الروحانية، وتتجلى محبة الله في قلبك بالتدريج وتحرق محبة كل شيء سواه. فإذا رأى الله تبارك وتعالى منك الإخلاص والصدق فسيهديك إلى السلوك الحقيقي ويحجب بصرك بالتدريج عن العالم وينيره بذاته ويقطع قلبك عمن سواه ويربطه به.

270

الإيمان المدَّعى

كلنا نادي بالتوحيد وندعو الله بـ "مقلّب القلوب والأبصار" و "الخير كله بيده والشر ليس إليه" ونتوجه مع ذلك إلى استمالة قلوب عباد الله، ونتمنى دائماً الخيرات من أيدي سائر الناس. كل هذا بسبب أن القلب لا علم له بالحقائق العقلية، أو أنها عنده مجرد لقلقة لسان لم تصل إلى مرتبة الذكر الحقيقي. نحن نعلم أن القرآن الكريم نزل من معدن الوحي الإلهي لتكميل البشر وتخليص الإنسان من سجن الطبيعة والدنيا الظلمانية، ووعده ووعيده كله حق صراح وحقيقة ثابتة وليس في كل ما احتواه شائبة خلاف الواقع، ومع ذلك فهذا الكتاب الإلهي العظيم لا يؤثر في قلوبنا

القاسية بمقدار ما يؤثره أي كتاب قصة.. لم تتعلق قلوبنا بوعوده فننزعها عن هذه الدنيا الدنية والنشأة الفانية ونعلقها بالنشأة الباقية، ولم نخف من وعيده فنحترز من المعاصي ومن مخالفة ولي النعمة. ولم يكن ذلك إلا لأنّ حقيقة القرآن وحقيته لم تصل إلى قلوبنا فتؤمن به، ولأن الإدراك العقلي قليل الأثر جداً. وعلى هذا فإن جميع النقائص التي فينا وكل تمردنا ومخالفاتنا وحرماننا من المعارف والأسرار ترجع إلى هذا الأمر بالذات ..كلام مجمل عليك تفصيله.



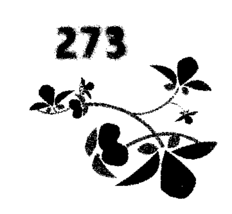
لماذا لا يؤثر القرآن فينا؟

الآن تفكر جيداً وانظر صدر هذه الآية الشريفة وذيلها وهي الآية 44 من سورة فصلت المباركة حيث يقول تعالى **﴿قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى أولئك ينادون من مكان بعيد﴾** فأين تلك الهداية وشفاء الأمراض الباطنية اللذان يحصلان للمؤمنين من آيات القرآن الكريم؟ ما لنا لا تؤثر فينا ولا تدخل في آذاننا وأسماعنا، لا بل تكون لنا حجاباً فوق الحجاب؟ ولم يكن ذلك إلاّ لأن نور الإيمان لم يصل إلى قلوبنا، ولم تتجاوز معارفنا حدود العلم ولم تنتقش على لوح القلب. وفي هذا الباب يوجد الكثير من الآيات الشريفة يمكن أن نعرف أحوالنا وصفاتنا إذا ما طبقناها عليها.



سبب النفور من الموت

وعمدة هذا النفور (من الموت) أن الإيمان بعوالم ما بعد الموت والحياة والبقاء الأبديين لم يدخل قلوب المحجوبين، فهم يظنون أن الموت فناء وحيث أن الفطرة منزجرة ونافرة من الفناء وعاشقة للبقاء فقد حصل النفور من الموت لدى المحجوبين رغم أن الفطرة الأصلية تعشق البقاء الأبدي، وهذا العشق متصل بالمعاد وعالم ما بعد الموت لأن الحياة الدنيوية لا يمكن أن تكون أبدية. ولأنها زائلة فالفطرة تنفر منها. أما النشأة الثانية الغيبية التي هي النشأة الباقية، فتعشقها الفطرة. إذاً الإيمان باليوم الآخر أي نشأة ما بعد الدنيا هو من الأمور الفطرية.



تحصيل الإيمان الواقعي

على الإنسان أن يغتنم هذه الأيـام المعدودة في هذا العالم ويحصّل الإيمـان بأي ثمن ويجعل القلب مأنوساً به. وهذا لا يتحقق في أول السلوك الإنساني إلاّ إذا خلصت النية في تحصيل المعارف والحقائق الإيمانية، وأنس القلب بالإخلاص والمحبة من خلال التكرار والتذكر حتى يتمكن الإخلاص في القلب. فما لم يتحقق الإخلاص لا بد وأن تتدخل يد تصرّف إبليس، وبتصرف إبليس والنفس ـ بخطى الانانية والعجب ـ لا تحصل أية معرفة، بل حتى علم التوحيد،بدون الإخلاص، يبعد الإنسان عن حقيقة التوحيد والعرفان، وعن ساحة القرب الإلهي. لاحظ حال إبليس، فبسبب رؤيته لنفسه وحبه لها وإعجابه بها لم ينفعه علمه شيئاً ولم يهده إلى طريق السعادة.



السيطرة على النفس

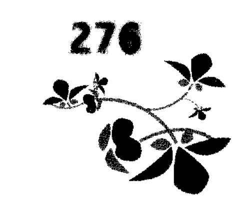
أيها العزيز قد يكون الأنس بهذه المعاني في أول الأمر صعباً. الوساوس النفسية والشيطان يزيد في صعوبته، ويؤيس الإنسان من تحصيل هذه الأحـوال، ويصعّب عليه سلوك طريق الآخرة والتوجه إلى الله، فيقول أن هذه المعاني للعظماء، ولا ترتبط بنا، بل لو استطاع أن ينفّر الإنسان منها ويصرفه عنها بأي نحو كان لفعل. ولكن الإنسان الطالب للحق لا بد أن يستعيذ استعاذة حقيقية من مكائد ذاك الخبيث، ولا يهتم بوساوسه ولا يظن أن طريق تحصيل الإيمان أمر صعب. نعم في البداية يتراءى له أنه صعب ولكن إذا ولج فيه فالله تعالى يسهل له طرق السعادة ويقربها.

275

الأذكار اللازمة في بداية السير والسلوك

بعد أن يتهيأ القلب لذكر الله والقرآن الكريم، يلقّن قلبه آيات التوحيد والأذكـار الشريفة في التوحيد والتنزيه بحضور قلب وحالة طهارة. فلو قرأ مع حضور قلب الآيات الشريفة في آخر سورة الحشر وتفكر فيها من قول الله تعالى: ﴿**يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله**﴾ وهي الآية 18 إلى آخر السورة المشتملة على التذكر ومحاسبة النفس والمحتوية على مراتب التوحيد، والأسماء والصفات، في وقت فراغ النفس من المشاغل الدنيوية في آخر الليل أو بين الطلوعين، يرجى ـ إن شاء الله ـ أن يصل إلى النتائج الحسنة. وهكذا في الأذكار الشريفة، حيث أن الذكر الشريف "**لا إله إلا الله**" هو

أفضل الأذكار وأجمعها فيأتي بهذا العمل مع حضور قلب، فيؤمل أن يأخذ الله سبحانه بيده. ولا بد أن لا يغفل في كل حال عن نقصه وعجزه، ولا عن رحمة الحق وقدرته، ويمد يد الحاجة إلى الذات المقدسة ويطلب منها المدد. فإذا اشتغل مدّة بهذا العمل تتعود النفس على التوحيد ويتجلى نوره في القلب ولا بد أن لا يغفل عن شرائط الذكر العامة، ولقد ذكرنا في كتاب "آداب الصلاة" أكثر شرائط قراءة القرآن وهي شرائط الذكر أيضاً.



كيفية محاسبة النفس ووقتها

لو حاسب نفسه في الليل والنهار لدقائق، بحسب إقبال القلب وتوجهه أي بمقدار ما يكون القلب حاضراً ،لتحصيل نور الإيمان وطلبه وتحسس في نفسه آثار الإيمان لكان وصوله إلى النتيجة أسرع إن شاء الله.



الغفلة عن المعاد وآثارها

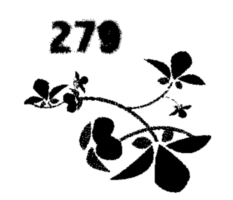
الإنسان المسكين الغافل يهتم بالأمور الدنيوية الزائلة وهو يعلم ويرى كل يوم أن أهل الدنيا يتركونها ويذهبون متحسرين. ومع ذلك يبذل جهده في جمعها وتحصيلها، ويواجه كل مذلة ومشقة، ومحنة وتعب، ولا يحترز من أي عار أو عيب. ولكنه في تحصيل الإيمان المتكفل بسعادته الأبدية كثير الوهن والكسل، ورغم كل مواعظ الأنبياء والأولياء وجميع الكتب السماوية لا يترك الوهن والتساهل، ولا يتفكر في أيام مصيبته وذلته ومشقته، ولا تؤثر في قلبه القاسي مواعظ القرآن ووعده ووعيده، في حين أنها تؤثر في الحجر الصلب وتخشع لها جبال العالم. نعم يقول الله تبارك وتعالى: **﴿لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله، وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾**.

278

التفكر ودوره في السير والسلوك

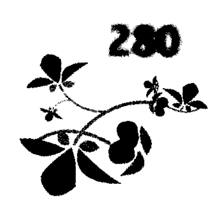
أيها الإنسان القاسي القلب، فكّر وانظر ما هو المرض القلبي الذي جعل قلبك أقسى من الحجر الصلب فلا يقبل قرآن الله الذي أنزل لنجاتك من العذاب والظلمات؟ نعم إن حبائل الشيطان التي تجلت في نظرك بصورة الدنيا بأصفرها وأحمرها قد سدت طريق سمعك وبصرك، وجعلت قلبك منكوساً. والآن فكر في الآية الشريفة التي تقول **﴿ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس، لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، أولئك كالأنعام بل هم أضل، أولئك هم الغافلون﴾** فانظر هل أن علامات

الذين خلقوا لجهنم موجودة فيك؟ إن قلباً حرم من نور التدبر والتفقه وإرجاع ظاهر الدنيا إلى باطنها لا فرق بينه وبين قطعة لحم تشكّل القلب الحيواني. وإن عيناً لا يتعدى بصرها هذا العالم وهي محجوبة عن نظر الحكمة، وأذناً لا تسمع إلا أصوات الدنيا وهي معزولة عن سماع المواعظ الإلهية ورافضة للحكم والنصائح، لا تمتاز عن عين وأذن الحيوانات.



لا محدودية الأهواء النفسية

قد يقدم شخص في حال الغضب أو حب الرئاسة على إبادة مئات الآلاف من العوائل ويزعزع بنيان المجتمع من اساسه. وليس لنار غضب أيّ من الحيوانات هذا اللهيب ولا لتنور شهوته هذه الحرارة. فالإنسان هو الذي لا يكون لغضبه وشهوته حد محدود ولا شيء يخمد حرصه وطمعه. هذا الإنسان بمغالطته وشيطنته ومكره وخدعه يرتكب أبشع الجرائم فيهلك الحرث والنسل. ولو جعلت السماوات والأرض لقمة لهذا الحيوان لما خمدت نار حرصه وطمعه، ولو سخرت له ممالك العالم لما نقص من أهوائه النفسية شيء. إن الإنسان غير الحيوان، فالأخير إذا وصل إلى لقمته خمدت نار شهوته.



توبيخ النفس

نعم نحن العمي والصم المحجوبين عن جميع المقامات قد ركنّا إلى الشهوات الحيوانية وتعلقت قلوبنا من بين جميع السعادات بشيء من المفاهيم التي لا قدر لها، إلاّ أن يأخذ بيدنا لطف الحبيب ورحمته ويخرجنا من هذه الحجب الغليظة والظلم المتراكمة، ويحيي قلوبنا بمحبته، ويقطعها عن غيره ويوصلها إلى ذاته المقدسة.

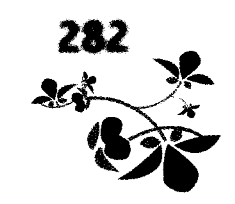
281

السعي في إصلاح النفس

فاشرف أيها العزيز على أحوال نفسك ومن خلال الاطلاع على مبادئها وثمراتها اعرف أين تضع نفسك. ولنر من أي طائفة نحن؟ هل أن كبرياء الله وعظمة رحمته وسعة مغفرته وبسط بساط عفوه وغفرانه قد جعلنا راجين للذات المقدسة أو أننا ابتلينا بالغرور الشيطاني وغفلنا عن الحق وصفات جماله وجلاله وابتلينا بالتساهل بأمور الآخرة؟

تنبه أيها العزيز، واستيقظ من النوم الثقيل، واحذر الغرور الشيطاني فإن هذا الغرور يهلك الإنسان هلاكاً أبدياً. ويؤخره عن

قافلة سالكي الطريق ويحرمه من كسب المعارف الإلهية التي هي قرة عين أهل الله. واعلم أنه مع الغرور لا تؤثر المواعظ الإلهية ودعوات الأنبياء ومواعظ الأولياء لأن الغرور يقلع جذورها كلها وهذا من مصائد إبليس الكبيرة وحبال النفس الدقيقة حيث يغفل الإنسان على الأثر عن التفكر في نفسه وأمراضه ويقع في الغفلة والنسيان، ويعجز أطباء النفوس عن علاجه فينتبه في وقت اليأس من الإصلاح وانسداد طريق العلاج بالكامل.



الانتباه من حيل ابليس

من مصائد إبليس الكبيرة أنه في البداية يجر العبد إلى الغرور ويجعله بهذه الوسيلة مطلق العنان، ويجره من المعاصي الصغيرة إلى الكبيرة ومنها إلى الكبائر والموبقات فإذا لعب به مدة على هذا المنوال جرّه بوهم رجاء الرحمة إلى وادي الغرور، وفي آخر الأمر إذا رأى فيه نورانية وظن فيه التوبة والرجوع يجره إلى اليأس والقنوط من الرحمة ويقول له: قد قضي أمرك ولم يعد قابلاً للإصلاح. وهذه مصيدة كبيرة إذ يصرف العبد عن باب الله، ويقطع يده عن ذيل الرحمة الإلهية.



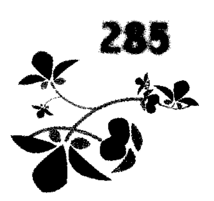
توبيخ النفس

أيها الإنسان المسكين إن جهنم والعذابات المختلفة في عالم الملكوت والقيامة هي صور أعمالك وأخلاقك. بيدك قدمت لنفسك هذه الذلة والمسكنة، وما زلت تسعى إلى جهنم برجلك وتهيئها بعملك، فليست جهنم إلاّ باطن أعمالك غير المرضية. إن وحشة وظلمات البرزخ والقبر والقيامة ليست إلاّ ظلاً ظلمانياً لأخلاق الإنسان الفاسدة وعقائده الباطلة **﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره﴾** يقول أمير المؤمنينعليه السلام: "هذه الآية أحكم آية" وظاهر هذه الآية الشريفة أننا نرى العمل الحسن والسيىء.



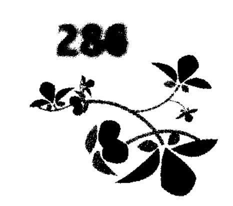
ادعاء المقام

أيها العزيز، إن ادعاء المقامات والدرجات أمر سهل وربما يلتبس المطلب على الإنسان نفسه أيضاً، فلا يعلم أنه ليس فارس ميدان هذا الادعاء؛ فإن الاتصاف بالحقائق والوصول إلى المقامات لا يتحققان بهذه الادعاءات لا سيما مقام الرضا الذي هو من أشق المقامات.



كسب رضا اللّه

أيها العزيز إن الله تبارك وتعالى يجري قضاءه سواء سخطنا عليه أو رضينا به. إن التقديرات الإلهية ليست مرتبطة برضانا وسخطنا، فما يبقى لنا من السخط والغضب هو نقص المقام، وسلب الدرجات والسقوط من نظر الأولياء والملكوتيين وسلب الإيمان من القلوب كما في الرواية عن الصادق عليه السلام أنه قال: "لقي الحسين بن علي عليه السلام عبد الله بن جعفر فقال: يا عبد الله كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه ويحقّر منزلته والحاكم عليه الله".



العمر رأس مال لا يعوَّض

نحن المساكين كدود القز ننسج حول أنفسنا خيوط الآمال والأمـاني والحرص والطمع ومحبة الدنيا وزخارفها، ونهلك أنفسنا في هذا النسيج، اللهم إلا أن يمسكنا فيضك، وتشملنا نحن الساقطين رحمتك الواسعة، وينفتح لنا بهدايتك وتوفيقك طريق الهداية والفلاح.

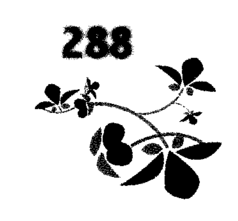


التوجه إلى قدرة الله

أيها الإنسان الضعيف المسكين! في اليوم الذي كنت مخفياً في كتم العدم وغيابة الجب، لا أثر منك ولا من آبائك **﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾** أية قدرة كاملة ورحمة واسعة أنجتك من تلك الظلمة غير المتناهية؟ وأية يد قادرة منحتك خلعة الوجود ونعمة الكمال والجمال؟

أيها العزيز! بأية لياقة وجد وسعي صرت أهلاً لإنزال الوحي الإلهي. إن أعظم رحمة إلهية وأعلى نعمة ربانية هي نعمة الهداية إلى الصراط المستقيم والإرشاد إلى طرق السعادة، فأي كسب وعمل وأية كفاءة وعبادة هيأت لنا هذه النعمة العظيمة؟ وبأي سابق خدمة صرنا جديرين بوجود الأنبياء العظام والرسل الكرام؟

288



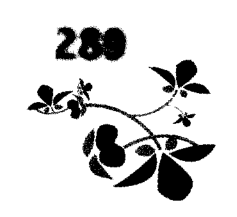
التوجه إلى النعم الإلهية

أيها الإنسان المحجوب! الغارق في نعم الله المبتدئة والمستغرق في الرحمة الرحمانية والرحيمية، والمضيّع لولي نعمتك ،الآن وقد بلغت حد الرشد والتمييز تتشبث بكل عشب وتعتمد على كل أساس ضعيف؟!

اليوم لا بد لك أن تفكر في النعم والرحمة الإلهية وتقطع يد طلبك عن المخلوق الضعيف وتنظر إلى ألطاف الحق تعالى العامة والخاصة، وتقطع قدم السعي عن غير بابه تعالى ولا تعتمد على غير ركن الرحمة الإلهية الركين، فما لك غفلت عن ولي

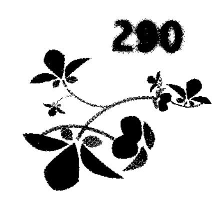
نعمتك واعتمدت على نفسك وعملك، وعلى المخلوقين وعملهم وارتكبت هذا الشرك الخفي أو الجلي.

هل وجدت في مملكة الحق تعالى متصرفاً غير ذاته المقدسة؟ أو قاضياً للحاجات غيره؟ أو وجدت يد رحمته تعالى قصيرة ومغلولة؟ أو رأيت نطاقها قاصراً عنك؟ أتظنه غافلاً عنك وعن حاجتك؟ أو ترى قدرته وسلطته محدودتين؟ أو تنسبه إلى البخل والغلّ والشح؟



اللذات الجسمانية

من اللذات الجسمانية التي تتوجه إليها النفس وتعدها من أسباب الراحة لذة الذائقة، وهي لذة الأكل الذي نعطيه - نحن أهل الدنيا والمحجوبين - أهمية كبرى. فإذا دققنا النظر نرى أننا لتحصيل مقدمات طعام لذيذ في الدنيا نتحمل الكثير من المشقات. فمن حين بداية تحضيره إلى حين الحصول عليه وحتى حين أكله ما لو أحصي من التزاحمات والمتاعب والمشقات في الإعداد والطبخ والإصلاح لكان مصيبة عظيمة. غاية الأمر أن الإنسان لاستئناسه بتلك اللذة لا يلتفت إلى متاعبها. وبعد الأكل، هناك أولاً تعب الهضم والدفع وكل منهما مصيبة. ولو لم تكن هذه البلية عامة وفيها لذة لما تحمّل إنسان أي شيء منها. هذا هو حال لذات هذا العالم.



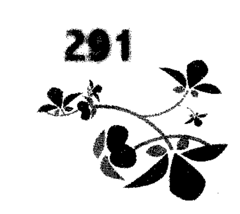
أسوأ حالات النفس

إعلم أن الإنسان ما دام في هذا العالم، وهو عالم المادة والتغيير فهو يستطيع أن يغيّر حالة الجحود والإنكار - التي هي من أسوأ أحوال النفس إذ توجب خذلانها وخسرانها الأبديين - ويخرج عن تسلط جند الجهل والشيطان، ويدخل في حكم العقل والرحمن. وذلك يتحقق بالعلم النافع والعمل الصالح.

أما العلم النافع فهو التفكر في لطائف المصنوعات ودقائق أسرار الوجود. وهذا التفكر يفتح للمتوسطين أبواباً من المعرفة وإن كان للكاملين حجاباً، هذه الحسنة القلبية للأبرار سيئة للمقربين.

وطرق التفكر في لطائف الصنع كثيرة لا تعد ولكن أقربها إلينا هي أنفسنا ومعرفتها بل إن أجهزة البدن وأفعاله هي أيضاً طريق إلى معرفة الله "من عرف نفسه فقد عرف ربه".

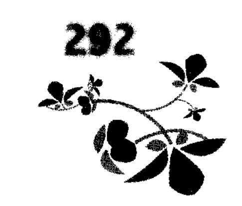
291



إنكار النفس

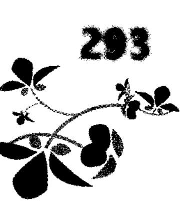
وأما العمل الصالح الذي ينفع في تبديل أحوال النفس وظلمانيتها وجحودها إلى النورانية والتصديق فعلى نوعين، أحدهما الأعمال القلبية والآخر القالبية. والمراد من الأعمال القلبية أعمال تُرجع الفطرة إلى حالتها الأولية و تسترجع روحانيتها الفطرية، وعمدتها التوبة بشرائطها الباطنية والظاهرية، ومن بعدها الاشتغال بالتزكية وتطهير القلب وتصفيته وتخليصه من الحجب الطبيعية وعمدتها حب الدنيا وحب النفس والإعجاب بها والاستبداد. وهذه من مهمات باب السلوك إلى الله وأهل المجاهدة والسلوك يهتمون بها أكثر من أي شيء.

وأما العمل القالبي في هذا المقام فهو عبارة عن أعمال تذكّر النفس بأحوالها وتوقظها من النوم الثقيل وسكر الطبيعة وهو الاشتغال بالأذكار الواردة عن أهل بيت الوحي والطهارة بشرائطها، وعمدتها حضور القلب. وهذا الاشتغال يكون بقصد تذكير النفس وإيقاظها في أوقات يكون اشتغال النفس فيها بالكثرات والدنيا أقل كأواخر الليل وبين الطلوعين.



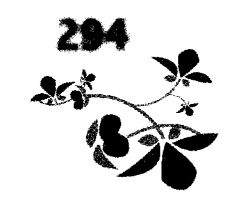
الأنس بذكر الله

نعم بالذكر الحقيقي تخترق الحجب بين العبد والحق، وترتفع موانع الحضور، وتزول قسوة القلب وغفلته، وتنفتح للسالك أبواب الملكوت الأعلى وأبواب لطف الحق تعالى ورحمته، ولكن العمدة أن يكون القلب في ذلك الذكر حياً ولا يكون ميتاً ولا مستأنساً مع الأموات. وكل ما سوى الحق وسوى وجهه المقدس هو من الأموات. وإذا أنس القلب بذلك صار من الأموات وأكلة الميتة **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾**. قال رسول الله "أصدق كلمة قالها شاعرٌ، كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل". وتعلق القلب بسائر الموجودات ـ أي موجود كان ـ هو غفلة عن الله.



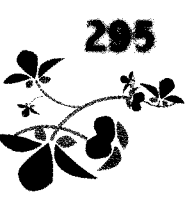
بيان بعض أذكار السير والسلوك

وبالإجمال فمن المناسب لإحياء القلب ذكر الله وخصوصاً الاسم المبارك "**يا حي يا قيوم**". وينقل عن بعض أهل الذكر والعرفان أن الإكثار من ذكر "**لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين**" عند السجدة في كل يوم وليلة مفيد للتكامل الروحي. ونقل عن بعض سالكي طريق الآخرة أنه لما سمع من أستاذه فائدة هذا العمل كان يسجد في اليوم والليلة سجدة ويقول هذا الذكر الشريف ألف مرة. ونقل عن بعض آخر أنه يقول هذا الذكر ثلاثة آلاف مرة. ونقل عن الإمام زين العابدين وسيد الساجدين علي بن الحسين عليه السلام أنه رأى صخرة خشنة فوضع رأسه المبارك عليها وسجد وبكى وقال ألف مرة "**لا إله إلا الله حقاً حقاً لا إله إلا الله تعبّداً ورقاً لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً**".



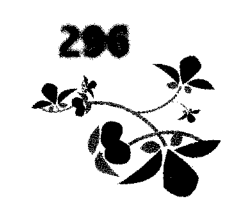
أعظم الذكر في السير والسلوك العرفاني

مثلاً الذكر الشريف "لا إله إلا الله" وهو أعظم الأذكار وأشرف الأوراد، يقرأه في وقت فراغ القلب بإقبال تام بقصد تعليم القلب، ويكرر هذا الذكر الشريف ويلقّن قلبه بحال التفكر والطمأنينة فيوقظ القلب بهذا الذكر الشريف إلى أن يجد القلب حالة التذكر والرقة فينطق بالذكر الغيبي الشريف بواسطة المدد الغيبي، ويصير اللسان تابعاً للقلب.



التوكل

فليكن معلوماً أنه بعد ما أدرك العقل بالعلم البرهاني أركان باب التوكل مثلاً، فعلى السالك أن يهتم بأن يوصل تلك الحقائق التي أدركها بالعقل إلى قلبه. وهذا لا يحصل إلاّ بأن ينتخب المجاهد لنفسه في كل يوم وليلة ساعة يَقِلّ فيها اشتغال النفس بعالم الطبيعة والكثرة ويفرغ فيها القلب. ففي تلك الساعة ـ ساعة فراق النفس ـ يشتغل بذكر الحق تعالى مع حضور القلب والتفكر في الأذكار والأوراد الواردة.



إصلاح النفس

فعلى الشباب حتماً ولازماً أن يكونوا في صدد التصفية والتزكية ما دامت فرصة الشباب حاضرة والصفاء الباطني والفطرة الأصلية باقيين على حالهما. فيقلعون جذور الأخلاق الفاسدة والصفات المظلمة من قلوبهم، لأنه بوجود خلق سيىء واحد تكون سعادة الإنسان في خطر عظيم. كما أنه في أيام الشباب تكون الإرادة قوية والتصميم محكماً وعلى هذا يكون الإصلاح أسهل ولكن في مرحلة الشيب تكون الإرادة ضعيفة والتصميم أيضاً هرماً وبالتالي يكون التغلب على القوى أصعب.



الرضى برضى الحق تعالى

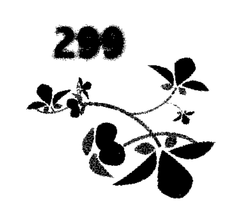
نعم إن أولياء الله يرون البليات تحفة سماوية، والشدة والضيق عنايات ربانية، فهم يأنسون بالله تعالى ولا يطلبون غيره ويتوجهون إلى الذات المقدسة ولا يرون غيرها. وإذا طلبوا دار كرامة الحق تعالى فذلك من جهة أنها منه تعالى لا من جهة الحظوظ النفسانية. هم راضون بقضاء الله من جهة الارتباط بالحق تعالى فأصبحت المحبة الإلهية منشأ لمحبة أسمائه تعالى وصفاته وآثاره وأفعاله.

298

الرجوع إلى الحق تعالى

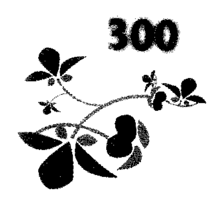
يجب أن يُعلم أن النفس الإنسانية في أول الفطرة تكون كمرآة صافية خالية من أية كدورة وظلمة. فإذا واجهت هذه المرآة الصافية النورانية عالم الأنوار والأسرار المناسبة لجوهر ذاتها، فسترقى بالتدريج عن مقام نقص النورانية إلى كمال الروحانية والنورانية إلى أن تتحرر من جميع أنواع الكدورات والظلمات، وتخرج من قرية الطبيعة المظلمة وتهاجر من بيت النفس القاتم، فيكون نصيبها مشاهدة جمال الجميل ويقع أجرها على الله. وإذا واجهت مرآة النفس الصافية عالم الكدورة والظلمة ودار الطبيعة الذي هو أسفل

سافلين فبسبب مخالفته لجوهر ذاتها الذي هو من عالم الأنوار، تؤثر كدورة الطبيعة تدريجياً فيها وتجعلها ظلمانيةً وكدرةً، ويغلب على وجه المرآة (مرآة ذاته) الغبار ورين الطبيعة فتعمى عن فهم الروحانيات وعن إدراك المعارف الإلهية وتحجب عنها، وتحرم من فهم الآيات الربانية. ويزيد هذا الاحتجاب والحمق يومياً إلى أن تصير النفس سجينية ومن جنس سجّين.



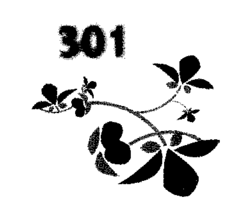
الترغيب بالسلوك العرفاني

أيها الحبيب: استيقظ قليلاً من النوم الثقيل واسلك طريق عشاق الجناب، واغسل اليد والوجه من هذا العالم، عالم الظلمة والكدورة والشيطنة، وضع القدم على طريق المحبوب، لا بل سر نحوه.



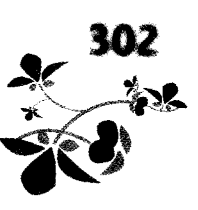
الاستفادة من العمر الباقي

أيها العزيز ستنتهي أيام المهلة الإلهية القليلة هذه عما قريب، وسيأخذوننا من هذه الدنيا طوعاً أو كرهاً، فإن ذهبت مختاراً فَرَوح وريحان وكرامات الله، وإن ذهبت كرهاً فنزع وصعق وضغط وظلمة وكدورة.



إيجاد روح التصديق في النفس

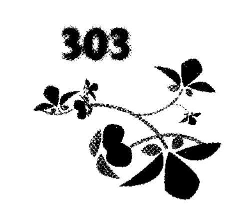
أيها العزيز،لو أن طفلاً عمره عشر سنين قد أخبر أياً منا أن حريقاً نشب في بيته، أو أن ابنه سقط في الماء وهو الآن يغرق، فهل نترك الاشتغال بالعمل المهم ونرفع اليد عنه ونركض وراء تلك الأخبار الموحشة أم أننا لا نهتم لها ونجلس مع اطمئنان نفس كامل؟ فالآن أي أمر حدث؟! إن جميع الآيات والأخبار والبراهين والعيان لم تؤثر فينا تأثير خبر ابن عشر سنين، لأنها لو أثرت لسلبت الراحة منا. فكيف يعالج عمى الباطن والقلب هذا؟ هل هذا المرض القلبي يحتاج إلى طبيب وعلاج؟



التفكير في العاقبة

أيها العزيز، إن هذه الآيات الإلهية والتعاليم الربانية قد جاءت لإيقاظنا نحن المساكين النائمين، ولتنبيهنا نحن السكارى الغافلين. هذه القصص القرآنية وهي حاصل معارف جميع الأنبياء وخلاصة سير ورشد جميع الأولياء، وبيان الداء والدواء لكل عيب ومرض نفسانيين ونور هداية للطريق الإلهي والإنساني، ليست لسرد القصص وبيان تاريخ العالم. ليس المقصود منها مع ذلك التعظيم في تنزيلها ونزولها بيان تاريخ الماضين لمجرد الاطلاع والعلم بالتاريخ.

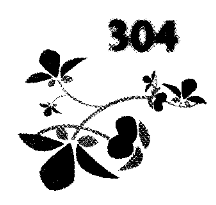
ميّز أيها العزيز مقصود الله تعالى عن مقصد المسعودي والطبري وأمثالهما، ولا تنظر إلى القرآن الكريم من جهة التاريخ والأدب والفصاحة، فإن هذه الصورة حجاب سميك.



إرث إبليس

يا مسكين! زعمت أنك من أهل الله والمعارف؟ هذا أيضاً من تلويثات النفس والشيطان، حيث شغلك عن نفسك وأغفلك عن الله، وأفرح قلبك بشيء من المفاهيم والألفاظ الحميدة في مقام العلم، فأصبحت تتكلم عن تجليات الذات والأسماء والأفعال، ترى العالم من الحق تعالى وجميع الموجودات من تجلياته، ولكن في مقام العمل، تشارك الشيطان وتتكبر على بني آدم وتطغى عليهم. فعند أهل المعرفة هذا العمل تكبّر على الحق تعالى.

إن المعارف والعلوم التي توجد في الإنسان الطغيان والإدلال بدل التواضع والتذلل هي ما فَضُل من إبليس.



توبيخ النفس

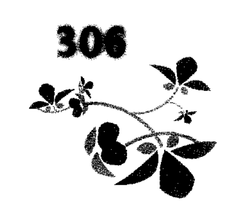
الويل لك أيها المسكين المبتلى ببعض المفاهيم، المشغول بشيء من الاصطلاحات وقد أفنيت عمرك العزيز بالغوص في بئر الطبيعة، وبعدت عن الحق بواسطة العلوم والمعارف الحقة. فأنت خنت المعارف وجعلت الحق والعلم الحقانيين وسيلة للعمل الشيطاني. فتنبه من نومك قليلاً، ولا تفرح بهذه المفاهيم ولا تغتر بإبليس اللعين فإنه يجرك إلى الهلاك ويبعدك عن منزل الإنسانية وقرب الحق تعالى.

305

الدقة في أحوال النفس

لا تغفل عن الحيل النفسانية فإن النفس والشيطان بالمرصاد، وينتظران الفرصة ليصرفا الإنسان عن طريق الحق. ولا تغتر أبداً بكمالات النفس، فإن الغرور من الشيطان. كن سيىء الظن بنفسك دائماً، وكن حذراً وخائفاً من سوء العاقبة فإذا رأيت أن هذه العلوم قد حصّلت فيك الإعجاب بالنفس وحبها فاعلم أنك صرت طعمة لإبليس وبعدت عن طريق السعادة، وأنظر حينها ماذا تملك في يدك غير حفنة من الاصطلاحات الفارغة من اللب، فهل يمكن أن تجيب بها ملائكة الله الغلاظ الشداد؟ وهل يمكن أن تخدع الله العالم بمصطلحات الهيولى والصورة والمعنى الحرفي وأمثالها؟ ولو فرضنا

أنك في هذا العالم حيث لا تكشف السرائر تمكنت من الإدلال والتكبر على العباد وتعاملت معهم بالتحقير والتوهين، فهل يمكن في القبر والقيامة أن تعبر الصراط بهذه الرجل الخشبية؟ إن علم القرآن والحديث ينبغي أن يصلحا حالك، ويوجدا فيك أخلاق أحياء الله، لا أن تتصف، بعد خمسين سنة من تحصيل العلوم الدينية، بالصفات الشيطانية.



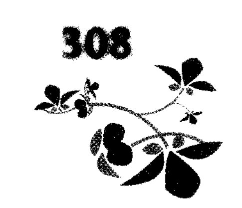
العجب

لعمر الحبيب، لو أن العلوم الإلهية والدينية لم تهدنا إلى طريق الحق والصدق، ولم تهذب باطننا وظاهرنا، فأحقر الأشغال أحسن منها، لأن الأشغال الدنيوية نتائجها عاجلة ومفاسدها أقل، لكن العلوم الدينية إذا صارت رأس مال لتعمير الدنيا، فهذا بيع للدين، ووزره ووباله أعظم من كل شيء. حقاً كم هو قليل الاستيعاب هذا الانسان الذي يعجب ببعض اصطلاحات فارغة لديه ولها ثمرات شيطانية أيضاً، ويعدّ نفسه أعلى وأفضل من عباد الله.



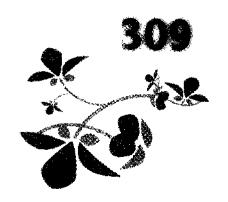
دواء الأمراض الروحية

أيها العزيز، قم من نومك الثقيل، وعالج هذه الأمراض المختلفة بالقرآن، والحديث، وتمسك بحبل الله المتين وحبل أوليائه، فإن رسول الله ﷺ ترك هاتين النعمتين العظيمتين لنا لننجو من ظلمات الطبيعة بواسطة التمسك بهما لنتخلّص من هذه الأغلال، ونتّصف بسيرة الأنبياء والأولياء.



الاستفادة من كل لحظة

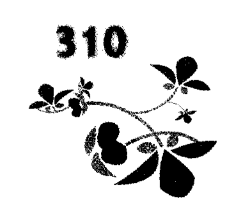
ألم يأن أن نكون في صدد إصلاح النفس ونخطو خطوة في علاج أمراضها؟ لقد خسرنا رأس مال شبابنا بلا عوض، وبغرور النفس والشيطان أفلتنا من أيدينا الشباب الذي لا بد أن نهيىء به السعادات في الدارين. وحتى الآن لسنا في صدد الإصلاح إلى أن يخرج رأس مال حياتنا من اليد بالكامل وننتقل عن هذه الدنيا بالخسران التام والشقاوة الكاملة. أي خسران أعلى من أن يصرف الإنسان رأس مال السعادة الأبدية بالشقاوة الأبدية، وما به الحياة والنجاة يصرفه في هلاك نفسه وفنائها، ولا يتنبه إلى آخر عمره من سكره وغفلته!



الغفلة عن جهنم

ورد في الكافي الشريف عن الصادقعليه السلام: "إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال له سقر شكا إلى الله عز وجل شدة حره وسأله أن يأذن له أن يتنفس فتنفس فأحرق جهنم".

أيها العزيز، لو افترض إنسان صدق هذه الأحاديث فلا بد له أن يهتم أكثر منا بعلاج النفس. إن مكاناً هو محل العذاب والنار إذا اشتكى من شدة الحرارة واحترقت جهنم من نَفَسه، فكيف نستطيع نحن أن نصبر على هذا العذاب. وكيف نسلم أنفسنا لعذاب تشكو جهنم منه مقابل أيام قليلة من الطغيان والتكبر على عباد الله، أو التكبر على عبادته تعالى وطاعته؟ فالويل لحالنا وغفلتنا وسكرتنا! والأمان الأمان من هذه الغفلة ومن نومنا الثقيل!



علاقة معرفة النفس بالله

نحن أسرى النفس والشهوة، نريد الله لأجل ثمرات الدنيا، ونضحي بالحبيب المطلق في سبيل اللذات النفسانية. وهذا من أعظم الخطايا، إذ لو كان لقلوبنا حظ من المعرفة وحصل فيها تجل للمحبة فسنموت حتماً من الخجل، وننكس رؤوسنا حياء إلى يوم القيامة. أولئك إذا طلبوا شيئاً فإنما يطلبونه لأنه عطاء الحبيب...

إن معرفة الله تأتي من خلال حب الله، وهذا الحب إذا كمل يجعل الإنسان منقطعاً عن نفسه، فإذا انقطع عن نفسه ينقطع عن جميع العوالم، ولا يطمع في نفسه وفي الآخرين، ويكون طاهراً من رجس الشيطان ورجس الطبيعة، ويطلع نور الأزل في باطن قلبه، ويسري من الباطن إلى الظاهر ويكون قوله وفعله نورانيين، وجميع قواه وأعضاؤه إلهية ونورانية.

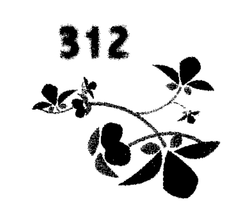


سفر الآخرة الطويل

قسماً بالله! لو اطلع الإنسان على مقدار خسارته اطلاعاً حقيقياً لسلب منه الهدوء والراحة، حيث يرى أن كل ما في يده من رأس مال السعادة قد خرج من يده، بل أكثر من ذلك إذ صرفه في تحصيل الشقاء فهيأ لنفسه جهنم ونارها بعرق الجبين وكد اليمين، ولحاجة بضع سنوات في الحياة الدنيا صرف جميع أوقاته التي كان ينبغي أن يصرفها في تحصيل العيش الأبدي وتعلق قلبه بمكان يتركه بعد أيام ولم يحصّل إلا الندامة والحسرة.

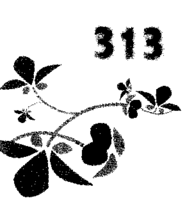
فكالخليل اطلب علم اليقين ونـــادِ لا أحب الآفلين

ولو تفكر الإنسان قليلاً في حال الأولياءعليهم السلام الذين هم معلمو البشر فسيدرك حجم خسارته.



العلم الواقعي

إعلم أن كل علم وعمل يبعدان الإنسان عن الأهواء النفسانية والصفات الإبليسية ويقللان من طغيان النفس، فهما العلم النافع الإلهي والعمل الصالح المطلوب. وبالعكس فكل علم وعمل يوجدان في الإنسان العجب والطغيان أو على الأقل لا يبرئانه من الصفات النفسانية والرذائل الشيطانية، فهذا العلم وذاك العمل من تصرف الشيطان والنفس الأمّارة. والميزان في السير والسلوك الصحيح أو الباطل هو خطى الحق أو خطى النفس، وينبغي أن تطلب علاماتهما من ثمراتهما.



حب الدنيا وعلاجه

إن مثلنا في هذه الدنيا كمثل شجر تأصل في الأرض، فكلما كان حديث الغرس كان نزعه أسهل. وفي المثل: لو كان للشجر إحساس بالألم والعذاب فكلما كان جذره أصغر وأغض كان ألمه وعذابه أقل. فالشجرة المغروسة حديثاً تنقلع بضغط قليل وبلا تعب. ولكن إذا مرَّ عليها سنوات، ودخلت جذورها في أعماق الأرض، ونشبت مخالبها الأصلية والفرعية في باطنها واستحكمت، فإخراجها يحتاج إلى فأس ليقطع جذورها ويكسرها...

إن جذر حب الدنيا والنفس، وهو بمنزلة الجذر الأصلي، وفروعه من الحرص والطمع وحب الأهل والأولاد والمال والجاه وأمثالها، ما دامت حديثة الغرس في النفس فقلعها سهل، ولا يستلزم الجهد من قبل عمال الموت وملائكة الله، ولا الضغط على الروح الإنسانية.

الشجر مهما كبر وتجذّر لا يشغل من الأرض أزيد من عدة أمتار، ولكن شجرة حب الدنيا تتجذّر وتمتدّ في عالم الطبيعة بأسره، في الظاهر والباطن. ولذلك لا يمكن قلع هذه الشجرة بسهولة. والإنسان من هذا التعلق في خطر عظيم.

وإذا أدرك الإنسان هذا المطلب ونظر بعين الانصاف والبصيرة إلى أول أمره وآخره، يرى من اللازم أن يرفع عن طريق سلوكه وعلى قدر استطاعته هذا الشوك الذي هو حب الدنيا والرغبة فيها وفي مالها ومنالها، ويبعد هذه الخطيئة المهلكة التي هي رأس كل خطيئة وأم الأمراض عن بيت قلبه، ويطهر هذا البيت الذي هو منزل المحبوب ومحل تجلّي المطلوب من القذارات ومن جنود إبليس وشرك الشيطان، ويقطع يد العفريت الخبيث الغاصبة عن بيت الله، ويرمي الأصنام من زوايا القلب وأروقته، لينال عناية صاحب البيت الأصلي ويتنوّر من طلعة تجلياته.

الهوامش

(1) الأربعون حديثاً، ص 24
(2) الأربعون حديثاً، ص 25
(3) الأربعون حديثاً، ص 30
(4) الأربعون حديثاً، ص 32
(5) الأربعون حديثاً، ص 34-36
(6) الأربعون حديثاً، ص 37-38
(7) الأربعون حديثاً، ص 38
(8) الأربعون حديثاً، ص 39
(9) الأربعون حديثاً، ص 39
(10) الأربعون حديثاً، ص 39
(11) الأربعون حديثاً، ص 49-55
(12) الأربعون حديثاً، ص 50
(13) الأربعون حديثاً، ص 51
(14) الأربعون حديثاً، ص 55-56
(15) الأربعون حديثاً، ص 59-60
(16) الأربعون حديثاً، ص 60-61
(17) الأربعون حديثاً، ص 61
(18) الأربعون حديثاً، ص 62
(19) الأربعون حديثاً، ص 77
(20) الأربعون حديثاً، ص 79
(21) الأربعون حديثاً، ص 79-80
(22) الأربعون حديثاً، ص 81-82
(23) الأربعون حديثاً، ص 80-81-82
(24) الأربعون حديثاً، ص 91
(25) الأربعون حديثاً، ص 95
(26) الأربعون حديثاً، ص 95
(27) الأربعون حديثاً، ص 96
(28) الأربعون حديثاً، ص 96-97
(29) الأربعون حديثاً، ص 97
(30) الأربعون حديثاً، ص 98
(31) الأربعون حديثاً، ص 99-100
(32) الأربعون حديثاً، ص 101-102
(33) الأربعون حديثاً، ص 102-103
(34) الأربعون حديثاً، ص 103
(35) الأربعون حديثاً، ص 111-113
(36) الأربعون حديثاً، ص 112
(37) الأربعون حديثاً، ص 128
(38) الأربعون حديثاً، ص 146-147
(39) الأربعون حديثاً، ص147
(40) الأربعون حديثاً، ص147
(41) ن.م ص157
(42) ن.م ص158
(43) ن.م ص158

(44) ن.م ص159
(45) ن.م ص159
(46) ن.م ص160
(47) ن.م ص160
(48) ن.م ص166
(49) ن.م ص167
(50) ن.م ص167
(51) ن.م ص169
(52) ن.م ص170
(53) ن.م ص199
(54) ن.م ص201
(55) ن.م ص218
(56) ن.م ص220
(57) ن.م ص231
(58) ن.م ص242
(59) ن.م ص242
(60) ن.م ص243
(61) ن.م ص245
(62) ن.م ص245
(63) ن.م ص246
(64) ن.م ص246
(65) ن.م ص249
(66) ن.م ص250
(67) ن.م ص258
(68) ن.م ص258
(69) ن.م ص261
(70) ن.م ص262
(71) ن.م ص263
(72) ن.م ص264
(73) ن.م ص274
(74) ن.م ص275
(75) ن.م ص276
(76) ن.م ص291
(77) ن.م ص292
(78) ن.م ص306
(79) ن.م ص233
(80) ن.م ص334 245
(81) ن.م ص347
(82) ن.م ص359
(83) ن.م ص359
(84) ن.م ص389
(85) ن.م ص390
(86) ن.م ص391
(87) ن.م ص399
(88) ن.م ص410
(89) ن.م ص431
(90) ن.م ص436
(91) ن.م ص440
(92) ن.م ص447
(93) ن.م ص450
(94) ن.م ص453
(95) ن.م ص457
(96) ن.م ص460
(97) ن.م ص511
(98) ن.م ص601
(99) مصباح الهداية ص36
(100) صحيفة نور ص238
(101) تفسير سورة الحمد ص28 و29 و30
(102) ن.م ص31
(103) ن.م ص34
(104) ن.م ص44
(105) ن.م ص45
(106) ن.م ص47و51و54
(107) ن.م ص64
(108) ن.م ص66
(109) ن.م ص70
(110) ن.م ص71
(111) ن.م ص75و77و79
(112) ن.م ص90و96
(113) ن.م ص97
(114) ن.م ص97
(115) ن.م ص99
(116) صحيفة نور ج7 ص16
(117) ن.م ص192
(118) ن.م ص211
(119) ن.م ص223
(120) ن.م ج8ص195
(121) سر الصلاة ص40
(122) ن.م ص42
(123) ن.م ص44
(124) ن.م ص84
(125) ن.م ص91
(126) ن.م ص94

(127) ن.م ص106
(128) ن.م ص140
(129) ن.م ص207
(130) الجهاد الاكبر ص13
(131) ن.م ص21و22و23و26
(132) ن.م ص38
(133) ن.م ص40
(134) ن.م ص44
(135) ن.م ص47
(136) ن.م ص49
(137) ن.م ص52
(138) ن.م ص57
(139) ن.م ص68
(140) ن.م ص68
(141) ن.م ص71
(142) ن.م ص74
(143) ن.م ص75
(144) ن.م ص77
(145) وصايا عرفانية ص62
(146) ن.م ص63
(147) ن.م ص15
(148) ن.م ص21
(149) ن.م ص33
(150) ن.م ص38
(151) ن.م ص110
(152) صحيفة نور ج22 ص8
(153) مجلة حضور ع13
(154) وصايا عرفانية ص134
(155) ن.م ص94
(156) ن.م ص95
(157) صحيفة نور ج22 ص6
(158) شرح دعاء السحر ص12
(159) صحيفة نور ج22 ص5
(160) شرح دعاء السحر ص147
(161) صحيفة نور ج22 ص5
(162) ن.م ص264
(163) ن.م ج20ص30
(164) ن.م ص88
(165) ن.م ج22 ص2
(166) ن.م ج20 ص109و143
(167) ن.م ص140
(168) ن.م ج22 ص 73و79
(169) ن.م ج19 ص18و42و44
(170) ن.م ص18و42و44
(171) ن.م ص31و55و61
(172) ن.م ص31و55و61
(173) ن.م
(174) ن.م ص83
(175) ن.م ص91
(176) ن.م ص108و124
(177) ن.م ص129و132
(178) ن.م ص131و151
(179) ن.م ص156
(180) ن.م
(181) ن.م ج1 ص125
(182) ن.م ص167
(183) ن.م ص264
(184) آداب الصلاة ص7
(185) ن.م ص42و98
(186) ن.م ص53و55
(187) ن.م ص74و77
(188) ن.م ص88
(189) ن.م ص98
(190) ن.م ص103و76
(191) ن.م ص129و130
(192) ن.م ص198
(193) ن.م ص250
(194) ن.م ص280و253
(195) ن.م ص282
(196) ن.م ص305
(197) ن.م ص353
(198) ن.م ص368
(199) ن.م ص386
(200) ن.م ص406
(201) ن.م ص355
(202) مصباح الهداية ص18
(203) صحيفة نور ج22 ص60 و62 و71
(204) ن.م ص264
(205) ن.م ج15 ص80
(206) ن.م ص79
(207) ن.م ج16 ص274
(208) ن.م ص268
(209) ن.م ص160و174و241

(210) ن.م ص104
(211) ن.م ج17 ص123
(212) ن.م ج18 ص16و17و18
(213) ن.م ص30
(214) ن.م ج11 ص80
(215) ن.م ص81
(216) ن.م ص82
(217) ن.م ص83
(218) ن.م ص83
(219) ن.م ص123
(220) ن.م ص154
(221) ن.م ص155
(222) ن.م
(223) ن.م ج13 ص71
(224) ن.م ص74
(225) ن.م ص132
(226) ن.م ص185و193
(227) ن.م ص199
(228) ن.م ج14 ص15
(229) ن.م ص16
(230) ن.م
(231) ن.م ص17
(232) ن.م
(233) ن.م ص18
(234) ن.م ص20
(235) ن.م
(236) ن.م ص30
(237) ن.م
(238) مصباح الهداية ص39
(239) صحيفة نور ج14 ص98 و103
(240) ن.م ص237
(241) ن.م ص239
(242) ن.م ص245
(243) ن.م ص257
(244) مصباح الهداية ص54
(245) صحيفة نور ج18 ص31
(246) ن.م ج12 ص124
(247) ن.م ص124
(248) ن.م ص125
(249) ن.م
(250) ن.م ص128
(251) ن.م ص131و150
(252) ن.م ج12 ص207
(253) ن.م ص172وج19ص108
(254) ن.م ج12 ص264
(255) ن.م ص222
(256) ن.م
(257) ن.م ص241
(258) ن.م
(259) ن.م
(260) ن.م ج18 ص277و279
(261) شرح جنود العقل والجهل ص9
(262) إلى (313) المصدر شرح جنود العقل والجهل.

المحتويات

رشحات ملكوتية من روح الله العرفانية

رشحات ملكوتية من روح الله العرفانية

رشحات ملكوتية من روح الله العرفانية

رشحات ملكوتية من روح الله العرفانية

من إصدارات مركز باء

الأصنام الخفية

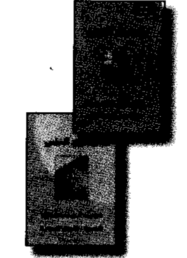
الامام الخميني
3.00

كتاب من سلسلة «الأربعون حديثاً» يتعرض لإثنتين من الآفات والأمراض التي يمكن أن تصيب قلب الإنسان «العجب» و«التكبر». مبيناً أسبابهما، آثارهما، وكيفية معالجة كلٍ منهما بأسلوب سهل ومنهجي.

جلاء القلوب

الامام الخميني
3.00

التفكر: أهميته، مراتبه، نتائجه،
الذكر: خصائصه، آثاره، كيفيته، فضل ذكر الله في الأحاديث.
هي المطالب التي يتناولها هذا الكتاب من ضمن سلسلة الأربعون حديثاً مسلطاً الضوء على أهم الوصايا والإرشادات. العملية في هذا المجال.



جموح النفس

الامام الخميني
3.00

من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة من أعراب الجاهلية» و» الغضب مفتاح كل شر» هما الحديثان الذين نقدمهما في هذا الكتاب ضمن سلسلة «الأربعون حديثاً» حيث يشرح الإمام الخميني معاني العصبية والغضب ومفاسدهما وطرق معالجتهما بأسلوبه الرائع وحكمته العميقة .

العقبة الكؤود

الامام الخميني
3.00

كتاب من ضمن سلسلة «الأربعون حديثاً» للإمام الخميني (قدس)يعرض لاثنتين من الآفات التي تشكل مانعاً دون ارتباط الإنسان بالحق تعالى: «اتباع الهوى» و«حب الدنيا» ومن ثم يعود فيتناول أسباب خوف الناس من الموت وكراهتهم له.



العلم المقدس

الامام الخميني
3.00

«العلم المقدس»: آية محكمة أو فريضة عادلة أو سنة قائمة وما خلاهن فهو فضل»، «طلبة العلم ثلاثة فاعرفوهم بأعينهم وصفاتهم» « من سلك طريقاً يطلب به علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة...» هي الأحاديث التي نقدمها في هذا الكتاب من ضمن سلسلة «الأربعون حديثاً» .